مكتبة الجاحظ

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الكتاب الأول

الحيوان

الجزء السابع

ومعه الفهارس العامة لجميع أجزاء الكتاب

مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

مصر — ص . ب . الغورية ٧١

كتاب الحيوان

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء السابع

تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الأولى

مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥ م / ٨٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى أحساس أجناس الحيوان

اللهم إنّا نعوذ بك من الشّيطان الرجيم ، ونسألك الهداية إلى صراطك المستقيم[١] ، وصلّى الله على سيدنا محمد خاصّة[٢] وعلى أنبيائه عامّة ، ونعوذ بالله أنْ تدعوَنا المحبّةُ لإتمام هذا الكتاب إلى أنْ نَصِل الصِّدْقَ بالكذب ونُدخِل الباطلَ فى تضاعيف الحقّ ، وأن نتكثّر بقول الزُّور ونلتمس تقوية ضعفِه[٣] باللفظ الحسن ، وستر قبحه بالتأليف الموثِق[٤] أو نستعينَ على إيضاح الحقّ إلا بالحق ، وعلى الإفصاح بالحجّة إلاّ بالحجة[٥] ، ونستميلَ إلى دراسته واجتبائه[٦] ، ونستدعى إلى تفضيله والإشادة[٧] بذكره ، بالأشعار المولّدة والأحاديث المصنوعة[٨] ، والأسانيد المدخولة ، وبما لاشاهد عليه إلاّ دعوى قائله ، ولا مصدِّق له إلاّ مَن لايُوثَق بمعرفته . ونعوذُ بالله من فِتنة القول وخَطَله ، ومن الإسهاب وتقحُّم أهله[٩] . والاستمادُ فيما بيننا

(١) فيما عدا ل : « إلى الصراط المستقيم » .

(٢) ط ، هـ : « محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم خاصة » .

(٣) س ، هـ : « صفته » ل : « ونلتمس تمويه ما فيه » .

(٤) هـ : « وشر » تحريف . ل : « قبيحه » . الموثق : المعجب . س : « الموفق » .

(٥) فيما عدا ل : « وعلى إيضاح الحجة إلا بالحجة » .

(٦) الاجتباء : الاختيار والاصطفاء . ط : « واقتنائه » س ، هـ : « واحتيائه » صوابهما فى ل .

(٧) فيما عدا ل : « والإشارة » ل : « والاسادة » صوابهما ما أثبت .

(٨) ط ، س : « الموضوعة » وأثبت ما فى ل ، هـ .

(٩) ل ، ط : « وتقحم » س ، ط : « خطته » .

وبين كثيرٍ من أهل هذا الزمان على حسن الظنّ[1] ، والاتّكالُ فيهم على العُذر ؛ فإنّ كثيرًا ممّن يتكلّف قراءة الكُتب ، ومدارسةَ العلم ، يقفون من جميع الكتب[2] على الكلمة الضعيفة واللّفظة السّخيفة ، وعلى موضعٍ من التأليف قد عرض له شيءٌ من استكراهٍ[3] أوْ ناله بعضُ اضطراب[4] ، أو كما يعرض فى الكتب من سَقَطات الوهْم ، وفَلَتات الضَّجَر ، ومن خَطأ النّاسخ ، وسوء تحفُّظ المعارض[5] على معنًى لعلّه لو تدبّره بعقلٍ غير مفسَدٍ ، ونظرٍ غير مدخول ، وتصفّحَه وهو محترِسٌ من عوارض الحسد ، ومن عادة التسرُّع[6] ومن أخلاقِ مَن عسى أن يتّسع فى القول بمقدار ضِيق صَدره ، ويُرسلَ لسانَه إرسالَ الجاهل بكُنْه ما يكون منه . ولو جعلَ بدلَ شُغله بقليلِ ما يرى من المذموم شُغْلَهُ[7] بكثيرِ ما يرى من المحمود — كانَ ذلك أشبهَ بالأدبِ المرضىّ والخِيم الصّالح ، وأشدّ مشاكَلةً للحكمة ، وأبعدَ
٣ من سلطان الطّيش ، وأقربَ إلى عادة السَّلف[8] وسيرة الأوّلين ، وأجدَرَ أن يَهَبَ الله له السّلامةَ فى كتبه ، والدّفاعَ عن حُجّته يومَ مناضلةِ خصومه[9] ومقارعةِ أعدائه .

---

(١) ط : « على من حسن الظن » ه : « على ظن من حسن الظن » محرفتان .
(٢) فيما عدا ل : « من جميع هذا الكتاب » .
(٣) س : « الاستكراه » .
(٤) فيما عدا س : « وناله بعض الاضطراب » .
(٥) س : « المعاند » .
(٦) فيما عدا ل : « ومن عارض » ط فقط : « التبرع » تحريف .
(٧) ط ، س : « تنقله » ه : « ينقله » صوابهما فى ل .
(٨) ط ، ه : « الصلف » تحريف .
(٩) ط ، ه : « يوم مناضلته خصومه » .

وليس هذا الكتابُ – يرحمك الله – في إيجاب الوَعد والوعيد فيعترض عليه المرْجِئُ ، ولا في تفضيل عليّ فَينصِبَ له العثمانيّ[1] ، ولا هو في تصويب الحَكَمين فيتسخَّطَه الخارجيّ ، ولا هو في تقديم الاستطاعة فيعارِضَه من يُخالف التَّقديم ، ولا هو في تثبيت الأعراض فيخالفَه صاحبُ الأجسام ، ولا هو في تفضيل البَصرة على الكوفة ، ومكّةَ على المدينة ، والشّام على الجزيرة ، ولا في تفضيل العجَم على العرب ، وعدنانَ على قحْطان ، وعمرٍو على واصل[2] فيردَّ بذلك الهذيلي على النَّظّامي[3] ، ولا هو في تفضيل مالكٍ على أبي حنيفة ، ولا هو في تفضيل امرئ القيس على النَّابغة ، وعامر ابن الطفيل على عمرو بن معد يكرب ، وعباد بن الحصين[4] على عبيد الله ابن الحُرّ ، ولا في تفضيل ابن مُرَيج على الغَريض ، ولا في تفضيل سيبويهِ على الكسائيّ ، ولا في تفضيل الجعفريّ على العقيليّ[5] ، ولا في تفضيل حِلم الأحنف على حِلم معاوية ، وتفضيل قَتادة على الزّهري ؛ فإنّ لكلّ

(١) يقال نصب لفلان نصبا إذا قصده وعاداه وتجرد له ، ومنه النواصب والناصبية وأهل النصب المتدينون ببغضة علي عليه السلام . فيما عدا ل : « فينصب » وصواب النص من ل .

(٢) عمرو ، هو عمرو بن عبيد المترجم في (١ : ٣٣٧) وهو صاحب العمرية . انظر الفرق بين الفرق ١٠٠ — ١٠٢ .

(٣) الهذيلي : واحد الهذيلية ، وهم أتباع أبي الهذيل محمد بن الهذيل المعروف بالعلاف ، المعتزلي . انظر الكلام على مذهبه في الفرق بين الفرق ١٠٢ والملل (١ : ٦٢) والمواقف ٦٢١ ومفاتيح العلوم ١٨ . فيما عدا ل : « الهذلي » تحريف .

(٤) سبقت ترجمته في (٢ : ١٠٤) وترجمة عبيد الله بن الحر في (٢ : ١٠٣) ط ، هـ : « بن الحسين » صوابه في س . وفي ل : « بن حصين » وهو وجه جائز في العربية .

(٥) ل : « الجعدي على القاقلائي » .

صِنفٍ من هذه الأصناف شيعةً ، ولِكلِّ رجلٍ من هؤلاء [الرجال] جُنداً وعدداً يخاصمون عنهم ، وسفهاؤهم المتسرعون منهم كثير[١] ، وعلماؤهم قليل ، وأنصاف علمائهم أقلّ .

ولا تنكر هذا ـ حفظكَ الله ـ أنا رأيتُ رجُلين بالبصرة على باب مُوَيس ابن عِمران ، تنازعا في العنب النِّيروزيّ والرّازقيّ ، فجرى بينهما اللعين[٢] حتّى تواثبا ، فقطع الكوفيُّ إصبع البصريّ ، وفقأ البصريُّ عينَ الكوفيّ ، ثمّ لم ألبث إلاّ يسيراً حتى رأيتهما متصافيَين متنادمين لم يقعا قطّ على مقدار ما يُغضب مِن مقدار ما يُرضى[٣] ، فكيف يَقعانِ على مقادير طبَقات الغضب والرضا[٤] ؟! والله المستعان .

وقد ترك هذا الجمهورُ الأكبر والسَّوادُ الأعظمُ ، التوقّفَ عند الشبهة والتثبُّتَ عند الحكومة جانباً ، وأضربوا عنه صَفْحاً[٥] فليس إلاّ لا أو نعم . إلاّ أنَّ قولهم « لا » موصول منهم بالغضب ، وقولهم « نعم » موصولٌ منهم بالرِّضا . وقد عُزِلت الحرِّيَّة[٦] جانباً ، ومات ذِكرُ الحلال والحرام ، ورُفِض ذكر القَبيحِ والحسن .

قال عمرو بن الحارث : « كنّا نُبغض من الرِّجال ذا الرياء والنَّفخ ، ونحن اليوم نَتمنّاهما » .

---

(١) فيما عدا ل : « من مخاصميهم وسفهائهم والمتسرعون منهم كثير » .

(٢) أي الشيطان . ل : « العن » تحريف .

(٣) ل : « لم يقعا قط على ما يغضب من ما يرضى » .

(٤) فيما عدا ل : « مقدار طبقات الغضب » .

(٥) فيما عدا ل : « وأعرضوا عنه صفحا » .

(٦) فيما عدا ل : « وقد عزل الحق جانبا » .

قد كتبْنا من كتاب الحيوان ستَّةَ أجزاء ، وهذا الكتابُ السابع هو الذى ذكرنا فيه الفِيلَ بما حضَرنا من جُمْلة القولِ فى شأنه ، و [فى] جملة أسبابه ، والله الموفق . ٤

و إنما اعتمدنا فى هذه الكتب على الإخبار عمَّا فى أجناس الحيوان[١] من الحجج المتظاهِرة ، وعلى الأدلَّة المترادفة[٢] ، وعلى التنبيه على ما جلَّاها الله تعالى من البرهانات[٣] التى لا تعرف حقائقُها إلا بالفكرة[٤] ، وغشَّاها من العلامات التى لا تُنال منافعها إلا بالعبرة ، وكيف فرَّق فيها من الحكم العجيبة[٥] والأحساس الدقيقة ، والصنعة اللطيفة ، وما ألهمها من المعرفة وحشاها[٦] من الُجبن والجرأة ، و بصَّرها بما يُقيتها[٧] ويُعيشُها ، وأشعرها من الفِطنة لما يحاول منها[٨] عدوُّها ، ليكونَ ذلك سبباً للحذر ، و يكونَ حذرُها سبباً للحِراسة ، وحِراستُها سبباً للسلامة ، حتى تجاوزت فى ذلك مقدارَ حراسة المجرِّب من الناس ، والخائفِ المطلوب من أهل الاستطاعة والرويَّة[٩] ، كالذى يروى من تحارُس الغرانيق والكراكى وأشكالٍ من ذلك كثيرة ، حتَّى صار الناسُ لا يضرِبون المثلَ إلا بها ، ولا يذمُّون

---

(١) فيما عدا ل : « وإنما اعتمادنا فى هذا الكتاب على أخبار ما فى أجناس الحيوان » .

(٢) ل : « من الحجج الظاهرة والأدلة المترادفة » . وكلمة : « الظاهرة » محرفة .

(٣) جللها : كساها . وفيما عدا ل : « خلقها » تحريف .

(٤) ط ، هـ : « لا يعرف » . وفيما عدا ل : « إلا من الفكرة » .

(٥) فيما عدا ل : « من الحكمة » :

(٦) حشاها : ملأها ، على المثل . وأنشد ثعلب :

ولا تأنفا أن تسألا وتسلما فما حشى الإنسان شرا من الكبر

فيما عدا ل : « كساها » تحريف .

(٧) فى الأصل : « يقيمها » .

(٨) فيما عدا ل : « بما تحاذر بها عدوها » .

(٩) س ، هـ : « والرؤية » تحريف .

ولا يمدحون إلا بما يجدون فى أصناف الوَحْش من الطَّير وغير ذلك ، فقالوا : أحذر من عَقْعق ، وأحذَر من غراب ، وأحذَر من عصفور ، وأسمع من فَرْخ العُقاب[(١)] ، وأسمع من قُراد ، وأسمعُ من فَرَس ، وأجْبَن من صِفْرِد[(٢)] ، وأسخَى من لافِظَة[(٣)] ، وأصنع من تَنَوُّط ، وأصْنَع من سُرْفة ، وأصنع من دبْر ، وأهدى من قَطاة ، وأهدى من حمام ، وأهدَى من جمل ، [وأزهى من غراب[(٤)]] ، وأزهى من ذباب[(٥)] ، وأجرأ من اللَّيث ، وأكسب من الذِّئب ، وأخدع من ضَبّ ، وأرْوَغ من ثعلب ، وأعقّ من ضَبّ ، وأبرُّ من هِرَّة ، وأسْرَع من سِمْع ، وأظلم من حيّة ، وأظلم من وَرَل ، وأكذبُ من فاختة ، وأصدق من قطاة ، وأمْوَق من رَخَمة ، وأحزَم من فَرْخ العُقاب .

ونبَّهنا تعالى وعزَّ على هذه المناسبة وعلى هذه المشاركة[(٦)] وامتحَن ما عندنا بتقديمها علينا فى بعض الأمور ، وتقديمنا عليها فى أكثر الأمور[(٧)] وأراد بذلك ألاَّ يخلِّينا من حُجة ، ومن النظر إلى عبرة ، وإلى مايعود عند الفكرة[(٨)] موعظة . وكما كره[(٩)] لنا من السَّهو والإغفال ، ومن

(١) فيما عدا ل : « وأحذر من فرخ العقاب » وانظر ما سيأتى فى ص ١٥ ، وأمثال الميدانى فى قولهم : « أسمع من حية . . . » الخ ، كما أنه سبق فى (٦ : ٤٣٩) قول الراجز :

* أسمع من فرخ العقاب الأسحم *

(٢) ط ، هـ : « صافرة » تحريف . وفى س : « صافر » وهذه صحيحة ؛ فإن الصافر مما يضرب به المثل فى الجبن . انظر لجبن الصافر (٣ : ٤٠٥) ولجبن الصفرد (١ : ٢١٣ س ٢) .

(٣) ويقال أيضا : « أسمح من لافظة » . وانظر المثل فى (٢ : ١٤٨—١٤٩) .

(٤) هذه من ل ، س .

(٥) هذا المثل ساقط من س .

(٦) فيما عدا ل : « عن هذه المناسبة وعن هذه المشاركة » .

(٧) فيما عدا ل : « بعض الأمور وتقديمها علينا فى أكثر الأمور » تحريف .

(٨) ط ، هـ : « عند الفطنة » .

(٩) فى الأصل : « ولما » .

البطالة والإهمال ، فجعلنا فى كلّ أحوالنا لا تفتح أبصارُنا إلاّ وهى واقعة على ضربٍ من الدلالة ، وعلى شكلٍ من أشكال البرهانات ، وجعل ظاهرَ مافيها من الآيات داعياً إلى التفكير فيها ، وجعل ما استخزنها من أصناف الأعاجيب يُعرف بالتكشيف عنها[١] ، فمنها ظاهرٌ يدعوك إلى نفسه[٢] ، ويشير إلى مافيه ؛ ومنها باطنٌ يَزيدك بالأمور ثقةً إذا أفضيتَ إلى حقيقته ؛ لتعلم أنّك مع فضيلة عقلِك ، وتصرُّف استطاعتِك إذا ظهر عجزُك عن عمل ماهو[٣] أعجز منك — أنّ الذى فضّلك عليه بالاستطاعة والمنطق ، هو الذى فضّله عليك بضروبٍ أُخَر ، وأنكما ميسَّران لما خُلقتما له ، ومُصرَّفان لما سُخِّرتما له ، وأنّ الذى يعجز عن صَنعة السُّرْفة ، وعن تدبير العنكبوت فى قلّتهما ومَهانتهما وضُعفهما وصِغَر جِرمهما[٤] لاينبغى أن يتكبّر فى الأرض ولا يمشِيَ الخُيَلاء ، ولا يتهكَّمَ فى القول ، ولا يتألّى ولا يستأمر[٥] . وليعلم أنّ عقله منيحة من ربه[٦] ، وأنّ استطاعتَه عاريةٌ عنده ، وأنّه إنّما يستبقى النِّعمة بإدامة [الشُّكر[٧] ، والتعرُّض لسلبها بإضاعة] الشكر .

ثمّ حبّب إليها طاب الذَّرء والسِّفاد الذى يكون مَجْلَبةً للذرء[٨] ، وحبّب إليها أولادَها ونجِلَها وذَرءها ونسلها ، حتّى قالوا : أكرم الإبل أشدُّها حنيناً ، وأكرم الصّفايا أشدُّها حبّاً لأولادها . [وزاوجَ بين أكثرها]

---

(١) فيما عدا ل : « بالكشف عنها » .
(٢) ل : « نصبه » .
(٣) فيما عدا ل : « من هو » .
(٤) فيما عدا ل : « صورها » .
(٥) ل : « يستثنى » .
(٦) فيما عدا ل : « منحة من ربه » .
(٧) فى الأصل ، وهو هنا ل : « النكر » .
(٨) فيما عدا ل : « الولد » .

وجعل تألّفها معَ بعضِها من الطَّروقة[١] إذا لم يكن الزّواج لها خُرقا ، وجعل إلف العِرْس لها عادةً ، وقوّاها على المسافَدة ؛ لتتمَّ النعمة وتعظُم المِنّة[٢] ، وألهمها المبالغةَ فى التّربية ، وحُسْنَ التعبُّد ، وشدَّة التفقُّد ، وسوَّى فى ذلك بين الجِنس الذى يُلقِّم أولاده تلقيما ، وبين الذى يُرضِعُها إرضاعا ، وبين الذى يزقُّها زَقًّا ، وبين ما يحضُن ومالا يحضن . ومنها ما أخرجها من أرحام البَيض وأرحام البطون كاسيةً ، ومنها ما أخرجها كاسيةً كاسِبة ، وأمتعَها وألذَّها[٣] ، وجعلها نِعمةً على عباده وامتحاناً لشكرهم ، وزيادةً فى معرفتهم ، وجِلاءً لما يترا كم من الجهل على قُلوبهم . فليس لهذا الكتاب ضدٌّ من جميع مَن يشهد الشّهادة ، ويصلِّى إلى القبلة[٤] ، ويأ كل الذّبيحة ولا ضدٌّ من جميع الملحدين ممّن[٥] يقرُّ بالبعث وينتحل الشّرائع وإن ألْحَدَ فى ذلك وزاد ونقص ، إلاّ الدّهرىّ ؛ فإنّ الذى ينفى الربوبيّة[٦] ويُحيل الأمرَ والنّهىَ ، ويُنكر جوازَ الرّسالة ، ويجعل الطِّينة قديمة ، ويَجحد الثّوابَ والعِقاب ، ولا يعرف الحلالَ والحرام ، ولا يقرُّ بأنّ فى جميع العالَم برهاناً يدلُّ على صانعٍ ومصنوع ، وخالق ومخلوق ، ويجعلُ الفلك الذى لا يعرف نفسه من غيره ، ولا يفصل بين الحديث والقديم ، وبين المحسن والمسىء ، ولا يستطيع الزيادةَ فى حركته ، ولا النُّقصانَ مِن دورانه :

---

(١) الطروقة ، بالفتح : الأنثى التى بلغت الضراب . ل : « وكثر لبعضها من الطروقة » .

(٢) فيما عدا ل : « وتم المنة » .

(٣) فيما عدا ل : « وأمتعها وأولدها » .

(٤) فى الأصل : « ويصلى القبلة » .

(٥) ط ، هـ : « من » .

(٦) ط ، هـ : « الرب » ل : « الربوبة » . وهذه محرفة .

ولا مُعاقبةَ للسُّكون بالحرَكة[١] ، ولاالوقوفَ طرْفةَ عينٍ ، ولا الانحرافَ عن الجهة ـ هو[٢] الذى يكون به جميع الإبرام والنَّقض ، ودقيقُ الأمور وجليلُها ، وهذه الحِكَمُ العجيبة ، والتدابير المتقنة ، والتأليف البديع[٣] ، والتركيب الحكيم ، على حسابٍ معلوم ؛ ونسَق معروف ، على غايةٍ من دقائق[٤] الحكمة ، وإحكام الصَّنعة . ٦

ولا ينبغى لهذا الدّهرىّ أيضاً أن يعرِض لكتابنا هذا وإنْ دلّ على خلافِ مذهبه ، ودعا إلى خلافِ اعتقاده ؛ لأنّ الدّهرىّ ليس يرى أنّ فى الأرض ديناً أو نِحْلةً أو شريعةً أو مِلّة ، ولا يرى للحلال حُرْمةً ولا يعرفه ، ولا للحرام نهايةً ولا يعرفه ، ولا يتوقَّع العقابَ على الإساءة ، ولا يترجّى[٥] الثوابَ على الإحسان . وإنّما الصواب عنده والحقّ فى حُكْمه ، أنّه والبهيمةَ سِيّانِ ، وأنّه والسَّبُعَ سِيّانِ ، ليس القبيحُ عنده إلاّ ماخالف هواه [وليس الحسَن عنده إلّا ما وافق هواه] ، وأن مدار الأمْر على الإخفاق والدَّرَك ، وعلى اللذّة والألم ، وأنّما الصواب فيما نال من المنفعة[٦] وإن قتلَ ألفَ إنسانٍ صالحٍ لمَنالةِ درهمٍ ردىء[٧] . فهذا الدّهرىّ لايخاف إن ترك

(١) ل : « السكون للحركة » .

(٢) هو ، أى الفلك ، الذى تقدم ذكره .

(٣) فيما عدا ل : « والتآليف البديعة » .

(٤) فيما عدا ل : « من حقائق » .

(٥) فيما عدا ل : « يتوخى » تحريف .

(٦) س : « نال به منفعة » .

(٧) ط : « لنالة » س ، هـ : « لناله » صوابهما فى ل . والمنالة : الحصول على الشىء ، مصدر ميمى .

الطّعْن على جميع الكتب عقاباً ولا لائمةً ، ولا عذاباً [دائماً] ولا منقطعاً ولا يرجو إنْ ذمّها ونَصَب لها[1] ثواباً فى عاجل ولا آجل .

فالواجبُ أن يسلم هذا الكتابُ على جميع البريّة ، إذ كان موضعه على هذه الصّفة ، ومُجراه إلى هذه الغاية . والله تعالى الكافى الموفّق بلطفه وتأييده[2] ، إنّه سميع قريب ، [فعال لما يريد] .

ثم رجع بنا القولُ إلى الإخبار عن الحيوان ، وبأىّ شىء تفاضلتْ ، وبأىّ شىء خُصّت ، وبماذا أبينت[3] . وقد عرفنا ما أُعطيت فى الشّمّ والاستِرواح ؛ قال الرّاجز[4] وذكر الذئب :

يستخبِرُ الرّيحَ إذا لم يسمَعِ   بمثل مِقْراع الصّفا الموقَّعِ[5]

وقد عرفنا كيف شمُّ السّنانيرِ والسّباع والذّئاب . وأعجبُ من ذلك وِجدانُ الذّرّة لرائحةِ شىء لو وضعتَه على أنفك لَمَا وجدْتَ له رائحةً ، كرِجل جرادةٍ يابسةٍ منبوذةٍ ، كيف تجدُ رائحتها من جوف جُحرها حتّى تخرج إليها ؛ فإذا تكلّفتْ حمَلها فأعجزَتْها كيف تستدعى إليها سائر الذّرّ ، وتستعينُ بكلّ ما كان منها فى الجحر . ونحوِ شمّ الفرَس رائحة الحِجْر

(١) نصب لها : عاداها وتجرد لها . انظر ما سبق فى التنبيه الأول من ص ٧ . ط ، س : « نصب إليها » ه : « انب لها » والوجه ما أثبت من ل .

(٢) ل : « والموفق بتأييده » .

(٣) فيما عدا ل : « أنبت » .

(٤) هو أبو الرديني العكلى ، كما سبق فى (١ : ٣٤) والبيان (١ : ٧٢) وانظر الحيوان (٤ : ١٣٢) .

(٥) الموقع : المحدد . فيما عدا ل : « المرقع » تحريف . وروايته فى اللسان (عخر) : « يستمخر » ؛ استمخر الريح : قابلها بأنفه ليكون أروح لنفسه .

من مَسيرة ميلٍ . والفرسُ يسيرقُدُما[١] والحِجْر خلفه بذلك المقدار ، من غير تلَفُّتٍ ولا معايَنةٍ من جهة من الجهات . وهذا كثيرٌ ، وقد ذكرناه في غير هذا الموضع[٢] .

فأمَّا السَّمع فدعنا من قولهم : «أسمعُ من فَرَس» و : « أسمع من فرْخ العقاب » ، وأسمع من كذا ، وأسمع من كذا . ولـكنَّا نقصِدإلى الصَّغيرالحقير في اسمه وخطَره ، والقليلِ في جسمه وفي قَدْره .

وتقول العرب : « أسمع من قُراد » ، ويستدلون بالقِردان التي تكون حَول الماء[٣] والبئر . فإذا كان ليلةَ ورود القرَب[٤] ، وقد بعث القومُ من يصلح لإبلهم الأرشِيةَ وأداةَ السقى ، وباتت الرجال [عند الماء[٥]] تنتظر ٧
مجيء الإبل ، فإنها تعرف قربَها منهم في جوف الليل بانتفاش القِرْدان[٦] وسرعةحركتها وخشخشتها ، ومرورها نحو الرعاء ، وزجر الرعاء[٧] ، ووقْع الاخفاف على الأرض ، من غير أن يُحسّ أولئك الرجالُ حسًّا[٨] أو يشعروا بشيء من أمرها . فإذا استدلُّوابذلك من القِردان نهضوا [فتلبَّبوا]واتزرُوا[٩] وتهيئوا للعمل .

---

(١) سار قدما : مضى لم يعرج ولم ينثن . ط ، س : « قداما » .
(٢) انظر ماسبق في (٢ : ١٤١/٤ : ٤٠٢) .
(٣) فيما عدا ل : « المياه » .
(٤) القرب ، بالتحريك : أن يسير القوم إبلهم وهم في ذلك يسيرون نحو الماء ، فإذا بقيت بينهم وبين الماء عشية عجلوا نحوه ؛ فتلك الليلة ليلة القرب . ط ، س : « العرب » تحريف .
(٥) هذه التكملة من ل ، س . وفي س زيادة « لما » في آخر هذه العبارة » .
(٦) ل : « بانتفاش القردان » .
(٧) فيما عدا ل : « نحو الراعي وزجر الراعي » .
(٨) فيما عدا ل : « تحس أولئك الرجال حسها » .
(٩) التلبب : أن يتحزم بثوبه عند صدره . والاتزار : لبس الإزار ، في لغة =

فأمّا إدراك البصر[١] فقد قالوا : « أبصر من غراب » و « أبصر من فرس » ، و « أبصر من هدهد » و « أبصر من عقاب » .

والسّنانير والفأرُ والجِرذان والسّباع تُبصر بالليل كما تبصر بالنّهار ؛ فأمّا الطُّعم فيظنّ أنها بفرط الشّره والشّهوة[٢] وبفرط الاستمراء وبفرط[٣] الحِرص والنّهم ، أن لذّتها تكون على قَدْر شَرهها وشهوتها ، وتكون على قدر ما تَرَى من حركتها[٤] وظاهر حرصها . ونحن قد نرى الحمار إذا عاين الأتان ، والفرس إذا عايَنَ الحِجْر والرمكةَ[٥] والبغلَ والبغلةَ ، والتيسَ والعنز[٦] ، فنظن [أن اللذّة] على قدر الشهوة ، والشهوةَ على قدر الحركة ، وأن السِّياحَ على قدر غلبة الإرادة . ونجد الرِّجال إذا اعتراهم ذلك لا يكونون كذلك إلاّ فى الوقت الذى هم فيه أشدُّ غُلْمة وأفرَط شهوة .

فإنْ قال قائل : إن الإنسان يغشى النِّساء[٧] فى كلِّ حالٍ من الفصلين والصَّميمين[٨] ، وإنما هَيْجُ السِّباع والبهائم فى أيام من السنة[٩] .

= يدغم الهمزة فى التاء ، كما تقول أتمه فى ائتمنه . فيما عدا ل : «ويرزوا» وانظر العلاقة بين الإبل والقردان ماضى فى (٥ : ٤٣٣) .

(١) فيما عدا ل : « درك البصر » .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من . ل ، ط ، هـ : « فيظنون أن لفرط الشهوة » س : « فظن أنه لفرط الشره فى الشهوة » .

(٣) فيما عدا ل : « ولفرط » .

(٤) فيما عدا ل : « ويكون » تحريف . ط ، هـ : « مايرى » .

(٥) فيما عدا ل : « والرمك » .

(٦) أى إذا عاين البغل البغلة والتيس العنز . اكتفى بالفعل المتقدم .

(٧) فيما عدا ل : « يعشق النساء » تحريف .

(٨) يراد بالصميمين الصيف والشتاء فى أشد حالاتهما . انظر (٢ : ٢٣٥) .

(٩) فيما عدا ل : « فى فصل معلوم » .

[ثمّ يسكن] هيج التَّيس والجمل ؛ فالإنسان[1] المداوم أحسن حالاً .

قلنا : إنّا لم نَكن[2] فى ذكر المخايَرة بين نصيب الإنسان فى ذلك مجموعاً ومفرّقاً ، وبين نصيب كلّ جنسٍ من هذه الأجناس مجموعاً ومفرّقاً ، وإنّما ذكرنا نفس المخالطة فقط[3] . وما يدريكم أيضاً لعلها أنْ تستوْفى[4] فى هذه الأيّام اليسيرة أضعافَ ما يأتى الإنسانُ فى تلك الأيّام الكثيرة . وعلى أنّا قد نرى ممّا يعترى الحمارَ والفرسَ والبغلَ وضروباً كثيرة إذا عاينوا الإناث فى غير أيام الهيج . وها هنا أصنافٌ تُديم ذلك كما يُديمه الإنسان ، مثل الحمام والدِّيَكَة وغير ذلك . وقد علمنا أنّ السّنانيرَ وأشباهَ السنانير لها وقتُ هيجٍ ، ولكنّ ذلك يكون مرارًا فى السّنَة على أشدّ من هَيج الإنسان ، فليس الأمر على ما يظنُّون . فإن كان الإنسانُ موضعُ ذهنِه من قلبه أو دماغه يكونُ أدقَّ وأرقَّ وأنفذَ وأبصر ، فإنّ حواسّ هذه الأشكالِ أدقُّ وأرقّ وأبصر وأنفذ . وإن كان الإنسانُ يبلغُ بالرويّة والتصفّح ، والتحصيل والتمثيل ما لا يبلغه شىء من السّباع والبهائم ، فإنّ لها أمورًا تدركها ، وصنعةً تحذقها تبلغُ منها بالطبائع سهوًا وهويًّا[5] ما لا يبلغ[6] ٨
الإنسانُ فى ما هو بسبيله إلاّ أن يُكرِهَ نفسَه على التفكير ، وعلى إدامة التنقير والتكشيف والمقاييس فهو يستثقله .

(١) فيما عدا ل : « والإنسان » .

(٢) فيما عدا ل : « إذا لم يكن » .

(٣) الكلام بعد هذا إلى نهاية البيت الذى صدره : « وإن قيل احلى » فى ص ٢٠ ساقط من ل .

(٤) ط ، هـ : « تستوى » صوابهما فى س .

(٥) الهوى : السقوط . عنى به الوقوع على الصنعة بدون إرادة وإدراك .

(٦) ط ، هـ : « مما لا يبلغ » .

ولكلّ شيء ضربٌ من الفضيلة وشكلٌ [من(١)] الأمور المحمودة ؛ لينفى تعالى وعزّ عن الإنسانِ العُجْب ، ويقبّح عنده البطَر ، ويعرّفه أقدار القَسْم .

وسنذكر من فطن البهائم وأحساس الوَحْش وضُروب الطَّير أموراً تعرفون بها كثْرَةَ ما أودعها الله تعالى من المعارف ، وسخّر لها من الصنعة(٢) ؛ ثم لا نذكر من ذلك فى هذا الموضع إلاّ كلَّ طائرٍ(٣) منسوبٍ إلى المُوق ، وإلاّ(٤) كلَّ بهيمةٍ معروفةٍ بالفتاثة ، بعِدّةِ ما فيه أشكالُها من المعرفة والفطنة . ولو أردنا الأجناسَ المعروفةَ بالمعارف الكثيرةِ والأحساسِ اللَّطيفة ، لذكرنا الفيلَ والبعير ، والذرة والنملة ، والذئب والثعلب ، والغرنوق ، والنحْلة ، والعنكبوت ، والحمامَ ، والكلب .

وسنذكر عَلَى اسم الله تعالى بعضَ ما فى البهائم والسِّباع والطير من المعرفة ، ثمّ نخصُّ فى هذا الكتابِ المنسوباتِ إلى المُوق ، والمعروفاتِ بالغباوةِ وقِلّة المعرفة ، كالرَّخَمة والزنبور ، والرُّبَعِ من أولاد الإبل ، والنّسر من عِظام الطير .

وقال المفضَّل الضبيّ : قلت لمحمد بن سهل راوية الكميت : ما معنى قول الكميت فى الرَّخَمة :

وذات اسمين والألوانُ شَتّى ... تحمّق وهى كيِّسة الحَويلِ(٥)

لها خِبٌّ تلوذُ به وليست ... بضائعة الجَنين ولا ذَؤولِ(٦)

---

(١) هذه من س .

(٢) ط ، ه : « وسخرها فى الصنعة » .

(٣) فى الأصل : « إلا من كل طائر » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س . وبدلها فى ط ، ه : « وإلى » .

(٥) فى اللسان : « حاولت الشيء ، أى أردته ؛ والاسم الحويل » وأنشد هذا البيت .

(٦) الذءول : وصف من الذأل ، بالتحريك ، وهو الضجر والقلق . س : « بضايعة » ه : « الحنين » محرفتان .

قال[١] : كأنّ معناه عندى حفظُ فراخها أو موضع بيضها ، وطلب طعمها ، واختيارها من المساكن مالا يَطُوره سبع[٢] طائر ولا ذو أربع . قال : فقلت : فأىُّ كيس عند الرَّخمة إلاّ ماذكرت ، ونحن لانعرف طائراً ألأم لؤما ولا أقذَر طُعْمَةً ، ولا أظهر مُوقا منها ، حتى صارت فى ذلك مثلا ؟! فقال محمد بن سهل : « وما حمقُها وهى تحضن بيضها ، وتحمى فراخها ، وتحبُّ ولدها ولا تمكِّن إلاّ زوجها ، وتقطع فى أوّل القواطع وترجع فى أوّل الرواجع ، [ولا تَطير فى التحسير ؛ ولا تغترُّ بالشَّكير ؛ ولا تُرِبُّ بالوكور ولا تسقط على الجفير » .

أما قوله : « تقطع فى أول القواطع وترجع فى أوّل الرواجع[٣] » [فإنّ الرُّماة وأصحابَ الحبائلِ والقُنَّاصَ إنّما يطلبون الطير بعد أن يعلموا أنّ القواطع قد قَطعَتْ ، فبِقطع الرَّخمة يستدلُّون . فلا بدَّ للرَّخَمَة من أن تنجوَ سالمةً إذا كانت أوّلَ طالعٍ عليهم .

وأمّا قوله : «ولا تُرِبُّ بالوُكور[٤] » [فإنّه[٥]] يقول : الوكر لايكون إلا فى عُرْض الجبل ، وهى لا تَرضى إلا بأعالى الهضاب ، ثمّ مواضعِ الصّدوع وخِلالِ الصخور ، وحيث يَمتنعُ على جميع الخلقِ المصيرُ إلى فراخها . ٩
ولذلك قال الكميت :

---

(١) فى الأصل : « قال المفضل » وإنما القائل هو محمد بن سهل .
(٢) يطوره : يقرب ويدنو منه . ط ، هـ : « طائرا » صوابهما فى س .
(٣) هذه التكملة من نهاية الأرب (١٠ : ٢٠٨) حيث نقل عن الحيوان .
(٤) وأما قوله ، ساقطة من هـ . وفى ط ، س : « وأما قولهم » تحريف . وترب ، من قولهم أرب بالمكان يرب به إربابا : أقام به فلم يبرحه . وفى الأصل : « تراب » تحريف .
(٥) ليست فى الأصل .

ولا تجعلونى فى رَجائِىَ وُدَّ كُم . كراجٍ على بَيضِ الأنوقِ احتيالَهَا[1]

والأنوقُ هى الرَّخمة . وقال ابن نوفل[2] :

وأنتَ كساقطٍ بينَ الحشايا يَصِيرُ إلى الخبيثِ من المَصيرِ

ومثـلُ نَعامةٍ تُدعَى بعيرًا تعاظُمِها إذا ماقيـلَ طِيرِى[3]

وإن قيل احمـلى قالت فإنّى من الطّيرِ المُرِبَّةِ فى الوكورِ[4]

وأما قوله : [«ولا تطير فى التَّحسيرِ[5]]، ولا تغتَرُّ بالشَّكير[6]» فإنها [تدعُ الطيرانَ أيام التحسير ، فإذا نبت الشَّكير ـ وهو أول ما ينبت من الريش ـ فإنها] لا تَنْهض[7] حتى يصير الشكير قَصَبا . وأمّا قوله : « ولا تسقُط على الجَفِير » فإنما يعنى جعبة السّهام[8] ، [يقول : إذا رأته علت أنّ هناك سهامًا ، فهى لا تسقط فى موضـــع تخاف فيه وقع السّهام[9]] .

---

(١) الاحتبال : أخذ الصيد بالحبالة ، وهى المصيدة . وفى الأصل : « احتيالها » صوابه من نهاية الأرب (١٠ : ٢٠٨) .

(٢) هو يحيى بن نوفل . انظر الحيوان (٢ : ٢٦٧/٤ : ٣٢٢) .

(٣) انظر روايات البيت فى (٤ : ٣٢٢) .

(٤) روى فى (٤ : ٣٢٢) : « بالوكور » .

(٥) هذه التكملة من نهاية الأرب (١٠ : ٢٠٨) .

(٦) فيما عدا ل : « تغير » صوابه فى ل ونهاية الأرب .

(٧) فيما عدا ل : « تنهض بالشكير » وكلمة « بالشكير » مقحمة .

(٨) الجعبة ، بالفتح : كنانة النشاب فى أعلاها اتساع يفرج أعلاها لئلا يتكك ريش السهام ، والوفضة أصغر منها وأعلاها وأسفلها مستو . فيما عدا ل : « فأنما عنى » .

(٩) كلمة « فيه » ليست فى الأصل ، وهو هتال ، وإثباتها من نهاية الأرب .

(أتباع الرخم والنسور والعقبان للجيوش)

والرَّخم والنَّسور والعِقبان تتبع الجيوشَ لتوقع القتال وما يكون لها من الجِيف ، وتتبع أيضاً الجيوشَ والحُجَّاج لما يسقط من كَسِيرِ الدَّوابّ[(١)] ، وتتبعها أيضاً فى الأزمنة التى تكون فيها الأنعام والحُجور حواملَ ، لِمَا تؤمِّل من الإجهاض والإخداج[(٢)] . قال النابغة[(٣)] :

وثِقتُ لهُ بالنَّصرِ إذْ قِيلَ قد غَدَتْ ... كتائبُ من غسَّان غيرِ أشائبِ[(٤)]
بنو عمِّه دُنْيا وعمرُو بن عامرٍ ... أولئك قومٌ بأسهُم غير كاذبِ
[إذا ماغزَوْا بالجيش حَلّقَ فوقهمْ ... عصائبُ طيرٍ تَهتدى بعصائبِ]
جوانحَ قــد أيقنَّ أنَّ قبيلَه ... إذا ما التقى الجمعان أوّلُ غالبِ
تراهُنَّ خَلْفَ القَومِ خُزْرًا عيونُها ... جُلوسَ شيوخٍ فى مُسوكِ الأرانبِ[(٥)]

فأخذ هذا المعنى حميد بن ثور الهلالى فقال :

إذا ماغـــــزا يومًا رأيتَ عِصابةً
من الطَّير ينظُرْنَ الذى هو صانِعُ[(٦)]

---

(١) الكسير : المكسور . وفى نهاية الأرب : « كسرى » وهو جمع كسير » وفى ل : « حسرى » وهو جمع حسير ، أى مجهد معى . وفى س ، هـ : « كثير » وهذه محرفة .

(٢) الإخداج : أن تجىء بولدها ناقص الخلق .

(٣) من أول قصيدة فى ديوانه يمدح بها عمرو بن الحارث الأصغر .

(٤) ل : « وثقت لهم بالنصر إذ قيل قد غزوا » . وفى الديوان : « وثقت له بالنصر إذ قيل قــد غزت » . الأشائب : الأخلاط من الناس ، جمع أشابة بالضم .

(٥) هذه رواية ل . وفيما عدا ل : « الشيوخ فى ثياب المرانب » . وانظر مامضى من الكلام على هذه الأبيات فى (٦ : ٣٢٢ — ٣٢٣) .

(٦) انظر ما مضى فى (٦ : ٣٢٤) . والبيت ساقط من ل .

وقال آخر[١] :

يكسُو السيوفَ نفوسَ النَّاكثين به ... ويجعل الرُّوسَ تِيجَانَ القَنا الذُّبُلِ
قد عوَّدَ الطَّيرَ عاداتٍ وثِقن بها ... فهُنَّ يَتْبَعنَهُ فى كلّ مُرْتحَلِ

فقال الكميت كما ترى[٢] :

* تحمَّق وهى كيِّسةُ الحَوِيلِ *

[فزعم أن النَّاس يحمقونها وهى كيِّسة] .

(قول بعض الأعراب)

وقال بعضُ أصحابنا : قيل لأعرابىٍّ أتحسن أنْ تأكُل الرَّأسَ ؟ قال : نعم . قيـــل وكيف : تصنع به ؟ قال : « أبخصُ عينيه[٣] وأسْحَا خدَّيه[٤] وأعفص أذنيه[٥] وأفكُّ لحيَيه ، وأرْمى بالمخِّ[٦] إلى مَن هُو أحوجُ منِّى إليه » . قيل له : إنك لأحمق من رُبَع[٧] . قال : و« ما حمق الرُّبَع ؟ ! والله إنَّه ليَجْتَنبُ العُدَوَاء[٧] ويتبع أمَّه فى المرعى ، ويُرَاوِحُ بين الأطْباء ، ويعلم أنَّ حَنينها رُغاء ، فأين حمقُهُ » .

---

(١) هذا الانشاد ساقط من ل والبيتان لمسلم بن الوليد كما سبق فى (٦ : ٣٢٤) .
(٢) ل . « كما مر » . وانظر ص ١٨ س ١٦ .
(٣) بخص عينه يبخصها ، بفتح الخاء : قلعها مع شحمتها . فيما عدا ل : « أعض عينيه » تحريف .
(٤) سحاه يسحوه ويسحيه ويسحاه سحوا وسحيا : قشره . وهـــذه العبارة ساقطة من ل .
(٥) العفص : الثنى والعطف . ط ، س : « أعقص » بالقاف ، صوابه بالفاء . والخبر رواه صاحب اللسان فى مادة (عفص) . وهذه العبارة وتاليتها ساقطة من ل .
(٦) فى الأصل : « بالدماغ » والوجه ما أثبت من اللسان .
(٧) الربع ، بضم ففتح : الفصيل الذى ينتج فى الربيع .
(٨) العدواء ، بضم ففتح ، يقال فرس ذو عدواء إذا لم يكن ذا طمأنينة وسهولة . فيما عدا ل : « ليجنب » تحريف ، و « العدوى » تحريف كذلك .

(قتل المكاء للثعبان)

وحدث ابنُ الأعرابيّ عن هشام بن سالم ، وكان هشام من رَهْط ذى الرُّمّة ، قال : أكلتْ حيّةٌ بيضَ مُكّاء[1] فجعل المُكّاء يشرشر على رأسها ويدنو منها ، حتّى إذا فتحت فاها تريده [وهمّتْ به] ألقى فيه حَسَكة ، فلم يزل يُلقى فيه حسكةً بعد حسكة[2] . فأخذَتْ بحلقها حتّى ماتت .

وأنشد ابن الأعرابيّ عند هذا الحديث قولَ الشاعر :

كَأنّ لكُلِّ عندَ كُلِّ سخيمةً ... يُرِيد بتخرِيق الأدِيم استلالَها

وأنشد أبو عمرو الشيبانى بيتَ شعر ، وهو هذا المعنى بعينه ، وهو قول الأسدىّ الدُّبيرى[3] :

إنْ كنتَ أبصرْتنى فَذًّا ومُضْطَلَمًا ... فرُبّما قتَلَ المُكّاءُ ثُعبانا[4]

يقول : قد يظفر القليل بالكثير[5] . والقليلُ الأعوانِ بالكثير الأعوان . والمُكّاء من أصغر الطير وأضعفه ، وقد احتال الثّعبان حتّى قتله .

---

(١) المكاء ، بالضم والتشديد : طائر مثل القنبرة إلا أن فى جناحيه بلقا ، سمى بذلك لأنه يمكو ، أى يصفر صفيرا حسنا . والمكاء مخفف : الصفير ، وفى التنزيل العزيز : (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) .

(٢) الكلام من : « فلم يزل » إلى هنا ليس فى ل .

(٣) الدبيرى : نسبة إلى « دبير » وهو أبو قبيلة من أسد ، كما فى القاموس (دبر) . ط ، هـ : « الزبيرى » س : « الزبيدى » صوابهما فى ل .

(٤) الفذ : الفرد . ط ، ل : « قدا » س : « فظا » صوابهما فى هـ .

(٥) ط ، هـ : « قد يظهر » تحريف .

(قول جالينوس فى معرفة أنثى الطير)

وقال جالينوس فى الإخبار عن معارف البهائم والطير ، وفى التعجّب من ذلك وتعجيب الناس منه : قولوا لى : مَن علَّمَ النسرَ الأنثى إذا خافت على بيضها وفراخها الخفافيش أن تفرِش ذلك الوَكْر بورق الدُّلْب[1] حتّى لاتقربه الخفافيش . وهذا أعجب[2] ، والأطباء والعلماء لا يتدافعونه . والنّسور هى المنسوبة إلى قلّة المعرفة والكيس والفطنة .

(حزم فرخ العقاب)

وقال ابنُ الأعرابىّ وأبو الحسن المدائنى : قال رجلٌ من الأعراب : « كان سنان بن أبى حارثة أحزَم من فرخ العقاب » . وذلك أنّ جوارح الطير تتّخذ أوكارها فى عُرْض الجبال[3] ، [فربّما] كان الجبلُ عمودًا ، فلو تحرّك الفرخ إذا طلب الطعم وقد أقبل إليه أبواه أو أحدهما وزَادَ فى حركته شيئًا من موضع مَجثِمِه لَهوَى من رأس الجبل إلى الحضيض . وهو يعرف مع صِغره وضُعْفه وقِلّة تجربته ، أنّ الصواب فى ترك الحركة .

---

(١) الدلب ، بالضم : شجر يعظم ويتسع ولا نور له ولا ثمر ، وهو مفرض الورق واسعه ، شبيه بورق الكرم . وقال داود : « يعظم عند المياه جدا ، حتى رأيت شجرة منه تظل نحو عشرين فارسا . وورقه كورق العنب لكنه أدق ، وأحد وجهيه مزغب » .

(٢) ط ، ل : « أعجب » .

(٣) ل : « الجبل » .

(اختلاف عادات صغار الحيوان)

ولو وُضِع فى أوكار الوحشيّاتِ فرخٌ من فراخ الاهليّات لتهافتن تهافُتاً كفراخ القطا والحجَل والقبَج والدرّاج والدّجاج ؛ لأنّ هذه تدرج على البَسيط[١] ، وذلك لها عادة ، وفراخ الوحشيّة لا تجاوز الأوكار ؛ لأنها تعرف وتعلم أنّ المهلكة فى المجاوزة . وأولادُ الملاّحين الذين وُلدوا فى السّفن الكبار والمنشآت العظام[٢] لا يخاف الآباء والأمّهات عليهم إذا درجوا ومَشوا أنْ يقعوا[٣] فى الماء . ولو أنّ أولاد سُكّان القصور والدّور صاروا مكان أولادِ أرباب السفن لتَهافتوا[٤] . ولكلّ شىء قَدْر ، ١١
وله موضعٌ وزمانٌ وجهةٌ وعادةٌ .

فإذا استوى قصب ريش [فرخ] العقاب ، وأحسَّ بالقوة طار .

وأبوَا فَرخِ الخطّاف يعلّمانه الطيرانَ تعليما .

(الختان عند اليهود والمسلمين والنصارى)

وزعم ناسٌ من أطبّاء النصارى وهم أعداء اليهود ، أن اليهود[٥] يختِنون أولادَهم فى اليوم الثّامن ، وأن ذلك يَقع[٦] ويوافِق أنْ يكون

(١) تدرج : تمشى . والبسيط : المنبسط من الأرض . فيما عدا ل : « تمر على البسيط » تحريف .

(٢) المنشآت ، بفتح الشين : السفن المرفوعة الشرع ؛ وبكسرها : الرافعة الشرع . وبهما قرئ قول الله عز وجل : ﴿وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام﴾ . ل : « والمشاهرات » تحريف .

(٣) ط : « أن يقع » ل : « لن يقعوا » صوابهما فى س ، هـ .

(٤) فيما عدا ل : « تهافتوا » .

(٥) فيما عدا ل : « أنهم » .

(٦) ط ، س : « تقع » صوابهما فى ل ، هـ .

فى الصَّميمين ، كما يوافق الفصلين[١] ، وأنَّهم لم يَرَوْا قطّ يهوديًّا أصابه مكروه من قِبَل الختان ، وأنهم قد رَأَوْا من أولاد المسلمين والنَّصارى ما لا يُحصى مِمَّنْ لقِى المكروهَ فى ختانه[٢] إذا كان[٣] ذلك فى الصَّميمين من ريح الحمرة[٤] ، ومن قطع طَرَف الكمرة ، ومن أن تكون المُوسَى حديثةَ العهْد بالإحداد وسَقْيِ الماء ، فتشيط[٥] [عند] ذلك الكَمرة ويعتريها بَرَص . والصبىّ[٦] ابنُ ثمانية أيام أعسر [ختانًا] من الغُلام الذى قد شَبَّ وشدَن وقَوِىَ ، إلاّ أنّ ذلك البرصَ لا يَتَفشّى[٧] ولا يعدو مكانَه [وهو فى ذلك] كنحو البرص الذى يكون من الكىّ وإحراق النار ، فإنهما يفحشان ولا يتسعان[٨] .

(ختان أولاد السفلة وأولاد الملوك وأشباههم)

ويختن من أولاد السِّفْلة والفقراء [الجماعةُ الكثيرة] فيؤمَن عليهم خطأُ الخاتن ، وذلك غير مأمونٍ على أولاد الملوك وأشباهِ الملوك ؛ لِفرط الاجتهاد و [شدّة] الاحتياط ، ومع ذلك يَزْمَعُ[٩] ، ومع الزَّمَعِ[١٠]

---

(١) سبق الكلام على الصميمين فى ص ١٦ . فيما عدا ل : « كما وافق » .
(٢) فيما عدا ل : « ممن لا يحصى من لقى من المكروه فى ختانه » .
(٣) فيما عدا ل : « إن » .
(٤) الحمرة : داء يعترى الناس فيحمر موضعها ، وهو من جنس الطواعين .
(٥) شاط يشيط : هلك ، واحترق . فيما عدا ل : « فيسقط » .
(٦) فيما عدا ل : « ويظن أن » .
(٧) يتفشى : ينتشر . فيما عدا ل : « برص لا يتقشر » تحريف .
(٨) فيما عدا ل : « وإن كانا لا ينبتان » لكن فى هـ : « لا ينسقان » والصواب ما أثبت من ل .
(٩) أى يزمع الخاتن . والزمع : الدهش ، ورعدة تعترى الانسان إذا هم بأمر . فيما عدا ل : « يزيع » تحريف .
(١٠) فيما عدا ل : « الزيع » تحريف .

والرّعدة يقع الخطأُ ، وعلى قدر رعدة اليد[١] ينال القلبَ من الاضطراب على حسَب ذلك .

(حسن التدبير فى الختان)

وليس من التدبير أن يحضُر الصبىَّ والخاتنَ إلاّ سفلة الخدم ، ولا يحضره مَن يهاب .

(قدم ختان العرب)

وهذا الختانُ فى العرب فى النِّساء والرِّجال من لدُنْ إبراهيم وهاجرَ إلى يومنا هذا . ثم لم يُولَد صبىٌّ مختونٌ قط[٢] أو فى صورةِ مختون .

(ختان الأنبياء)

وناسٌ يزعمون أنَّ النبى صلى الله عليه وسلم وعيسى بن مريم وُلِدَا مختونين ، والسَّبيلُ فى مثلِ هــذا الرُّجوعُ إلى الرواية الصحيحة [والأثر القائم] .

(أثر الختان فى اللذة)

قال : والبظراء تجد من اللذّة مالا تجده المختونة ، فإنْ كانت مُستأصَلةً مستوعَبةً كان على قدر ذلك . وأصل ختان النساء لم يُحاوَلْ به الحسنُ دونَ التماس نُقصان الشهوة ، فيكون العفاف عليهنّ مقصوراً[٣] . قال :

---

(١) فيما عدا ل : « وعلى قدر الاحتياط إليه » تحريف .
(٢) ل « قط مختونا » .
(٣) ل : « مقصورا عليهن » .

ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم [للخاتنة] : « يا أم عطيَّة أشمِّيه ولا تَنْهَكِيه[(١)] ؛ فإنَّه أَسْرَى للوجْه[(٢)] ، وأحظَى ، عند البعل » . كأنه أراد النبيُّ صلى الله عليه وسلم أن ينقُص من شهوتها بقدر ما يردُّها إلى الاعتدال ؛ فإنّ شهوتها إذا قلَّتْ ذهبَ التمتُّع ، ونقَصَ حُبُّ الأزواج ، وحبُّ الزَّوج قيدٌ دون الفجور[(٣)] : والمرأة لا تكونُ فى حالٍ من حالات الجماع أشَدَّ شهوةً منها للكَوْم الذى لقحت منه[(٤)] .

وقد كان رجلٌ من كبار الأشراف عندنا يقول للخاتنة : لا تقرضى
١٢ إلاّ ما يظهر فقط .

(أثر الختان فى العفاف والفجور)

وزعم جَنَاب بن جسَّاس[(٥)] القاضى ، أنه أحصى فى قرية [واحدة] النِّساء المختونات والمُعْبَرات[(٦)] ، فوجدأ كثر العفائف مستوعَبات[(٧)] وأكثر الفواجر مُعْبَرَات[(٨)] ، وأنّ نساء الهندوالروم[(٩)] وفارس إنّما صار الزنا وطلب

---

(١) الاشمام : أن تأخذ منه قليلا . فيما عدا ل : « شميه » تحريف .

(٢) أسرى : أجلى . ط : « أسر » هـ : « اسرا » . ويروى : « أضوأ للوجه » .

(٣) فيما عدا ل : « فيه دون الفجور » .

(٤) ط ، هـ : « للكرم » .

(٥) جناب بن الخشخاش العنبرى ، ترجم له فى لسان الميزان (٢ : ١٣٨) وقال : « روى عنه عبد الله بن معاوية الجمحى » وذكره الذهبي فى المشتبه . ل : « جناب بن الخشقاش » محرف ، كما حرف فى سائر النسخ ، ففى ط : « حباب بن حسان » س « حباب بن جساس » هـ : « حباب بن حساس » .

(٦) معبرة ، بفتح الباء المخففة : لم تخفض . فيما عدا ل : « مبظرات » وهو خلاف الصواب ؛ إذ أن المبظرات المختونات المخفوضات .

(٧) ل ، س : « موعبات » .

(٨) فيما عدا ل : « مبظرات » وانظر التنبيه السادس .

(٩) فيما عدا ل « الروم والهند » .

الرِّجال فيهنَّ أعم ، لأنَّ شهوتهنَّ للرجال أكثر ، ولذلك اتَّخذ الهندُ دُوراً للزَّواني . قالوا : وليس لذلك علّة إلاّ وفارةَ البظر (١) والقُلْفة .

والهند توافِق العربَ في كلِّ شيء إلاّ في ختان النِّساء والرجال . ودعاهم إلى ذلك تعمُّقهم في توفير حظّ الباه . قالوا : ولذلك اتَّخذوا الأدوية ، وكتبوا في صناعة الباه كتباً ودَرَسُوها الأولاد (٢) .

(السَّحْق)

قالوا : ومن أكبر (٣) ما يدعو النِّساء إلى السحق [أنهنَّ] إذا ألصقن موضع مَحزِّ الختان وجَدْنَ هناك لذَّةً عجيبة ، وكلما كان ذلك منها أوفرَ كان السَّحقُ ألذّ . قال : ولذلك صار حُذَّاق الرِّجالِ يضعون أطراف الكَمر ويعتمدون بها على محزِّ الختان ؛ لأنّ هناك مجتمَعَ الشهوة .

(ظمأ الأيِّل إذا أكل الحيات)

ومن هذا الباب الذي ذكرنا فيه صِدقَ إحساس الحيوان ثم اللاتي يضاف منها إلى المُوق وينسب إلى الفشاوة (٤) قال داود النبي عليه السلام في الزبور : « شوقي إلى المسيح مثـــل الأيِّل إذا أكل الحيَّات (٥) »

(١) فيما عدا ل : « فارة البظر » وإنما هي الوفارة بمعنى التمام والوفرة .

(٢) في اللسان : « ابن جني : ودرسته إياه وأدرسته . ومن الشاذ قراءة ابن حيوة : (وبما كنتم تُدرِسون) .

(٣) فيما عدا ل : « أكثر بالثاء » .

(٤) الفشارة : الحمق ، ولم تصرح المعاجم بهذا المصدر ، لكن فيها : الأغثر الأحمق الجاهل . فيما عدا ل : « الغباوة » وليس يريدها الجاحظ .

(٥) النص في المزامير (٤٢ : ١) : « كما يشتاق الأيل إلى جداول المياه هكذا تشتاق نفسي إليك يا الله » .

[والأيِّل إذا أكل الحيّات[1]] فاعتراه العطش الشديد تراه كيف[2] يدور حَول الماء ويحجزه من الشرب [منه] علمُه بأنّ ذلك عطبُه ؛ لأنّ السموم حينئذٍ تجرى مع [هذا] الماء ، وتدخل مداخلَ لم يكن لِيبلغها الطّعامُ بِنفسه[3] . وليس علم الأيِّل بهذا كان عن تجربةٍ متقدِّمة[4] بل هذا يوجد[5] فى أوّل ما يأكل الحيّاتِ وفى آخره[6] .

(تعلّق رؤس الحيات فى بدن الأيِّل)

وربّما اصطيد الأيِّل فيجد القنّاصِ رؤس الأفاعى وسائرِ الحياتِ ناشبةَ الأسنان فى عنقه وجلد وجهه ؛ لأنّه يُريد أكلَها فربّما بدرته الأفعى والأسود وغيرُهما من الحيات فتعضّه ، وهو يأكلها ويأكل ما ينال منها [ويفوته ما تعلّق به منها] بالعضّ ، فتبقى الرءوس مع الأعناق معلّقةً عليه إلى أن تنقطِع .

(نصول قرن الوعل)

[قالوا : وليس شىء من ذوات القرون ينصل قرنه[7] فى كلّ عام إلا الوعل ، فإذا علم أنّه غير ذى قرن ، وأنه عديم السلاح ، لم يظهر من مخافة السباع . فإذا طال مُكثُه فى موضعه سمِن ، فإذا سمن علم أنّ حركته تفقد

(١) بمثل هذه يلتئم الكلام .
(٢) فيما عدا ل : « فكيف تراه » .
(٣) ط ، ه : « نفسه » تحريف .
(٤) فيما عدا ل : « وليس على بهذا علما عن تجربة » تحريف .
(٥) فيما عدا ل : « هكذا يوجد » .
(٦) فى الأصل : « وفى آخرها » .
(٧) ينصل قرنه : يسقط . وفى الأصل ، وهو هنا ل : « ينصب » تحريف .

وتبطئ ، فزاد ذلك فى استخفائه وقلّة تعرُّضه ، واحتالَ بألاّ يكون أبداً على علاوة الريح ، فإذا نجم قرنه[1] لم يجد بدًّا من أن يعطّه[2] و يعرِّضه للشمس والريح ، حتى إذا أيقن أنه قد اشتدأ كثر المجئ والذهاب التماسا أن يذهب شحمه و يشتد لحمه ، وعند ذلك يحتال فى البعد من السِّباع ، حتّى إذا أمكنه استعمال قرنيه فى النِّزال[3] والاعتماد عليهما ، والوثوب من جهتهما ، رجَع إلى حاله من مراعيه وَعاداته . ولذلك قال عصام بن زفر :

تَرجو الثّواب من صبيح يا حَمَلْ ... قد مصَّه الدهر فما فيــه بَلَلْ
إنّ صبيحاً ظاعِنٌ فمحتَمِلْ ... فلائذٌ منك بشِعبٍ من جَبَلْ

* كما يلوذ من أعاديه الوَعِلْ *

فضرب به المثل كما ترى فى الاحتيال والهربِ من أعدائه . وقال الراجز :

لما رأيتُ البرقَ قـــد تبسّما ... وأخرج القَطْرُ القَرُوعَ الأعصَما

قال ابن الأعرابىّ : إنما سمّوا الوعلَ القَروع لأنّه يقرع عَجْب ذنبه من الناحيتين جميعاً] .

(بيوت الزنابير)

وقال ابن الكلبى : قال الشرقى بن القطامى ذات يوم : أرأيتم لو فكّر رجل منكم عُمرَه الأطولَ فى أن يتعرّف الشئ الذى تتخذ الزنابير بيوتها المخرّقة بمثل المجاوب[4] ، المستويةفىالأقدار ، المتحاجزةبالحيطان ، السخيفة

---

(١) نجم قرنه : ظهر . وفى الأصل : « لم » تحريف .

(٢) يعطّه : يعرضه للشمس ، وفى الأصل : « يعطه » بالمهملة ، تحريف ، قال أوس :

فعطّها حولين ماء لحائها ... تعالى على ظهر العريش وتنزل

(٣) فى الأصل « النزول » .

(٤) س ، ه : « المحدقة » ط : « المحدقة » ط ، س : « بمثل المجالس » ه : « المبارف » تحريف . والمجوب ، بكسر الميم : آلة الجوب وهو الخرق والقطع .

فى المنظر ، الخفيفة فى المحمل ، المستديرة المنضم بعضها ببعض ، المتقاربة الأجزاء . وهى البيوت التى تعلم أنّها بُنيت من جوهرٍ واحد وكأنّها من ورق أطباق صِغار الكاغَد المزرَّرة[1] . قولوا لى : كيف جمعتْه ؟ ومن أىّ شىء أخذتْه ، وهو لا يشبه البناء ولا النسجَ ولا الخياطة .

١٣ ولم يفسر ابنُ الكلبىّ والشرقىُّ فى ذلك شيئاً ، فلم يصِرْ فى أيدينا منهما[2] إلا التعجُّب والتعجيب . فسألت بعد ذلك مشايخ الأ كَرَة[3] فزعموا أنّها تلتقطه من زَبَد المُدود[4] . فلا يدرى أمِن نفْس الزَّبَد تأخذ ، أم مِن شىء يكون فى الزَّبَد .

والذى عرّف الزنابير مواضعَ تلك الأجزاء ، ودلّها على ذلك الجوهر هو الذى علّم العنكبوتَ ذلك النسج . وقد قال الشّاعر :

كأنَّ قفا هارون إذ يَقتلُونَه قفا عَنكبُوتٍ سُلَّ من دُبْرِها غَزْلُ

وقد قال بلا علم .

وأمّا دودة القزّ فلا نشكّ[5] أنّها تخرجه من جوفها .

(معرفة الحُقنة من الطير)

وتزعم الأطبّاء أنهم استفادوا معرفةَ الحُقْنة من قِبَل الطائر الذى إذا أصابه الحُصْر أتى البحرَ فأخذَ بمنقاره من الماء المالح ، ثمّ استدخلَه فمجّه فى جوفه ، وأمكنَه ذلك بطول العُنق والمِنقار ، فإذا فعل ذلك ذَرَق فاستراحَ .

---

(١) انظر الكاغد ماضى فى (٤ : ٣٧٤) .

(٢) فيما عدا ل : « منها » والضمير لابن الكلبى والشرقى .

(٣) الأكرة ، بالتحريك : جمع أكار ، كشداد ، وهو الحراث .

(٤) المدود : السيول ، جمع مد . فيما عدا ل : « المدود » تحريف .

(٥) ل : « فيلا شك » .

(مايتعالج به الحيوان)

والقنفذ وابنُ عِرسٍ إذا نَهشا الأفاعىَ والحيّاتِ الكبارَ تعالَجا بأكل الصَّعتر[١] البرّىّ .

والعقاب إذا اشتكت كبدَها مِن رَفعِها الأرنبَ والثّعلبَ فى الهواء وحَطِّها لهما مِرارًا فإنّها لاتأكل إلاّ من الأكباد حتّى تبرأ من وجَع كبدها.

(رغبة الثعلب فى القنفذ)

[قال: وسألتُ القنّاصَ: مارغبة الثعلب فى أكل القنفذ و إن كان حشو إهابه شحماً سميناً وفى[٢] ظاهر جلده شوك صِلابٌ حِدادٌ متقاربٌ كتقارُب الشعر فى الجسد ؟ فزعموا أنّ الثعلبَ إذا أصابه قلبه لظهره ثمّ بال على بطنه فيما بين مَغرزِ عَجْبِه إلى فكّيه ، فإذا أصابه ذلك البولُ اعتراه الأسَنُ[٣] فأسبَطَ[٤] وتمدّد ، فينقُر عن بطنه . فمن تلك الجهة يأكل جميعَ بدنه ومسلوخِهِ الذى يشتمل عليه جلدهُ .

(صيد الظربان للضب)

وقالوا : و بشبيهٍ بهذه العلّة يصيد الظَّرِبانُ الضبَّ فى جوف جُحْره حتى يغتصبه نفسَه ؛ وذلك أنّه يعلم أنّه أنتن خلق الله فَسوة ، فإذا دخل

(١) الصعتر ، ويقال أيضاً « السعتر » : نبت من خواصه طرد الهوام . ط : « الصقر » ل : « الصير » صوابهما فى س ، هـ .
(٢) هذه الكلمة ليست فى الأصل ، وهو هنا ل .
(٣) الأسن ، بالتحريك : الدوار والغشى ، ويقال للذى غشى عليه من رائحة البئر أسن ، قال زهير :
يغادر القرن مصفرا أنامله ... يميد فى الرمح ميد المائح الأسن
(٤) أسبط إسباطا : امتد على وجه الأرض وانبسط ؛ ومثله اسبطر .

عليه جُحره سَدَّ خَصاصَه وفُروجَه ببدنه ، وهو فى ذلك مستدبِرٌ له ، فلا يفسو عليه ثلاثَ فَسَوَاتٍ حتى يُعطِىَ بيده فيأ كله كيفَ شاء .

قالوا : وربَّما فسا وهو بقرب الهَجْمة وهى باركةٌ فتتفرّق فى الصحراء فلا يجمعُها راعِيها إلاَّ بجهد شديد ، ولذلك قال الشاعر :

لا تمنحوا صـــقرًا فما لمنيحةٍ
أتت آلَ صقرٍ من ثوابٍ ولا شُكرِ

فما ظَرِبانٌ يُؤْبِسُ الضبَّ فَسْوُه بِأَلْأَمَ لؤمًا قد علمناه مِن صقرْ [1]

ولذلك قال الراجز ، وهو يذكر تـكسُّب الظربان بفسوه لِطُعْمِه [2] وقوته ، كما يتكسَّب الناس بالصِّناعات والتِّجارات ، فقال :

باتا يحُكَّانِ عراصِيفَ القَتَبْ [3] مستمسِكَيْنِ بالبِطانِ والحَقَبْ [4]

كما يحُكُّ القينُ أطرافَ الخشَبْ [5] وابن يزيدَ حَرَبٌ من الحَرَبْ [6]

لا ينفع الصاحبَ إلاَّ أن يَسُبّْ كالظَّرِبانِ بالفُساءِ يكتسِبْ

---

(١) يؤبسه : يقهره . وفى الأصل : « يؤنس » تحريف . وفى اللسان : « وأبسه أبسا : قهره . عن ابن الأعرابى . وأبسه : غاظه وروعه » . وفى الأصل : « بآلم لؤما » .

(٢) فى الأصل : « وطعمه » تحريف .

(٣) العراصيف : أربعة أوتاد يجمعن بين رءوس أحناء الرحل ، الواحد عرصاف وعرصوف ، وتسمى أيضا العصافير ، واحدها عصفور . انظر المخصص (٧ : ١٤٠) واللسان (١١ : ١٤٨ — ١٤٩) . وفى الأصل : « غضاريف » تحريف .

(٤) البطان ، بالكسر : حزام الرحل . والحقب ، بالتحريك : حبل يشد به الرحل فى بطن البعير لئلا يؤذيه التصدير .

(٥) فى الأصل . « كما يحل » تحريف .

(٦) الحرب : الخصومة والغضب ، وصفه بالمصدر .

(ما قيل فى بلاهة الحمام)

قال ابنُ الأعرابىّ : قلت لشيخ من قريش : مَن علّمك هذا ، وإنما يُحسِن مثل هذا أصحابُ التجارات والتكسّب ، وأنتَ رجلٌ مكفىٌّ مودّع(١) قال : علّمنى الذى علم الحمامةَ على بَلَهِها تقليبَ بيضها كى تعطى الوجهين جميعاً نصيبَهما من الحَضْن ، ولخوف طباع الأرض إذا دام على الشّقّ الواحد.

والحمام أبله ؛ ولذلك كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : « كونوا بُلْهاً كالحمام » . ألا ترى أنّ الحمام فى الوجه الذى ألهمه الله مصالح ما يُعيشه ويُصلِح به شأنَ ذَرْئه ونسله ـ ليس بدونِ الإنسان فى ذرئه ونسله ، مع ماخُوِّل من المنطق ، وأُلهِم من العقل ، وأُعطى من التّصريف فى الوجوه](٢) ؟ !

(حيلة الفأرة للعقرب)

وإذا جَمَعَ بعضُ أهل العبث وبعضُ أهل التّجربة بين العقرب وبين الفأرة فى إناء زجاج فليس عندَ الفأرة حيلةٌ أبلغُ من قرض إبرة العقرب فإمّا أنْ تموتَ من ساعتها ، وإمّا أنْ تتعجل السّلامةَ منها ثم تقتلها كيفَ شاءت ، وتأكلها كيف أحبّت .

(علـــم الذرة)

قال : ومَن علم الذّرّةَ أن تفلق الحبّةَ فتأكل(٣) موضع القِطمير لئلاّ

(١) المكفى : الذى كفى أموره ، وفى الأصل : « يتكفى » تحريف . والودع : المرفه ، يقال ودعه توديعا فهو مودع ، ومودوع على غير قياس .

(٢) إلى هنا تنتهى التكملة التى بدأت فى ص ٣٣ س ٧ .

(٣) فيما عدا ل : « وتأكل » .

تنبتُ فتفسُد . فإذا كانت الحبَّةِ من حبِّ الكزبُرة[1] فلقتها أنصافاً لم ترض[2] حتّى تفلِقها أرباعا ؛ لأنَّ الكُزبُرة من بين جميع الحب[3] تنبُت وإنْ كانت أنصافاً . وهذا علمٌ غامضٌ إذا عرَفه الشيخُ الفلاَّح المجرَّب ، والفاشكار[4] الرئيس ، والأكّار الحاذِق ، فقد بلغوا النهايةَ في الرِّياسة .

(معرفة الدبّ)

وقال جالينوس[5] : ومن علم الدبِّ الأنثى إذا وضعت ولدَها أنْ ترفعه في الهواء أياما تهرُب به من الذَّرِّ والنمل ، لأنها تضعه كِفِدْرة[6] من لحمٍ ، غيرَ متميِّز الجوارح ، فهي تخاف عليه الذَّرَّ ، وذلك له حتفٌ . فلا تزالُ رافعةً له وراصدة ، ومتفقِّدَةً ومحوِّلةً [له[7]] من موضعٍ إلى موضع ، حتى يشتدَّ وتنفرج أعضاؤه .

(شعر لبشار)

وقال بشَّار الأعمى :

أما الحَيَاة فكلُّ النَّاسِ يحفظُها ... وفي المعيشةِ أبلاءٌ مناكير[8]
وكلُّ قسمٍ فللعِقبان أكثرُه ... والحظُّ شيءٌ عليه الدهر مقصورُ

---

(١) فيا عدا ل « وإذا أخذت الحبة من حبة الكزبرة » .
(٢) فيا عدا ل : « فلقتها أنصافا فلم ترض » .
(٣) فيا عدا ل : « البزور » .
(٤) الفاشكار ، لفظة فارسية معربة ، مأخوذة من « بشكارى » الفارسية ، بمعنى الزراعة والفلاحة : (Agriculture, tillage) . انظر استينجاس ١٨٩ .
(٥) س ، هـ : « الجالينوس » .
(٦) الفدرة ، بالكسر : القطعة من اللحم إذا كانت مجتمعة . فيا عدا ل : « كجذوة » تحريف .
(٧) فيا عدا ل : « وتتفقده وتحوله » .
(٨) فيا عدا ل « أما الحياد » تحريف . والأبلاء : جمع بلو ، بالكسر ، يقال رجل بلو شر وبلو خير ، أى قوى عليه . فيا عدا ل : « أحياء » موضع « أبلاء » .

(أُمْنِيَّة بشر أخى بشار)

وقال بِشرٌ أخو بشّار ـ وكانوا ثلاثةً ، واحد حنفيّ ، وواحد سدوسيّ ١٤
وبشّار عُقيليّ ، و إنما نزل فى بنى سدوس لسبب أخيه[1] ـ وقد كان قيل لأخيه : لو خيّرَكَ الله أنْ تكون شيئاً من الحيوان أيَّ شيء كنتَ تتمنى أن تكون ؟ قال : عُقاب . قيل : و لِمَ تمنّيتَ ذلك ؟ قال : لأنّها تَبيتُ حيثُ لايَنالها سَبُعٌ ذو أربعٍ ، وتَحِيدُ عنها سِباعُ الطّير .

(معرفة فى العقاب)

وهى لاتعانى الصَّيد إلاّ فى القَرْط ، ولكنّها تسلُبُ كلَّ صَيُودٍ صَيْدَه . و إذا جامع[2] صاحبُ الصقر وصاحبُ الشّاهين وصاحبُ البازى [صاحبَ العقاب ، لم يرسلوا أطيارهم خوفاً من العُقاب . وهى طويلة العمر عاقّة بولدها] . وهى لاتحمِل على نفسها فى الكَسْبِ ، و[هي] إنْ [شاءتْ] كانت فوقَ كلِّ شيء ، و إن شاءتْ كانت بقُرْبِ كلِّ شيء ، وتتغدّى بالعِراق وتتعشّى باليمن ، وريشُها الذى عليها هو فَروُها فى الشتاء ، وخَيْشُها فى الصيف . وهي أبصرُ خلق الله .

هذا قولُ صاحب المنطق فى عُقوق العقاب وجفائها بِأولادها ، فأمّا أشعار العرب فهى تدلُّ على خلاف ذلك ، قال دريدِ بن الصِّمَّة[3] :

(١) فيما عدا ل : « في بنى عقيل لمكان أخيه » . وفى الأغانى (٣ : ٥٣) : « وكان بشار مجاورا لبنى عقيل وبنى سدوس في منزل الحيين » .

(٢) فيما عدا ل : « وإذا رآها الجامع » تحريف .

(٣) كذا ، والمعروف نسبة الشعر إلى المفتر البارق ، واسمه سفيان بن أوس ، والبيت الثانى يسمى « مفترا » . انظر الأغانى (١٠ : ٤٤ — ٤٥) والزهر (٢ : ٢٧٣) . وقصيدته فى الأغانى . وقبل البيتين :

يفرج عنا كل ثغر مخافة مسح كسرحان القصيمة ضامر

وكلُّ لَجُوجٍ فى العِناقِ كأنَّها   إذا اغتمست فى الماءِ فَتْخَاءُ كاسِرُ[١]

لها ناهض فى الوكر قد مَهَّدَتْ له   كما مَهَّدَتْ لِلبَعْلِ حسناءُ عاقِرُ[٢]

(الحمق من الحيوان)

والحيوان المحمَّق الرَّخمة والحُبارَى. قال عثمان بن عفَّان رضى الله عنه : « كلُّ [شىء] يحبُّ ولدَه حتَّى الحبارى » .

وأنثى الذئاب ، وهى التى تسمَّى جَهِيزة[٣] ، والضبع ، والنَّعجة والعنز[٤] ، هذه من الموصوفات بالمُوق [جدًّا] .

قال : ومن الحيوان ما ليس عنده إلاّ الجمالُ والحسن [كالطاوس ؛ وهو من الطير المحمَّق] ، وكذلك التَّدْرُجُ[٥] مع جَماله وحُسنه وعجيب وَشْيِه ، والزَّرافةُ وهى أيضاً موصوفة بالمُوق ، وليس عندها إلا طَرَافَةَ الصُّورة[٦]

---

(١) عنى الفرس . اغتمست فى الماء : أى عرقت عرقا شديدا من الجرى . والفتخاء : العقاب ، سميت بذلك للين جناحيها . والكاسر : المنقضة . فيما عدا ل : « فى المناق » تحريف . وفى الأغانى واللسان (١٤ : ٨) : « وكل طموح » وفى اللسان . « إذا اغتسلت بالماء » قال : « ويقال للفرس إذا عرق قد غسل وقد اغتسل » .

(٢) الناهض : فرخ العقاب الذى وفر جناحاه ونهض للطيران . ل : « ناحض » وفيما عدا ل : « ناحض » صوابهما ما أثبت من الأغانى والمزهر . قال أبو الفرج « وإنما خص العاقر لأنها أقل دلا على الزوج من الولود فهى تصنع له وتداريه » . وبعد البيت :

تخاف نساء يبتدرن حليلها   محردة قد حردتها الضرائر

(٣) فيما عدا ل : « جهيرة » صوابه بالزاى . وجهيزة علم ممنوع من الصرف ، لكن نقل فى اللسان عن الجاحظ أنه مصروف ، وهو نقل عجيب ؛ إلا أن يكون اعتمد الناقل فى ذلك على نسخة من الحيوان ، وليست النسخ بحجة فى الضبط .

(٤) فيما عدا ل : و « البقر » تحريف . وانظر ماسبق فى (١ : ٣٥٤/٥ : ٤٧٠) .

(٥) انظر حواشى (٥ : ٢٠٩) .

(٦) الطريف : العجيب ، يقال طرف طرافة . فيما عدا ل : « ظرافة » وهى صحيحة أيضاً ، وفى القاموس : « ظرف ككرم ظرفا وظرافة قليلة » . وانظر ما سبق فى (٣ : ١٦٣) .

وغرابة النّتاج . وهى من الخَلْق العجيب مَواضِـعِ الأعضاء ، ويتنازعها أشباهٌ كثيرة .

والفيل عجيب[1] ظريف ، ولـكنه قَبيحٌ مَسيخ[2] وهو فى ذلك بهىٌّ [نبيلٌ] ، والعين لاتكرهه . والخنزيرقبيح مَسيخ ، والعين تكرهه[3] . والقرد قَبيحٌ مليح .

وعند الببْغاء[4] والمُـكّاء والعنديبيل[5] وابن تمْرة[6] مع صغر أجْرامها ولَطافة شُخوصها ، وضَعْف أسْرِها[7] ، من المعرفة والـكَيْس والفِطنة والخُبث ماليسَ عند الزّرافة والطاووس ، والببغاء عجيبُ الأمر[8] . ويقولون عندليب [وعنديبيل[9]] ، وهو [من] أصغر الطير .

(ما قيل فى حمق الأجناس المـائية وفطنتها)

فأما الأجناس المـائية من أصناف السّمك ، والأجناس التى تُعايش[10] السّمك ، فإنّ جماعتَها موصوفةٌ بالجهل والمُوق وقِلّة المعرفة ، وليس فيها خُلُقٌ مذكور ، ولا خَصْلة من خِصال الفِطَن ، إلا كنحو مايروى من صَيد الجِرّىّ

(١) ط ، س : « عجب » .
(٢) المسيخ : الذى لاملاحة له ؛ وقد مسخ مساخة . فيما عدا ل : « سمج » .
(٣) هذه الـكلمة ساقطة من ل . وكلمة « مسيخ » هى فى الأصل : « سمج » والوجه ما أثبت .
(٤) ل : « السقاء » .
(٥) انظر (٥ : ٢٩٣ ، ٦/١٤٩ : ٤٠٩) ولم أجد معتمدا لصحة هذه الكلمة وفيما عدا ل : « عندليب » .
(٦) سبق الـكلام عليه فى (٥ : ٦/١٤٩ : ٤٠٩) فيما عدا ل : « ابن نمرة » تحريف .
(٧) الأسر ، بالفتح : القوة . فيما عدا ل : « أمرها » .
(٨) ل : « والسقاء عجيبة الأمر » .
(٩) هذه الـكلمة من ل ، س ، ه . وانظر التنبيه الخامس .
(١٠) فيما عدا ل : « تعاشر » .

الجِرْدَان ، وحَمْل تلك الدابة لِلغَرْقى حتّى تؤدّيَهم إلى الساحل[١] .

(شدة بدن السمكة والحية)

والسمكة شديدة البدن وكذلك الحيّة . وكلُّ شيء لا يستعينُ بيدٍ ولا رجلٍ ولا جَناحٍ وإنّما يستعمل أجزاء بدنه معاً فإنه يكون شديد البدن .

(حيلة الشبوط فى التخلص من الشبكة)

وخبّرنى بعضُ الصيّادين أنّ الشبوطة تنتهى فى النهر[٢] إلى الشّبكة فلا تستطيع[٣] النفوذ منها ، فتعلم أنّها لا يُنْجيها إلا الوثوب ، فتتأخّر قدرَ قابِ رُمح[٤] ، ثم تتأخّر جامعةً لجراميزها[٥] حتّى تثِب ، فربّما كان ارتفاعُ وثْبتِها فى الهواء أكثرَ من عَشرِ أذرُع . وإنّما اعتمدتْ على ما وصفنا[٦] . وهذا العملُ أكثرُ ما رووْه من معرفتها ، وليس لها فى المعرفة نصيبٌ مذكور .

---

(١) لم يذكر الجاحظ اسم تلك الدابة البحرية ، وقال أيضا فى ٤٢ ساسى : « وقد ذهب عنى اسمه » . وتلك الدابة هى « الدخس » . انظر الحاشية التاسعة من (٥ : ٥٤٠) والثامنة من (٦ : ٢٧) .

(٢) فيما عدا ل : « إلى التحيز » تحريف .

(٣) ط : « نستطيع » س : « يستطيع » بحرفتان .

(٤) القاب : القدر . وكلمة « قدر » ليست فى ل . وإضافة الاسم إلى مرادفه وردت كثيرا فى كلام العرب . وفى قول الله : (ولدار الآخرة) و : (حق اليقين) و : (حب الحصيد) . وانظر شرح الأشمونى للألفية (٢ : ٢٧٨) .

(٥) الجراميز : الجسد والأعضاء ، يقال جمع جراميزه ، إذا تقبض ليثب . فيما عدا ل : « بجراميزها » تحريف .

(٦) ل : « على ماء » ولها وجه .

(ما يغوص من السمك فى الطين)

وأنواعٌ من السّمك يغوصُ فى الطِّين ، وذلك أنها تَنْخَر[1] وتتنفّس فى جوفه ، وتلزم أصولَ النباتِ إذا لم يرتفع[2] ، وتلتمس الطُّعم والسُّفاد . ونحن لم نر قَطُّ فى بطن دِجلةَ والفراتِ وجميع الأودية والأنهار ، عند نُضوب الماء ، وانكشاف الأرض وظهور [وجه] الطِّين ، وعند الجزْر والنُّقصان فى الماء فى مَوَاخِرِ الصَّيْف[3] وأيّامِ مجاورة الأهلّة والأنصاف[4] جُحْراً قطُّ ، فضلاً على ما يقولُون[5] ، أنّ لها فى بُطونِ الأنهار بيوتاً .

(جِحَرة الوحش)

ورأيتُ عجَبا آخَرَ ، وهو أنّى فى طُولِ ما دخلتُ البَرارىّ ، ودخلتُ البُلدان ، فى صحارى جزيرة العرب والرُّوم والشّام والجزيرة وغير ذلك ، ما أعلمُ أنّى رأيتُ على لَقَمِ طريقٍ[6] أو جادّةٍ أو شَرَكِ مُصاقِبٍ ذلك[7]

---

(١) ل : « لها مسخر » س ، ه : « أنها تسخر » ط : « أنها تسحر » والوجه ما أثبت .

(٢) ل : « إذا لم ترتع » من الارتعاء ، وهو الرعى .

(٣) جمع موخر بالتسهيل . وفى ل : « أواخر » .

(٤) أى أنصاف الشهور . ط ، ه « وما تأمن مجاورة الأبلة » س : « وما أنا من محاورة الأبلة » مع إسقاط كلة : « والأنصاف » . وانظر للمد والجزر ما سبق فى (١ : ٤٧ س ٣ — ٤/٥ : ٢٨٧ ، ٤٧٩) .

(٥) فيا عدا ل : « فضلا عما يقولون » .

(٦) لقم الطريق ، بالتحريك : متنه ووسطه ومعظمه .

(٧) شرك الطريق : جواده ، وقيل هى الطرق التى لا تخفى عليك ولا تستجمع لك ، فأنت تراها وربما انقطعت ، غير أنها لا تخفى عليك . والمصاقب : المجاور . فيا عدا ل : « سرك » وفى ل : « شراك » صوابهما ما أثبت . ط ، ه : « مصافت » محرفة ، وفى ل : « يصاقب » .

أو إذا جانبتُ الطُّرُق[1] وأمعنتُ فى البَرارِى وضربتُ إلى المَوْضِع[2] [الوحشىّ — جُحراً واحداً يجوز أن يدخله ضبع أو تيس ظباء ، أو بعض هذه الأجناس] الوحشيّة . وما أكثر ما أرَى الجِحَرَةَ ، ولكنّى لم أر شيئاً يتسعُ الثّعلب[3] وابنِ آوَى ، فضلا على هذه الوحوش الكِبار[4] ممّا هو مذكور بالتَّوْلَجِ والوِجار ، وبالكِناس والعَرِين .

وجُحْر الضبّ يسمّي عرِيناً ، وهو غير العَرِين الذى يضاف إلى الشَّجَر[5] .

(حيلة الضب واليربوع)

وأمّا حِفظ الحياةِ والبصَر بالكَسْبِ، والاحتراسُ من العدوّ والاستعدادُ بالحِيَل ، فكما أعدَّ الضبُّ واليَرْبُوع[6] .

(أوقات اختفاء الفهد والأيل)

والفهد إذا سمِن عرَف أنّه مطلوب ، وأنّ حركته قد ثقُلت ، فهو يُخْفِى نفسَه بجهده حتّى ينقضِيَ ذلك الزّمان الذى تسمن فيه الفهود ، ويعلم أنّ رائحة بدنه شهيّةٌ إلى الأسد [والنّمِر . وهو ألطفُ شمّاً لأراييح السباع

---

(١) فيما عدا ل : « وأنا جاريت الطرق » .

(٢) فيما عدا ل : « المواضع » .

(٣) فيما عدا ل : « يسع الثعلب » .

(٤) فيما عدا ل : « عن » موضع « على ».

(٥) إذ العرين جماعة الشجر والشوك والعضاه ، كان فيه أسد أو لم يكن .

(٦) أما الضب فانه يعد لمحترشه عقربا . انظر (٦ : ٤٥ ، ٥٨) . وأما اليربوع فإنه يحتال بالنافقاء . انظر (٥ : ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٤٤٧) .

القويّة من شمّ السباع للرائحة الشهيّة] ، فهى لا تكاد تكون [إلاّ] على عُلاَوةِ الريح[١] .

والأيِّلُ ينصُل قرنُه فى كلّ عام ، فيصير كالأجمّ ، فإذا كان ذلك الزمانُ استخفَى وهربَ وكَمَن ، فإذا نبت قرنُه[٢] عرّضَهُ للرّيح والشّمسِ فى الموضع الممتنعِ ، ولا يظهرُ حتّى يَصْلُب قرنُه ويَصيرَ سلاحًا يمتنع به . وقرنُه مُصمتٌ ، وليس فى جوفه تجويفٌ ، ولا هو مصمتُ الأعْلَى أجوف الأسفل .

(معرفة الإبل بما يضرها وما ينفعها)

١٦ والبعير يدخل الرّوضةَ والغَيضة وفى النبات ما هو غذاء ، ومنه[٣] ماهو سمٌّ عليه خاصة ، و [منه] ما يخرج من الحالَيْنِ[٤] جميعاً ، ومن الغِذاء ما يريده فى حالٍ [ولا يريده فى حالٍ] أخرى ، كالحَمْض والخُلّة ، ومنه ما يغتذيه غيرُ جِنسِه فهو لا يقربُه وإن كان ليس بقاتلٍ ولا مُعْطِب . فمن تلك الأجناس ما يَعرفه برؤية العين دون الشّمّ ، ومنها ما لا يَعرفه حتّى يَشمّهُ . وقد تغلط فى البِيش فتأكله ، كصُنْع الحافرِ فى الدِّفْلَى[٥] .

---

(١) يقال: كن فى علاوة الريح أو سفالتها. فعلاوتها أن تكون فوق الصيد ، وسفالتها أن تكون تحت الصيد لئلا يجد الوحش رائحتك . فكلمة « إلا » التى أثبتها ضرورية لاستقامة الكلام .

(٢) فيما عدا ل : « شب قرنه » .

(٣) فيما عدا ل : « فيعرف ما ينفعه من النبات و » .

(٤) فيما عدا ل : « الحالتين » .

(٥) انظر ما سبق فى (٥ : ٣١١ — ٣١٢) .

(معرفة الإبل بالزجر)

والناقة تعرفُ قولَهم : حَل ، والجمل يعرف قولهم : حاه . قال الراجزُ وهو يحمِّق رجلاً هَجاه :

يقـــولُ للنَاقة قَولاً للجَمَلْ   يقُول حَاهِ ثم يُثنيــــهِ بحَلْ

(قدرة الحيوان على رفع اللبن وإرساله)

ومِمّا فضلت به السِّباعُ على بني آدمَ أنّ الله جعَلَ في طِباع إناث السباع والبهائم، من الوحشيّة والأهليّة ، رَفعَ اللّبن[١] و إرسالَه عند حضور الولد . والمرأةُ لا تقدِر أن تدرّ على ولدها وترفَعَ لبنها[٢] في صدرها إذا كان ذلك المُقرَّبُ منها غيرُ ولدِها[٣] .

والذى أعطى الله البهائم من ذلك مثل ما تعرف به المعنى وتتوهمَه[٤] .

اعلم أنّ الله تعالى قد أقدر الإنسانَ[٥] على أن يحبس بولَه وغائطه إلى مقدارٍ ، وأن يخرجهما ، مالم تكن هناك عِلّةٌ من حُصْرٍ وأُسْرٍ ، و إنّما يخرج منه بولُه ورَجيعه بالإرادة والتوجيه والتهيؤ لذلك[٦] . وقد جعل الله حبسَه

---

(١) في الأصل : « في رفع اللبن » وكلة « في » مقحمة .

(٢) فيما عدا ل : «ولدها» ، تحريف.

(٣) فيما عدا ل : « إذا كان القرب منها لغير ولدها » .

(٤) ل : « ولذى أعطى الله البهائم في ذلك مثل تعرف به المعنى فتوهمه » .

(٥) فيما عدا ل : « قدر » صوابه « أقدر » وفي ل : « قد أمكن » .

(٦) ل : «ورجعه» ؛ والرجع والرجيع : النجو . ط ، ه : « والتوجه » وأثبت ما في س ، ل .

و إخراجه وتأخيره وتقديمه على ما فسّرنا . فعلى هذا الطريق [طوقُ[1]] إناثِ السّباع والبهائم ، فى رفع اللّبن و إرساله .

(حشر الحيوان فى اليوم الآخر)

وقد قال الله جل ثناؤه : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثم إلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ . فالكلمة فى الحشر مطلقة [عامّة] ، ومرسلةٌ غيرُ مستثنًى منها . فأوجب فى عموم الخبَرِ على [الطّير[2]] الحَشْر[3] ، والطير أكثر الخلق . والحديث[4] : « إنّ أكثرَ الخلقِ الجراد » .

(ما يطرأ عليه الطيران)

ومن العقارب طيّارة قاتلة . وزعم صاحب المنطق أنّ بالحبشة حياتٍ لها أجنحةٌ .

وأشياء كثيرةٌ تطيرُ بعد أن لم تكن طيّارة ، مثل الدعاميص ، والنّمْل والأَرَضة ، والجِعْلانِ .

والجرادُ تنتقل فى حالاتٍ قبلَ نبات الأجنحة .

(جعفر الطيار)

قالوا : وحين عظّم الله شأن جعفر بن أبى طالب ، خلق له جناحين

---

(١) الطوق : القدرة والإطاقة .
(٢) هذه من ل ، س .
(٣) ط ، هو : « الشر » تحريف .
(٤) كذا فى الأصل ، ولها وجه .

يطير بهما فى الجنّة ، كأنّه تعالى ألحقه بشبه الملائكة فى بعض الوُجوه[1] .

(ما يطير ولا يسمى طيرا)

وذكر الله الملائكةَ فقال : ﴿أُولِى أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ .

ولا يقال للملائكة طيرٌ ، ولا يقال إنّها من الطَّير ، رفعاً لأقدارها .

ولا يقال للنمل والدّعاميص والجِعلان والأَرَضَةِ إذا طارت : من
١٧ الطَّير . كذلك لا يقال للجرجِس والبعوضِ وأجناس الهمَج إنّها من الطير ،
وضعاً لأقدارها عن أقدار مايسمَّى طيرًا . فالملائكةُ تطير ولا يسمُّونها طيرًا
لرفع أقدارِها عن الطير ، [والهمج يطير[2]] ولا يُسمَّى طيرًا لوضع أقدارها
عن الطَّير .

(ملائكة العرش)

وفى الرواية أنّ النبى صلى الله عليه وسلم أُنْشِدَ قولَ أمية بن أبى الصَّلت :

رَجُلٌ وثورٌ تحتَ رِجْلِ يمينِهِ   والنَّسرُ للأُخرَى وليثٌ مُرصَدُ[3]

فقال : « صدَق[4] » . وقوله « نسر » يعنى فى صورة نسر ، لأنّ الملك لا يقال
له نَسْرٌ ولا صقرٌ ولا عُقابٌ ولا بازٍ .

---

(١) انظر ما سبق فى (٣ : ٣٨ ، ٢٣٣ / ٦ : ٢٢٢) .

(٢) التكملة من س ، ﻫ . والكلام من : « والهمج » إلى كلمة « الطير » التالية ساقط من ل .

(٣) فيا عدا ل : « موصد » تحريف . وانظر الخزانة (١ : ١٢٠) .

(٤) فى الخزانة : « صدق . وهذه صفة حملة العرش » . ونقل عن شرح ديوانه لمحمد بن حبيب : يقال إن حملة العرش ثمانية : رجل ، وثور ، ونسر ، وأسد . هذه أربعة ، وأربعة أخرى ، فأما اليوم فهم أربعة ، فإذا كان يوم القيامة أيدوا بأربعة أخرى .

(ما جاء فيه الأثر من الطير)

وذكروا غرابَ نوح وحمامة نوح[١] ، وهدهد سليمان[٢] ، والنحل والدرّاج[٣] ، وما جاء من الأثر فى [ذلك] الديك الذى يكون فى السماء[٤] .

وقال الناس : غراب نوح ، وهدهد سليمان ، وحمامة نوح . ورووا فى الخطاف والصُّرَد[٥] .

(أشرف الخيل والطير)

ولا نعرف شيئاً من الحيوان أشرَفَ اسماً من الخَيل والطَّير ؛ لأنّهم يقولون فرس جواد ، وفرس كريم ، [وفرسٌ وسيم] ، وفرس عَتيق ، وفرس رائع . وقالوا فى الطير لذوات المخالب المعقّفة والمناسر المحدّبة : أحرار ، ومَضْرحيّات[٦] وعِتاق ، وكواسب ، وجوارح . وقال لبيدُ بنُ ربيعةَ :

فانتضَلْنا وابنُ سَلْمَى قاعــدٌ … كعَتيقِ الطَّير يُغْضِى ويُجَلّ[٧]

---

(١) فيما عدا ل : «وذكروا أن» وكلمة « أن » مقحمة . وانظر لغراب نوح ما مضى فى (٢ : ٣٢٥) ، ولحمامة نوح ما سبق فى (١ : ٢٩٨/٣ : ١٩٥/٤ : ١٩٧) .

(٢) انظر لهدهد سليمان ما مضى فى (١ : ٩٧، ٢٩٨/٣ : ٥١٣/٤ : ٧٧/٦ : ٣١٠) .

(٣) ل : « والرماح » .

(٤) انظر ما مضى فى (٢ : ٢٥٩) .

(٥) بعدها فى ل : « والضوضية » .

(٦) المضرحيات ، بالضاد المعجمة ، وأصل معناه فى الناس السيد الكريم والطويل . ومما جاء فى تسمية عتاق الطير بالمضرحية قول طرفة :

كأن جناحى مضرحى تكنفا … حفافيه شكا فى العسيب بمسرد

ل : « المصرحيات » وفيما عدا ل : « للصرحات » والوجه ما أثبت .

(٧) ابن سلمى ، هو النعمان بن المنذر . ويجلى ببصره تجلية ، إذا رمى به كما ينظر الصقر إلى الصيد . انظر اللسان (٢٠ : ١٦٤) وديوان لبيد ١٦ طبع فينة سنة ١٨٨١ .

وقال الشاعر :

حُرٌّ صَنَعْنَاه لتُحسِنَ كَفُّهُ عَمَلَ الرقيقة واستلابَ الأَخْرقِ[1]

ولولا أنا قد ذكرنا شأنَ الهُدهُد والغرابِ والنَّمل وما ذكرها به القرآنُ ، والخصالَ التي فيها من المعارف ومنَ القولِ والعمل[2] ، لذكرناه في هذا الموضع .

[ما جاء في ذكر الطير[3]]

قال الله جل ثناؤه : ﴿ وَرَسُولاً إلى بَنِي إسرائيلَ أنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أنِّي أخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فأنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بإذْنِ اللهِ ﴾. وقال الله : ﴿ وَإذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإذْنِي فَتَنْفُخُ فيها فَتَكُونُ طَائِرًا بإذْنِي[4] وَتُبْرِئُ الأكْمَهَ وَالأبْرَصَ بإذْنِي وَإذْ تُخْرِجُ المَوْتَى بإذْنِي ﴾ . وقال : ﴿ وَإنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ألاَ إنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ . وقال الله : ﴿ أمَّا أحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ﴾ . وقال : ﴿ ألَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأصْحَابِ الفِيلِ . ألَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ .

---

(١) الرقيقة : اللطيفة الصنعة الحسنتها . وفيما عدا ل : « الرقيقة » بقافين ، تحريف .

(٢) كلمة : « لولا » ساقطة من ل .

(٣) انفردت نسخة كوبريلي بإثبات هذا السقط الذي يبدأ هنا .

(٤) هذه قراءة نافع وأبي جعفر ويعقوب ، وزاد أبو جعفر فقرأ : (كهيئة الطائر) وقرأ سائر القراء : (فتكون طيرا) .

وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ﴾ . وقال الله : ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَاأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ ﴾ .

ولم يذكر منطق البهائم والسِّباع والهميج والحشرات .

وقال الله : ﴿ فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ لأنك حيثما تجد المنطق تجد الرُّوح والعقل والاستطاعة .

وقالوا : الإنسان هو الحيُّ الناطق . وقال الله : ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً له خُوارٌ فَقَالُوا هٰذَا إِلٰهُكُمْ وَإِلٰهُ مُوسَى ﴾ . وقال : ﴿ أَفَلاَ يَرَوْنَ أَنْ لاَ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً ﴾ ، ثم قال : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ ﴾ ولم يذكر شيئاً من جميع الخلق . وقد كان الله قد سخَّر له جميعَ ذلك . ثم قال : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الغَائِبِينَ ﴾ .

ولم يتفقد شيئا ممّا سخّر له ولا دلَّ سليمانَ على مَلِكة سبأ إلاّ طائر .

وقال الله : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ ﴾ . وقال الله : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلٰكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ فلمّا ذكر داود قال : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ﴾ . وقال الله : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . وقال : ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ .

وقالوا : « مَنطِق الطير » ، على التشبيه بمنطق الناس ، ثم قالوا بعدُ : الصَّامت والناطق ، ثم قالوا بعد للدار : تنطق .

وقال الله : ﴿ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلاَ

تَسْتَغْفِرُونَ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ . قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾ .

وقال الله : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ .

وكان عبدُ الله بن عبّاسٍ يقول : ليس يعني بقوله : تُكَلِّمُهُمْ من الكلام ، وإنّما هو من الكَلْم والجِراح . وجمع الكَلْم كُلوم . ولم يكن يجعله من المنطق ، بل يجعله من الخُطوط والوسم ، كالكتاب والعلامة اللذين يقومان مقام الكلام والمنطق .

وقال الآخرون : لا ندعُ ظاهرَ اللفظ والعادةَ الدالّة في ظاهر الكلام ، إلى المجازات ، قالوا : فقد ذكر الله الدابّة بالمنطق ، كما ذكروا في الحديث كلام الذئب لأهبان بن أوس[1] . وقولُ الهدهد مسطورٌ في الكتاب بأطول الأقاصيص ، وكذلك شأن الغراب[2] .

وقال الله : ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ وجعل الله مقالة النملة قرآنا ، وقال : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ . وقال في مكان آخر : ﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ . وقال : ﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾ . وذكر الملائكة فقال : ﴿ أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ .

---

(١) انظر الإصابة ٣٥٠ والحيوان (١ : ٢٩٨ / ٣ : ٥١٣ / ٤ : ٨٠) . وفي الأصل : « لأوس بن أهبان » ، تحريف .

(٢) انظر لكلام الغراب مع الديك ما سبق في شعر أمية بن أبي الصلت (٢ : ٢٢٥) .

وأنشدوا النبيّ صلى الله عليه وسلم قول أميّة بن أبي الصّلت[1] :

رجُلٌ وثَوْرٌ تحتَ رِجْلِ يَمينِهِ والنَّسرُ لِلأُخْرَى وليْثٌ مُرْصَدُ

فقال : « صدق » .

وخلق الله لجعفرٍ جناحَين في الجنّة ، عوضاً من يديه المقطوعتين في سبيل الله[2] . قالوا : ولو كانت في الأرض يدٌ تفضل الجناحَ لجعلها اللهُ بدلَ الجناح . وسمّاه المسلمون « الطيّار » .

ويقال : « ما هو إلا طائر » إذا أرادوا مدح الإنسان في السُّرعة .

وقال الفرزدق :

جاءوا مع الرِّيح أو طارُوا بأجنحةٍ وخَلَّفوا في جُوَاثَا سيِّدَىْ مُضَرَا[3]

والأُمم كلُّها تضرب المثَلَ بعَنقاءِ مُغْرِب . وقد جاء في نسر لقمان ما قد جاء من الآثار والأخبار . وقال الخزرجي[4] :

إنّ مُعاذَ بنَ مُسلمٍ رجُــلٌ قد ضجَّ مِن طُول عُمره الأبَدُ

قدشابَ رأسُ الزّمانِ وَاختَضَبَ الـ دَّهْــــرُ وأثوابُ عمْرِه جُدُدُ

يا نَسْرَ لقمانَ كمْ تَعيشُ وكم تسحَبُ ذَيلَ الحيـــاةِ يا لُبَدُ

قد أصبحتْ دارُ آدمٍ خَرِبَتْ وأنتَ فيهـــا كأنّكَ الوتِدُ

تسألُ غِربانَها إذا حجَلَتْ كيفَ يكونُ الصُّداعُ والرّمدُ

وقال النابغة :

أضحتْ خَلاءً وأضحَى أهلُها احْتمَلوا أخْنَى عليها الذي أخْنَى على لُبَدِ

---

(١) انظر ما سبق في ص ٤٦ .

(٢) انظر ما مضى في (٣ : ٢٣٣) .

(٣) جواثا : موضع بالبحرين . وفي الأصل : « مضر » تحريف . والبيت ملة انظر الديوان ٣٨٦

(٤) في الأصل : « الخارجي » تحريف . وانظر ما سبق من التحقيق (٣ : ٤٢٣/٦ : ٣٢٧) .

وقال الله : ﴿ وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ لأنّ ذلك الصنم كان على صورة النَّسر .

وقالوا : أحرار فارسَ ، وأحرار الرَّياحين ، وأحرار البقول ، وأحرار الطير . وهى الأحرار ، والعتاق ، والكواسبُ ، والجوارح ، والضرجيّات .

وقال الله : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَـكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾ .

أسماء ما فى النجوم والبروج

والفرَسِ والنّاس وغير ذلك ، من أسماء الطير

مما يُعدّ فى الفرَس من أسماء الطير : الفرَاش وهو المنخر[١] . والذُّباب ، وهو ذُباب العين . والصُّلصُل ، وهو الدائرة فى الجبهة[٢] . والعصفور ، وهو الجلدة تحت الناصية . والحِدَأة ، وهو أصل الأذن . والهامة ، وهو الجلدة التى فيها الدماغ . والفرْخ موضع القَهْقَة[٣] . والنّاهضان فى المنكبين . والصُّرَد : عرق تحت اللسان ، والسَّمامة[٤] : الدائرة فى عرض العنق . والقَطاة : موضع الرِّدف . والغُرابان : العظمان

---

(١) كذا . والذى فى المعاجم أن الفراش طرائق دقاق من القحف ، وقيل هى العظام التى تخرج من رأس الإنسان إذا شج وكسر .

(٢) والصلصل فى الطير طائر تسميه العجم الفاختة .

(٣) القهقة : عظم عند مركب العنق ، وهو أول الفقار .

(٤) السمامة : واحدة السمام ، بالفتح ، وهو ضرب من الطير نحو السمانى دون القطا فى الخلقة .

الناشِزان بين الوركين ؛ ويقال القُراب طرف الوَرِك . والساق : ساق الفرس ، وهو ذكر الحمام . والخُطَّاف : موضع الرِّكاب من جنبه . والرَّخمة : البَضْعة الناتئة فى ظهر الفخذ . والأصقع : الأبيض الناصية[1] .

وقال الله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾ .

وفى السماء النَّسر الطائر ، والنَّسر الواقع .

وفى الأوثان القديمة وثَنٌ كان يسمَّى نَسرا ، ويزعمون أنّه كان على صورة نسر . وقال الله : ﴿ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ﴾ . وقال : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ . إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ . وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾ .

وفى أسماء الناس : غُراب ، وصُرَد . وفى أسماء النساء : فاختة وحمامة. وفى أسماء الناس : يَمام ويمامة ، وسَمامة ، وشاهين . وفى أسماء النِّساء : عقاب ، وقطاة ، وقُطَيَّة ، ودَجاجة يكون للرِّجال والنساء . ويسمُّون بعصفور ، ونقّاز ، وحَجَل[2] . ويسمُّون الرجال بقُطَامِيّ ، مثل أبي الشرقيّ ابن القُطَامى الشاعر[3] . وإذا كانت امرأةً قالوا قَطامِ مثل حَذَامِ . وقال امرؤ القيس بن حجر :

---

(١) الأصقع : طائر كالعصفور فى ريشه ورأسه بياض . وانظر الكلام على ساق الفرس من أسماء الطير ، كتاب الخيل لأبي عبيدة ص ٤٦ .

(٢) فى الأصل : « جباف » .

(٣) أى مثل ما سمى والد الشرقى بن القطامى . وفى الأصل : « أبو الشرقى » . وقد سبقت ترجمة الشرقى فى (٥ : ٣٠٢) .

وأنا الذى عرَفَتْ مَعَدٌّ فضلَه ونشدتُ حُجرًا ابنَ أمِّ قَطَامِ [١]

ويسمون بعضرجىّ . وكبار الطير هى المضرحية [٢] ؛ وأكثر ما يستعمل ذلك فى عِتاق الطير وأحرارها . ويسمون بحُرّ ، وليس الحر من الطير إلاّ العتيق . وقال الشاعر :

حُــــرٌ صَنعناه لتُحسِنَ كَفُّه عَمَلَ الرَّفيقةِ واستِلابَ الأخرَقِ [٣]

ويسمُّون صَقْوة ، وسُمَانَى ، وسَمامَة . ويسمُّون بجَنَاح ، ويلقّبون بعنقار ، ويسمون بفرخ وفُرَيْخ ، وصقر وصُقَير وأبي الصَّقر ، وطاوُس وطويس . وفى الألقاب يُؤْيُؤ وزُرّق [٤] . وفى الأسماء حَيْقُطان وهو الدُّرّاجُ الذَّكَر . ويسمُّون بحَذَف [٥] وحُذَيفة وأبي حذيفة ، وفى الألقاب أبو الكراكىّ . وفى الصفات الغرانيق والغرنوق [٦]] .

---

(١) حجر بن أم قطام ، هو والد امرئ القيس . وقد سجل هذه النسبة الحارث ابن حلزة فى معلقته إذ يقول :

ثم حجرا أعنى ابن أم قطام وله فارسية خضراء

وفى الأصل : « حجرا وابن أم قطام » تحريف . وفى الديوان « ونشدت عن حجر بن أم قطام » . قال الوزير أبو بكر : « يروى أشدت ، أى رفعت ذكره وناديت به وفخرت به وشهرته ... وخص معدا من بين العرب لأن امرأ القيس من اليمن . ولا نسبة بينه وبين معد ، فاذا أقرت البعداء بفضله واعترفت به ، فسائر العرب أقرب إلى ذلك وأجدر به » .

(٢) فى الأصل : « بعضرجى » و « المضرجية » صوابهما بالحاء المهملة .

(٣) سبق البيت فى ص ٤٨ .

(٤) فى الأصل : « درق » تحريف . وانظر الزرق فى (٣ : ١٨٢ / ٤ : ٢٢٩ / ٥ : ٣٦٩) .

(٥) فى القاموس : « الحذف محركة طائر ، أو بط صغار ، وغنم سود صغار حجازية أو جرشية بلا أذناب ولا آذان ، والزاغ الصغير الذى يؤكل » . والزاغ : غراب صغير إلى البياض .

(٦) الغرنوق فى الصفات ، هو الشاب الأبيض الجميل . وهو طائر من طيور الماء . انظر ما مضى فى (٥ : ٤١٩ ، ٥٣٨) .

وإلى هنا ينتهى السقط الذى بدأ فى ص ٤٨ س ٦ .

(نطق الطير)

وقال أميّة بن أبى الصَّلْت :

فاسمَعْ لِسانَ اللهِ كيفَ شُكُولُه   عجبٌ ويُنبِيكَ الذى تَستَشهِدُ
والوحشُ والأنعامُ كيفَ لُغاتُها   والعِلمُ يُقسَمُ بينهمْ ويبَدَّدُ[١]

وقال الله عزّ وجل مخبرًا عن سليمان [أنّه قال] : ﴿ يا أيُّهَا الناسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيرِ ﴾ . وقال الشاعر[٢] :

يا لَيــلةً لى بحُوَّارِينَ ساهرةً   حتّى تَـكلَّمَ فى الصُّبحِ العَصَافيرُ

وقال الشّاعر :

وغَنَّتِ الطَّـــيرُ بعدَ عُجْمتِها   واستوفَتِ الخمْرُ حَوْلَها كَمَلاَ[٣]

وقال الـكميت :

كالنّاطقات الصــــادِقا   تِ الواسِقاتِ من الذَّخائرْ[٤] ١٨

(تدبير الحيوان)

قال : ولـكُلِّ جنسٍ من أجناس الحيوان احتراسٌ[٥] وتكسُّب ، وَرَوَغانٌ من الباغى عليه ، واحتيالٌ لما أراد صيده ؛ فهو يحتالُ لما [هو]

(١) يبدد : يفرق .
(٢) هو كلثوم بن عمرو العتابى ، كما سبق فى (٢ : ٢٩٦/٥ : ٢٢٧) . وانظر العمدة (١ : ١٧٩) والوشح ٢٩٣ .
(٣) حول كمل ، بفتح الكاف والميم : أى كامل . وفيما عدا ل : « بعد ما كملا » تحريف .
(٤) انظر (٥ : ٢٨٧) والعمدة (٢ : ٢٣) .
(٥) فيما عدا ل : « احتراس » تحريف .

دونه ويحتال فى الامتناع مما فوقه[١] ، ويختار الأماكنَ الحصينةَ ما احتملته[٢] ، والاستبدالَ بها إذا أنكرَها .

(منطق الطير)

ولها منطقٌ تتفاهم بها [حاجات بعضها إلى بعض . ولا حاجة بها إلى أن[٣]] يكونَ لها فى منطقها فضلٌ لا تحتاج إلى استعماله . وكذلك معانيها [فى[٤]] مقادير حاجاتها .

(بعض ما قيل فى العقل)

وقيل لرجل من الحكماء[٥] : متى عقلتَ ؟ قال : ساعةَ وُلِدْت . فلما رأى إنكارَهم لكلامه قال : أمّا أنا فقد بكيت حينَ خِفْت ، وطلبت الأكلَ حين جُعتُ ، وطلبت الثّدْى حين احتجْت ، وسكتُّ حين أُعطِيت . يقول هذه مقاديرُ حاجاتى ، ومن عرَف مقادير حاجاته إذا مُنِعَها وإذا أُعطِيَها ، فلا حاجة به فى ذلك الوقت إلى أكثرَ من ذلك العقل . ولذلك قال الأعرابىّ :

سَقَى الله أرضاً يعلم الضّبُّ أنّها بَعيدٌ من الآفات طيبةُ البَقْلِ[٦]

---

(١) فيما عدا ل : « لما فوقه » .
(٢) فى ط بعد « يختار » : « به حاجات بعضها ولا بد أن » وهو كلام مقحم . وفيما عدا ل : « من الأماكن الحصينة وما احتمله » بزيادة « من » . وفى ل : « مما خلته » والوجه ما أثبت .
(٣) فى س بدل هذه التكملة : « حاجات بعضها ولا بد أن » وما أثبت من ل أكمل وأقوم .
(٤) التكملة من ل ، س .
(٥) ل : « الخطباء » .
(٦) سبق البيت فى (٦ : ٥٧) برواية : « عذبة بطن القاع » .

بَنَى بيتَه منها عَلَى رأسِ كُدْيَةٍ
وكلُّ امرئٍ فى حِرْفة العَيْش ذُو عَقْلِ(١)

(منطق الطير وعقله)

فإن قال قائل : ليس هذا بمنطق . قيل له : أمّا القرآن فقد نطق بأنه منطقٌ ، والأشعارُ قد جعلته مَنطِقا ، وكذلك كلامُ العرب . فإن كنتَ إنّما أخرجتَه من حدِّ البيان ، وزعمتَ أنّه ليس بمنطقٍ لأنّكَ لم تفهم عنه ، فأنتَ أيضاً لا تفهم كلامَ عامّةِ الأمم . وأنتَ إن سمَّيْتَ كلامَهم رِطانةً وطَمْطمة فإنّك لاتمتنِـع(٢) من أن تزعمَ أنّ ذلك كلامُهم ومنطقُهم ، وعامّة الأمم أيضاً لا يفهمون كلامَك ومنطِقَك ، فجائزٌ لهم أن يُخرِجُوا كلامَك من البيان والمنطِق . وهل صار ذلك الـكلامُ منهم بياناً ومنطقا [إلاّ لتفاهمهم حاجةَ بعضهم إلى بعض ، ولأنّ ذلك كان صوتاً مؤلّفا خرج من لسانٍ وفمٍ ، فهلاّ كانت أصواتُ أجناس الطّير والوحش والبهائم بياناً ومنطقاً] إذْ قد علمتَ أنها مقطّعة مصوّرة ، ومؤلّفة منظمة(٣) وبها تفاهموا الحاجات ، وخرجت من فمٍ ولِسان . فإن كنتَ لا تفهم من ذلك إلاّ البعض فـكذلك تلك الأجناس لا تفهَمُ من كلامك إلاّ البعض . وتلك الأقدارُ من الأصوات المؤلّفة هى نهايةُ حاجاتِها والبيانِ عنها ، وكذلك أصواتُكَ المؤلَّفةُ هى نهايةُ حاجاتك و بيانِك عنها . وعلى أنّك قد تعلِّم الطّيرَ

---

(١) ق (٦ : ٥٧) : « برود بها بيتاه » .
(٢) ط فقط : « تمتنع » .
(٣) فيما عدا ل : « منطقة » .

الأصواتَ فتتعلَّم ، وكذلك يُعَلَّمُ الإنسانُ الكلامَ فيتكلَّم[١] ، كتعليم الصبيِّ والأعجميِّ . والفرقُ بين الإنسان والطَّير أنَّ ذلك المعنى معنًى يسمَّى منطقاً وكلاماً على التَّشبيه بالنَّاس ، وعلى السبب الذى يجرى[٢] ، [و] النَّاسُ ذلك
١٩ لهمْ على كلِّ حال .

وكذلك قال الشاعر الذى وصفَها بالعقل ، وإنَّما قال ذلك على التَّشبيه ، فليس للشَّاعر إطلاق هذا الكلام لها ، وليس لك أن تمنعها ذلك من كلِّ جهةٍ وفى كلِّ حال . فافهم فهمَّك الله ، فإنَّ الله قد أمرك بالتفكُّر والاعتبار ، وبالتعرُّف والاتِّعاظ .

وقد قال الله عزَّ وجلَّ مخبِراً عن سليمان : ﴿ يٰأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ ﴾ فجعل ذلك مَنطقاً ، وخصَّ الله سليمانَ بأنْ فهَّمه معانىَ ذلك المنطق ، وأقامه فيه[٣] مقامَ الطَّير . وكذلك لو قال عُلِّمْنا منطقَ البهائم والسِّباع ، لكان ذلك آيةً وعلامة .

وقد علَّم اللهُ إسماعيلَ منطِق العرَب بعد أن كان ابنَ أربعَ عشرةَ سنة ، فلما كان ذلك على غير التلقين والتأديب والاعتياد[٤] والترتيب[٥] والمنشأ ، صار ذلك برهاناً ودلالةً وأعجوبةً وآية .

وقال ابنُ عبّاس — وذكر عمر بن الخطاب فقال — : « كان كالطائر الحذِر » فشبَّه عزْمَ عمرَ وتخوُّفَه من الخطأ ، وحذَره من الخُدَع بالطائر[٦] .

---

(١) ل : « فيتعلم » .
(٢) ل : « وعلى السبب يجرى » أى الذى يجرى .
(٣) فيا عدا ل : « فيهم » تحريف .
(٤) فيا عدا ل : « والاعتبار » .
(٥) هذه الكلمة ساقطة من ه . ولعلها : « التربيب » ، أى التربية .
(٦) فيا عدا ل : « كالطائر » تحريف .

(ما قيل فى تجاوب الأصداء والديكة)

وقال ابن مقبل :

فلا أقومُ علَى المَوْلَى فأشتُمه ... ولا يخرِّقُه نابى ولا ظُفُرِى

ولا تَهَيَّبُنِى المَوْماةُ أركبُها ... إذا تجاوبت الأصْدَاء بالسَّحَرِ(١)

فجعلها تتجاوب . وقال الطرِمّاح بنُ حَكيم ـ وذكر تجاوب الدِّيَكة كما ذكر ابنُ مقبلٍ تجاوبَ الأصْدَاء ـ فقال :

فياصُبْحُ كَمِّشْ غُبَّرَ اللَّيلِ مُصْعِدًا ... بِبَمٍّ ونبِّهْ ذا العِفَاء الموشَّحِ(٢)

إذا صـــاح لم يُخْذَلْ وجاوَبَ صوتَهُ ... حِماشُ الشَّوَى يصدَحْنَ من كُلِّ مَصْدَحِ(٣)

(ما قيل فى ضبحة الثعلب وقبعة القنفذ والقرنبى)

وحدّثَ أبو عبيدةَ عن أبى عمرو بن العلاء قال: خطب ابن الزبير [خطبة] فاعترض له رجلٌ فآذاه بكلمة ، ثم طأطأ الرّجُل رأسه ، فقال ابنُ الزُّبير : أين المتكلِّمُ ؟ فلم يجبْه . فقال : « قاتله الله ، ضبح ضَبْحَةَ الثّعلب(٤) وقبَعَ قِبْعةَ القُنفذ » . وقال ابن مقبل :

ولا أتْبَعُ الجاراتِ باللَّيلِ قابعــاً ... قُبُوعَ القَرَنْبَى أخلفتْهُ مجاعِرُهْ(٥)

---

(١) فى اللسان (٢ : ٢٨٩) : « قال ثعلب : أى لا أتهيبها أنا ، فنقل الفعل إليها . وقال الجرمى : لاتهيبنى للوماة ، أى لا تملؤنى مهابة» . ل : «تجهضنى» وفيا عدا ل : « تجهمنى» صوابهما ما أثبت من اللسان .

(٢) سبق البيت وتحقيقه فى (٢ : ٢٠٤ ، ٣٤٦) . فيما عدا ل :

« كش لى عن الليل مصعداً ... ينم ونبه ذا العناء الموشح »

تحريف ، صوابه من اللسان (٣ : ٤٧٣ س ٢٥) والديوان ٦٩ .

(٣) فيا عدا ل : « حماس الصدا » محرف . وانظر ما سبق فى (٢ : ٢٠٤)

(٤) الضباح : صوت الثعلب . والخبر فى اللسان (٣ : ٣٥٥ س ٤) . وفيا عدا ل : « صاح صيحة الثعلب» .

(٥) ط ، هـ : « أخلفته » تحريف . والمجاعر : جمع مجعر ، وهو الدبر . والقرنبى =

[باب[1]

ما جاء في الشعر من إحساس الطّير وغير ذلك من الحيوان

قال أبو عبيدة : تسلَح الحُبارَى على الصّقر ، وذلك من أحدِّ سِلاحها ، وهى تعلم أنّها تدبّق جناحَيه وتكتِفهُ ، حتّى تجتمع عليه الحُبارَيات فينتفن ريشه طاقةً طاقة ، فيموت الصّقر .

والحُبارَى إذا تحسّرتْ فأبطأ نبْتُ ريشِها — وهى لا تنهض بالشّكير[2] — فربّما طار صُويحباتها إذا تقدّمَ نبْتُ ريشها قبل نبْت ريش تلك الحُبارَى ، فعند ذلك تَكْمَد حزنًا حتّى تموت كمَدًا ؛ ولذلك قال أبو الأسود الدُّؤلىّ :

وزيدٌ ميّت كَمَدَ الحُبارى إذا ظعنَتْ مُليحة أو تُلِمّ[3]

وليس فى الطّير أسرعُ طيرانًا منها ؛ لأنّها تُصادُ عِندنا بظهر البصرة ، فيوجَد فى حواصلها حبّةُ الخضراء غضّةً طريّة ، و بينها و بين مواضع ذلك الحبّ بلادٌ و بلاد . ولذلك قال بشر بن مروان[4] ، فى قتل عبد الملك عَمرو بنَ سعيدٍ[5] :

كأنّ بنى مروانَ إذ يقتُلونه بُغاثٌ من الطّير اجتمعْنَ على صَقْرِ

و بُغاث الطّير ضعاف الطير وسَفِلَتها من العِظام الأبدان ، والخشاش مثلُ

= معروفة بتتبع الناس إلى الغائط ، لولوعها بالجعر . وفى الأصل : « عاجرة » تحريف ، صوابه مما سبق فى (١ : ٢٣٨ ، ٣١٢) :

(١) من هنا يبتدىء سقط كبير ، فات النسخ جميعها ، وأثبته من ل .

(٢) الشكير : ما نبت من صغار الريش بين كباره .

(٣) سبق الكلام على البيت فى (٥ : ٤٤٥) .

(٤) سبق فى (٦ : ٣١٥) : « بعض بنى مروان » ولم يعرف بشر بن مروان بشعر .

(٥) هو عمرو بن سعيد الأشدق . انظر ما سبق فى حواشى (٦ : ٣١٥) .

ذلك إلا أنها من صغار الطير . وأنشد أبو عبيدة قول الشاعر :

سألتُ التابعَ عن أنسٍ فقالوا ... بأندلسٍ وأندلسٌ بعيدُ(١)
كأني بعد سكن مَضرِحيٌّ ... أصابَ جناحَه عنتٌ شديدُ(٢)
فقد طمعت عتاقُ الطيرِ فيه ... وكانت عن عقيرتِه تحيدُ(٣)

وقال الذكواني :

بُغاثُ الطيرِ تعرف قانصيها ... وكلٌّ مكبَّدٍ منها كهيدِ(٤)

يقول : لكلّ جنسٍ من الجوارح ضربٌ من الصيد ، وضربٌ من الطلب ، فالصيد منها يعرف ذلك ، فيجعل المهرب من الآخر . ثمّ ذكر أنها تعرف الصائد المقتلّ من الصحيح . وهو معنى الخريمي(٥) حيث يقول :

ويعلم ما يأتي وإنْ كان طائراً ... ويعلم أقدارَ الجوارحِ والبُغْثِ

وقوله البُغْث(٦) يريد به جمع أبغث ، وقال الأول(٧) : —

بغاثُ الطيرِ أكثرها فروخاً ... وأمُّ البازِ مِقلاتٌ نَزُورُ(٨)

وأنشدني ابن يسير :

---

(١) أنشده ياقوت فى معجم البلدان (رسم الأندلس) مستشهدا به على جواز حذف (أل) منها . وانظر شرح همزيات أبى تمام ص ١٧ .
(٢) كذا وردت كلمة « سكن » فى البيت .
(٣) العقيرة : الصوت .
(٤) الهيد ، أصله فى الإبل أن يصيب جنبها ضغطة من حمل ثقيل فتورثها داء يفسد عليها رئتها .
(٥) الخريمى ، هو إسحاق بن حسان بن قوهى الخريمى . انظر (١ : ٢٢٤ ، ٣٠٤) وفى الأصل : « الخزيمى » تحريف .
(٦) فى الأصل : « وليس قوله البغث » وكلمة « ليس » مقحمة .
(٧) هو العباس بن مرداس ، كما فى الحماسة (٢ : ٢١) . ونسب فى اللسان (٢ : ٣٧٧) إلى كثير عزة .
(٨) الفروخ : جمع فرخ ، ورواية الحماسة : « فراخا » . والمقلات : التى لا يبقى لها ولد . وفى الأصل : « مقلاة » تحريف . والنزور : القليلة الولد .

وبالجَـــدِّ طوراً ثم بالجِدِّ تارةً
كذاكَ جميعُ النّاس فى الجَدِّ والطَّلَبْ[1]

والجد مفتوح الجيم . يقول : الطير كالناس ، فمرّةً تصيد بالحظّ وبما يتفق لها ، ومرّةً بالحيلة والطَّلب . وقال بشّار بنُ برْد :

* وبِجَدِّهِ يتقلَّبُ العصفور *

قال : وقال زاهر[2] لصبيانه : « يرزقـكم الذى يرزُق عصافير الدوّ » .
وقال صالح المُرِّىّ[3] : تغدو الطَّيرُ خِماصاً وتَرُوحُ شِباعًا ، واثقة بأنّ لها فى كلّ غُدْوَةٍ رزقًا لايفوتُها . والذى نَفْسى بيده أنْ لو غدوتُم على أسواقكم على مثل إخلاصها ، لرُحتُم وبطونُـكم[4] أبطنُ من بطون الحوامل » .

وقال أعشى هَمْدان :

قالَت تعاتبنى عِرْسى وتسألُنى	أينَ الدَّراهم عنّا والدّنانيرُ
فقلتُ أنفقتُها واللّهُ يُخلفِهَا	والدَّهر ذو مرّةٍ عسْرٍ وميسورُ
إنْ يرزقِ اللّهُ أعدائى فقدرُزِقَتْ	من قبلهم فى مَراعيها الخنازيرُ
قالت فرزقُكَ رزقٌ غيرُ متّسعٍ	وما لَدَيْكَ من الخيرات قِطميرُ
وقد رضيتَ بأن تحيا على رَمَقٍ	يومًا فيومًا، كما تحيا العصافيرُ[5]

(١) فى الأصل : « ثم بالحس » ولا وجه له .
(٢) زاهر ، يروى عنه ابن الأعرابى . انظر (٦ : ٣٩٤ س ٣) .
(٣) صالح المرى ، أحد زهاد البصرة وعبادها ، وكان مملوكا لامرأة من بنى مرة ابن الحارث ، من بنى عبدالقيس ، فأعتقته ، وإليها ينسب . انظر صفة الصفوة لابن الجوزى (٣ : ٢٦٥ — ٢٦٦) وقد سبقت ترجمته فى (٦ : ٥٠٨) . وفى الأصل : « صالح المروى » تحريف .
(٤) فى الأصل : « لرجعتم ودينكم » .
(٥) الرمق : القليل من العيش الذى يمسك الرمق ، أى بقية الحياة . وفى الأصل : « رتق » والرتق : الكندر ؛ ولا وجه له .

وإنما خصَّ العصافير بقلّة الرِّزق ، لأنّها لاتتباعد فى طلب الطعم ؛ وإلاّ فإنَّ السِّباعَ ووحش الطّيرِ كلّها تغدو خِماصًا وتروح بطاناً .

وقال لَبيد :

فإنْ تسألِينا فيم نحنُ فإنّنا عصافيرُ من هذا الأنامِ المسحَّرِ(١)

وقال(٢) :

عصافيرُ وذِبّانٌ ودودٌ وأجرأُ من مجلِّحة الذئابِ(٣)

ولولا أنّ تفسير هذا قد مرَّ فى باب القول فى العصافير فى كتاب الحيوان لقلنا فى ذلك .

باب

ذكر اختلاف طبائع

الحيوان وما يعتريها من الأخلاق

الذئب لا يطمع فيه صاحبهُ ، فإذا دَمِيَ وثب عليه صاحبهُ فأكله .

وإذا عضَّ الذِّئبُ شاةً فأفلتتْ منه بضربٍ من الضّروب فإنَّ عادة الغنم إذا وجدَتْ ريحَ الدّمِ أن تشَمَّ موضع أنياب الذّئب ، وليس عندها عند ذلك إلاّ أن ينضمَّ بعضها إلى بعض ؛ ولذلك قال جريرٌ لعُمر بن لجَإٍ التّيميّ :

فلا يضغمَنَّ اللّيثُ تيماً بِغِرّةٍ وتَيمٌ يَشمُّونَ الفَريسَ المنيَّبا(٤)

---

(١) انظر ماسبق من الكلام على نسبة هذا البيت فى (٥ : ٢٢٩) . والبيت فى ديوان لبيد برواية الطوسى ص ٨١ .

(٢) أى لبيد . انظر الحيوان (٥:٢٢٩) . لكن البيت فى شعر امرئ القيس ١٣٢ . واللسان (٣ : ٢٤٩ — ٢٥٠) .

(٣) المجلحة : الجريئة .

(٤) الفريس : المفترس ، كالفريسة . والمنيب : المعضض بالأنياب .

فذكر أنهم كالغنم فى العجز والجبن . وإذا دَمِيَ الحمارُ ألقى نفسه إلى الأرض وامتنع ممن يريده ، بالعضّ وبكلّ ما قدر عليه ، غير أنه لا ينهض ولا يبرحُ مكانَه . وإذا أصاب الأسدَ خدْش أو شَحْطَةٌ[(١)] بعد أن يَدْمَى مكانَه فإنّ ذِبّان الأسد تلحُّ عليه ، ولا تُقلع عنه أبداً حتى تقتله .

وللأُسود ذِبّانٌ على حدة ، وكذلك الكلاب ، وكذلك الحمير ، وكذلك الإبل ، وكذلك الناس .

وإذا دَمِيَ الإنسانُ وشمّ الذئبُ منه ريحَ الدّم فما أقلّ من يَنْجُو منه وإن كان أشدّ النّاس بدَناً وقلْبا ، وأتمهم سِلاحا ، وأثقفَهم ثقافة .

وإذا دَمِيَ الببرُ استكلب فخافه كلُّ شيء كان يسالمُه مِن كبار السِّباع كالأُسود والنُّمور . والببر على خلاف جميع ما حكينا .

وإذا أصاب الحية خدْشٌ فإنّ الذرّ يطالبه أشدّ الطلب ، فلا يكاد ينجو ، ولا يعرف ذلك إلا فى القرْط .

وإذا عضّ الإنسانَ الكلْبُ الكَلِبُ فإنّ الفأر يطالبه ليبولَ عليه ، وفيه هَلَكتُهُ ، فهو يحتال له بكلّ حيلة .

وربما أغَدّ البعير فلا يعرف ذلك الجمّالُ حتّى يرى الذّبّانَ يطالبه .

وإذا وَضعت الذّئبةُ جروَها فإنه يكون حينئذ ملتزقَ الأعضاء أمْعَط كأنه قطعة لحم ، وتعلمَ الذّئبة أنّ الذّرّ يطالبه ، فلا تزال رافعةً له بيديها ، ومحوّلةً له من مكانٍ إلى مكان ، حتّى تفرج الأعضاء ، ويشتدّ اللحم .

وإذا وضعَت الهرّةُ جروَها فإنْ طرَحُوا لها لحماً من ساعتها أو رُوبةً[(٢)]

---

(١) الشحطة : أثر سحج يصيب جنبا أو فخذا أو نحوهما .

(٢) الروبة بالضم : القطعة من اللحم . وفى الأصل : « ربة » تحريف .

أو بعض ما يشبه ذلك فأكلته ، لم تكد تأكل أجراءها ، لأن الهرة يعتريها عند ذلك جُوعٌ وجُنون وخفّة .

والأجناس التي تحدث لها قوّة على غير سبب يعرف في تقدير الرأى منها ، الذّئبُ الضعيف الواثبُ على الذّئب القوىّ إذا رأى عليه دما ، والهِرّةُ إذا سفِدها الهرّ ، فإنها عند ذلك تشدُّ عليه وهى واثقةٌ باستخذائه لها وفضْل قوّتها عليه ، والجُرذ إذا خِصى فإنّه يأكل الجرذان أكلاً ذريعاً ، ولا يقوم له شىءٌ منها .

فأمّا الفيل والكركدّنُ والجمل ، عند الاغتلام وطلب الضِّراب ، فإنها وإن تركت الشُّربَ والأكلَ الأيّامَ الكثيرة فإنّه لا يقوم لشىء منها شىء من ذلك الجنس وإن كان قويّاً شابّاً آكلا شاربا .

وأمّا الغَيرانُ والغضْبان والسّكران والمُعاينِ للحربِ ، فهم يختلفون فى ذلك على عللٍ قد ذكرْناها فى القول فى فضيلة المَلَك على الإنسان ، والإنسانِ على الجانّ . فإنْ أردتَه فالتمسْهُ هناك . فإنّ إعادة الأحاديث الطوالِ والكلامَ الكثيرَ مما يُهجَر فى السّماع ، ويهجّن الكتب[1]] .

باب

ما يستدل به فى شأن الحيوان على حسن صنع الله

وإحكام تدبيره ، وأن الأمور موزونة مقدرة[2] . قالوا : الأشياء البيّاضة طائر ، ومشترك ، وذو أربع ، ومُنْساح . فمنها ما يبيض فى صُدوع الصّخر وأعالى الهِضاب ، ومنها ما يعيش فى الجِحَرة كسائر الحيات[3] .

---

(١) إلى هنا ينتهى السقط الذى بدأ فى ص ٦٠ .

(٢) فيما عدا ل : « وأحكامه وتدبيره » ، وأن أموره موزونة مقدرة » .

(٣) فيما عدا ل : « ما يبيض فى الأجحرة » تحريف . والجحرة ، بتقديم الجيم : جمع جحر .

وأما الدَّسّاس منها فإنّها تلد ولا تبيض ، و [هى] لا تُرضِع ولا تُلقِم والخُفّاش تَلد ولا تبيض وترضع ، وهذا مختلف .

والدَّجاج والحجَل والقَطا وأشباه ذلك من الدَّرَاريج وغيرِها أفاحيصُها فى الأرض .

والحمام منها طُورانىٌّ[١] جبَلِىٌّ ، ومنها ألوفٌ أهلىٌّ . فالجبلىُّ تبيض فى أوكارٍ لها[٢] فى عُرْض مقاطع الجبال ، والأهلىُّ منها يبيض فى البيوت . والعصافير بيوتُها[٣] فى أصول أجذاع السُّقُف . والخطاطيف تتّخذ بيوتَها فى باطن السقف فى أوثق ذلك وأمْنَعِه[٤] . والرَّخَم لا ترضَى من الجِبال إلا بالوحشىِّ[٥] منها ، ومن البعيد إلا فى أسحَقِها[٦] وأبعدها عن مواضع أعدائها ، ثم من [الجبال إلاّ فى رءوس هضابها ، ثم من] الهضاب[٧] إلا فى صدوع صخورها[٨] . ولذلك يُضرَب بامتناع بيضِها المثل .

وأما الرَّقّ والضِّفدِع والسُّلَحفاة والتمساح ، وهذه الدوابّ المائية ، فإنّها تبيض فى الأرض وتحضن . وأمّا السَّراطين فإنّ لها بيوتاً فى عُرْض شُطوط الأنهار والسَّواقى تمتلئ مرةً ماءً وتخلو مرة .

---

(١) يقال طورانى وطورى : منسوب إلى طور سيناء ، وقيل : منسوب إلى جبل يقال له طرآن ، نسب شاذ . وفيما عدا ل : « طورى » .

(٢) س : « فى أوكارها » .

(٣) ط ، هـ : « والعصافير فى بيوتها » .

(٤) فيما عدا ل : « فى باطن البيوت فى أوساطه وأمنعه » وأثبت ما فى ل . وكلمة « أوثق » هى فى الأصل : « أوسع » فأبدلتها بما يناسب « وأمنعه » .

(٥) ط ، هـ : « لا تبيض من الجبال إلا فى الوحشى » .

(٦) أسحقها : أشدها بعدا . فيما عدا ل : « ومن أبعدها » .

(٧) ط فقط : « المضبات » .

(٨) ل : « رءوس صدوعها » .

ومن الحيوان ما لا يجثم، كالضبّة فإنّها لا تجثِمُ على بيضها، ولكنها تغطّيها[1] بالتراب وتنتظر أيّام انصداعها.

(مواضع الفراخ والبيض)

فإذا كان موضع الفِراخ والبيض من القطا وأشباه القطا فهو أفحوصة، وإذا كان من الطّير الذى يهيئ ذلك المجثِمَ[2] من العِيدان والرِّيش والحشيش فهو عُشّ، وإذا كان من الظّليم فهو أُدْحِيّ. ذكر[3] ذلك أبو عبيدة والأصمعيّ. وكلُّها وُكور ووكون، ووُكنات ووَكَرات[4].

(أكثر الحيوان بيضا وأقلّه)

فالذى يبيض[5] الكثيرَ من البيض [الذى] لا يجوزه شيء فى الكثرة السَّمك، ثمّ الجراد، ثمّ العقارب، ثمّ الضبّة. لأنّ السّمكَ لا تزقّ ولا تُلقِم ولا تُلحِم ولا تحضُن ولا تُرضِع، فحين كانت كذلك كثّر الله تعالى ذَرأها وعددَ نسلِها، فكان ذلك على خلاف شأن الحمام الذى يُزاوِج أصنافَ الحمام. ومثل العصافير والنّعام، فإنّها لا تزاوج.

فأمّا الحمام فلمّا جعله الله يزقّ ويحضُن، ويحتاج إلى ما [يغتذيه[6] و] يغذو به ولده، ويحتاج إلى الزّقّ — وهو ضربٌ من القيء — وفيه عليها وهْنٌ

---

(١) فيما عدا ل: «تغطيه».
(٢) يقال مجثم ومجثِم، بفتح الثاء وكسرها. وفعله من بابى دخل وضرب.
(٣) فيما عدا ل: «يذكر».
(٤) وكرات: جمع وكرة، بالفتح؛ يقال وكر ووكرة.
(٥) فيما عدا ل: «فالتى تبيض».
(٦) التكملة من ل، ه.

وشدة[1] ، ولذلك لا يُزْجَل[2] إذا كان زاقا . فلما [أن] كان كذلك لم يحمل عليها أكثر من فرخين و بيضتين .

ولما كانت الدّجاجة تحضُن ولا تَزُقّ وهى تأكل الحبّ وكلّ مادبّ ودَرَج ، زاد الله فى بيضها وعدد فراريجها ، ولم يجعل ذلك فى عدد أولاد السَّمك والعقارب والضِّباب التى لا تحضُن البتّةَ ولا تَزُقّ ولا تُلقِم .

ولمّا جعَلَ الله أولادَ الضبّ لها معاشاً ، زاد فى عدد بيضِها وفراخها ، وصار ما يسلَمُ كثيراً غير متجاوزٍ للقدر .

٢١ وكذلك الظّليم ، لمّا كان لا يزقّ ولا يحضُن اتّسع عليه مطلبُ الرِّزق من الحبوب وأصول الشّجر[3] .

وجعلها تبيض ثلاثينَ بيضَةً وأكثر . [وقال ذو الرمة :

أذاك أم خاضبٌ بالسِّيِّ مَرْتَعهُ   أبو ثلاثين أمسى فهو منقلبُ[4]

و] بيضها كبارٌ ، وليس فى طاقتها أنْ تشتمل وتجثم [إلاّ] على القليل منها . وكذلك الحيَّة تضع ثلاثين بيضةً ، ولها ثلاثون ضِلعا ، و بيضها وأضلاعها عددُ أيام الشّهر ؛ ولذلك قويَت أصلابها الكثيرة عدد الأضلاع ، وحمل عليها فى الحضن بعض الحمل[5] إذ كانت لا تَرضع .

(أثر الإلقام والزق فى الحيوان)

والطائر الذى يُلقِم فرخَه يكون أقوى من الطائر الزاقّ ، وكذلك من البهائم المرضِعة .

---

(١) فيما عدا ل : « وهن شديد » .
(٢) زجل الحمام : إرساله على بعد . وفيما عدا ل : « لا يرحل » تحريف .
(٣) ل : « أصول الأشجار » .
(٤) سبق البيت فى (٤ : ٣١١ ، ٣٢٨) .
(٥) فيما عدا ل : « بعد الحضن » .

ولمّا كانت العصافير تصيد الجراد والنمل والأرَضَةَ إذا طارت ، وتأكل الحبّ واللّحم ، وكانت مع هذا تُلقم ، لم تكثُر من البيض كتكثير الدجاج ولم تقلّل كتقليل الحمام .

(ما يزاوج من الحيوان)

والعصافير فيها زواجٌ ، وكذلك النّعام . وليس فى شىء من ذوات الأربع زِواج ، وإنّما الزِّواج فى اللاتى[1] تمشِى على رِجْلين ، كالإنسان والطّير والنّعام ، وليس [هو] فِى الطير بالعامّ ، وهو فى الحمام وأصناف الحمام[2] من هذه المغنيات والنوائح عامٌّ . وسبيلُ الحجل والقَبَج[3] سبيلُ الدِّيكة والدّجاج .

والدّجاجة تمكن كلّ ديك ، والدِّيك يثِبُ على كلّ دَجاجة . وربّما غَبَرَ [الحمام[4]] الذّكَر حياتَه كلّها لا يقمط غير أنثاه ، وكذلك الأنثى لا تدعو إلاّ زوجَها ، وربّما أمكنت غيره . وفى الحمام فى هذا الباب من الاختلاف مافى النساء والرجال . فأمّا الشُّفْنِين[5] فإنّه لا يقمُط غيرَ أنثاه ، وإنْ هلكت الأُنثى لم يزاوِجْ أبداً ، وكذلك الأنثى للذكر .

(عجائب البيض)

فأمّا العلّة فى وضع القطا بيضَها أَفراداً ، وخروجِ البيضة من جهة أوسع الرّأسين ، واستدارةِ بيض الرّقّ ، واستطالة بيض الحيّات ، وما يكون

---

(١) فيما عدا ل : « التى » .
(٢) هاتان الكلمتان ساقطتان من ط .
(٣) ط : « والقنج » س : « والقنح » صوابهما فى ل ، ه .
(٤) التكملة من ل ، س .
(٥) فيما عدا ل : « السفتين » محرف . وانظر (٣ : ٥١٦) .

منها أرقَطَ وأخضَر وأصفر وأبيض [وأكدر] وأسود ، فإنّى لم أرضَ لهم فى ذلك[1] جواباً فأحكيه لك .

(معارف فى البيض)

قالوا : وإنّما يعظُم البيض على قدر جُثّة البيّاضة . وبيضُ الأبكارِ أصغر . فأمّا كثرة العدد فقالوا[2] إنّه كلّما كان أكثرَ سِفاداً كان أكثرَ عدداً . وليس الأمرُ كذلك ؛ لأنّ العصفور أكثرُ سِفاداً من أجناسٍ كثيرة هى أقلُّ بيضاً منه .

والجرادُ والسَّمك لاحضنَ ولا زَقّ ولا رَضاعَ ولا تَلقيم[3] عليهن ، فحين جَعل الفراخَ كثيرةَ العدد وكانت الأمّهات والآباء عاجزةً عنها ، لم يجعلْها محتاجةً إلى الأمّهات والآباء .

فتفهّمْ هذا التدبيرَ اللطيفَ ، والحكمةَ البالغة .

(أقل الحيوان نسلا وأكثره)

قالوا : والأقلّ فى ذلك البازِى ، والأكثر فى ذلك الذّرّ والسّمك . قال الشاعر[4] :

بغاثُ الطّيرِ أكثرها فُروخًا وأمُّ البـازِ مِقْلاتٌ نَزُورُ[5]

---

(1) فيما عدا ل : « بنك » تحريف .

(2) س : « فقال » صواب هذه « فيقال » كما فى ل .

(3) ط ، هو : « ولا يلقم » هو : « ولا يلقم » صوابهما من ل .

(4) هو العباس بن مرداس ، كما فى الحماسة (٢ : ٢٠ — ٢١) . ونسب فى اللسان (٢ : ٢٧٧) إلى كثير عزة .

(5) فيما عدا ل : « فراخا » كما فى الحماسة . وفيما عدا ل أيضاً : « وأم الصقر » . و « مقلات » هى فيما عدا ل : « مقلاة » محرفة .

وقال صاحب المنطق : نسل الأسد أقل[1] لأنه يجرح الرحم فيُعقم. ٢٢
قالوا : والفيلة تضع في سبع سنين . وأقل الخلق عدداً وذَرْءًا السكركدّن ؛ لأنّ الأنثى تكون نَزُوراً ، وأيامُ حملها كثيرة [جداً[2]] ، وهى من الحيوان الذى لا يلد إلاّ واحداً ؛ وكذلك عِظامُ الحيوان . وهى مع ذلك تأكل أولادَها ، ولا يكاد يسلم منها إلاّ القليل ؛ لأنّ الولد يخرجُ سوِيًّا نابتَ الأسنانِ والقرنِ ، شديدَ الحافر .

ما جاء في الفيلة

من عجيب التركيب وغريب التأليف ، والمعارف الصحيحةِ والأحساس اللطيفة ، وفى قَبولها التثقيفَ والتأديبَ ، وسرعَتِها إلى التّلقين والتقويم ، وما فى أبدانها من الأعضاء الكريمة والأجزاء الشريفة[3]

بسم الله الرحمن الرحيم

[والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله]، وصلى الله على سيدنا محمد خاصّة وعلى أنبيائه عامّة ، ونسأله التأييدَ والعصمة ، ونعوذ به من كلِّ سبب جانَبَ الطّاعةَ ودعا إلى المعصية ، إنّه قريبٌ مجيب ، فعّالٌ لما يريد .

قد قلنا فى أول هذا الجزء ، [وهو الجزء السابع] ، من القول فى الحيوان فى أحساس أجناسها المجهولة فيها[4] ، وفى معارفها[5] المطبوعة عليها ، وفى أعاجيب ما رُكِّبَتْ عليه من الدّفع عن أنفسها ، والتقدّم فيما يُحييها

---

(١) فيما عدا ل : « يقل » .
(٢) التكملة من ل ، س .
(٣) من مبدأ « ما جاء فى الفيلة » إلى هنا ليس فى ل .
(٤) فيما عدا ل : « منها » تحريف .
(٥) فيما عدا ل : « صغارها » محرف .

وفى تحسّسها عواقبَ أمورها وكُلّ ما خوّفت[1] من حوادث المكروه عليها بقدر ماينوبُها من الآفات ، ويعتريها من الحادِثات[2] ، وأنّها تُدْرِكُ ذلك بالطَّبع من غير رَوِيّة ، وبحِسّ النَّفس من غير فِكرة ؛ ليعتبرَ مُعتبِرٌ ويفكِّرَ مفكّر ، ولينفى عن نفسه العُجب ، ويعرفَ مقدارَه من العجز ، ونهايةَ قوّته ، ومبلغَ نفاذِ بصَرِه ، وأنّه مخلوق مدبَّر ومصرَّف وميسَّر ، وأنّ الأعجمَ من أجناس الحيوان ، والأخرَس من تلك الأشكال ، يبلغ فى تدبير معيشته ومصلحةِ شأنِه ، وفى كلّ ماهو بسبيله ، مالا يبلغه ذو الرَّويّة التامّة والمنطقِ البليغ ، وأنّ منها ما يكون ألطفَ مَدخلاً ، وأدقّ مسلكاً ، وأصنعَ كَفّا ، وأجودَ حنجرة ، وأطبعَ على الأصوات الموزونة ، وأقوَمَ فى حفظ ما يُعيشُه طريقةً ، إلاّ أنّ ذلك منها مفرّق[3] غـــيرُ مجموع ، ومنقطعٌ غير منظوم .

والإنسان ذو العقل والاستطاعة ، والتصرُّف والرويّة ، إذا علم علماً
٢٣ غامضاً ، وأدركَ معنًى خفيّا ، لم يكَدْ يَمتنع عليه ما دونَه إذا قاس بعضَ أمْرِه على بعض .

وأجناسُ الحيوانِ قد يعلَم بعضها[4] علماً ، ويصنع بكفّه صنعةً يفوقُ بها الناس[5] ولا يهتدِى إلى ماهو دونَ [ذلك بطبعٍ ولا رويّة . وعلى أنّ الذى عجز عنه فى تقدير العقول دون] الذى قَدَرَ عليه .

---

(١) فى الأصل : « وفى تحصينها عواقب أمورها وكلما خوفت » .
(٢) ل : « من الحاجات » .
(٣) فيما عدا ل : « مفترق » .
(٤) ط : « بعضه » .
(٥) ل : « الإنسان » .

وأنا ذاكرٌ إن شاء الله ، ماجاء فى الفيلة من عجيب التركيب وغريب التأليف ، والمعارفِ الصَّحيحة ، والأحساس اللطيفة ، وفى قَبولها التَّثقيفَ والتَّأديب ، وسُرعتها إلى التلقين والتَّقويم ، وما فى أبدانها من الأعضاء الكريمة والأجزاء الشريفة ، وكم مقدارُ منافعِها ومبلغُ مضارِّها ، وبكم فَضَلَتْ أجناسَ الحيوان ، وَفاقَتْ تلك الأجناسَ ، وما جعل الله تعالى فيها من الآيات والبرهانات ، والعلامات النيِّرات ، التى جَلاها لعُيونِ خلقه وعَرَّف بينها وبين عُقول عباده ، وقيَّدَها عليهم ، وحفِظَها لهم ؛ [ليكثِّرَ لهم[1]] من الأدلَّة ، ويزيدَهم فى وضوح الحُجة ويسخِّرَهم لتمام النِّعمة ، والذى ذكرها الله به فى الكتاب الناطق[2] والخبر الصادق ، وما فى الآثار المعروفة والأمثال المضروبة ، والتجاريب الصحيحة[3] ، وما قالت فيها الشعراء ، ونطقَتْ به الخطباء ، وميَّزَتْه العلماء ، وعجبَت منه الحكماء وحالِها عند الملوك وموضعِ نفعها فى الحروب ، وَمهابتها فى العيون وجَلالتها فى الصُّدور ، وفى طُول أعمارها وقوَّة أبدانِها ، وفى اعتزامها وتصميمها ، وأحقادها[4] وشدَّة اكترائها ، وطلبها بطوائلها ، وارتفاعها[5] عن مِلْك السُّقَّاط والحشْوة ، وعن اقتناء الأنذال والسَّفِلة ، وعن ارتخاصها فى الثمن وارتباطها على الخَسْف ، وابتذالها وإذالتها ، وعن امتناع طبائعها وتمنُّع غرائزها[6] أن تَصلُحَ أبدانُها وتَنْبُتَ أنيابُها ، وتعظُمَ جوارحُها ، وتتسافدَ

---

(١) التكلة من س ، ه ، ل ، لكن فى ل : « ليكرر » .
(٢) فيا عدا ل : « وما ذكرها الله بها فى الحديث الناطق » .
(٣) فيا عدا ل : « والتجاريب الصحيحة » .
(٤) ط ، ه : « وإخفارها » س : « وإخفادها » صوابهما فى ل .
(٥) فيا عدا ل : « وارتداعها » تحريف .
(٦) فيا عدا ل : « غوائرها » محرف .

وتتلاقَحَ إلاّ فى معادنها و بلادها ، وفى منابتها ومَغارس أعراقها ، مع التماس الملوك ذلك منها ، حتّى أعجزَتِ الحِيَل ، وخرجَتْ مِن حدّ الطَّمَع[١] ، وعن الإخبار عن حَمْلها ووضْعِها ومواضع أعضائها ، والذى خالفَتْ فيه الأشكالَ الأربعةَ التى تُحيط بالجميع مِمّا ينْساح أو يعوم ، أو يمشى أو يطير ، وجميعِ ماينتقل عن أوَّليّةِ خَلْقه ، وما يبقى على الطّبائع الأُوَل من صُورته وعمّا يتنازَعُه من شِبه الحيوان ، أوما يخالِفُ فيه جميعَ الحيوان ، وعن القول فى شدّة قلبه وأسْرِه ، وفى جرأته على ماهو أعظمُ بدَنًا وأشدُّ كلَبًا ، وأحدُّ أظفاراً ، وأذربُ أنيابا ، وهربه[٢] مِمّا هو أصغرُ منه جرمًا وأكلُّ حدّاً ، وأضعَفُ أسْراً ، وأخملُ ذكراً ، وعن الإخبار عن خصاله المذمومة وأموره المحمودة ، وعن القول فى لَونه وجِلده وشَعره ، ولحمه وشحمه وعظمه ، وبَوله ونَجْوه ، وعن لسانه وفِمه[٣] وعن أذنه وعينه ، وعن خرطومه
٢٤ وغُرموله ، وعن مَقاتِله وموضع سلاحه ، وعن أدوائه ودوائه ، وعن القول فى أنيابه وسائرِ أسنانه وسائر عظامه ، وفرْقِ مابينَ عِظامه وعظام غيره ، وعن مَواضع عجزه وقوّته ، والقَوْلِ فى ألبانها وضُروعها وعدد أخْلافها وأماكن ذلك منها ، وعن سِيَاحتها ومشْيها وحُضْرها وسُرعتها ، وخِفّة وطئها ولين ظهورها ، وإلذاذ راكبها ، وعن ثبات خُفّها فى الوَحل والرّمل وفى الحَدَر والصَّعْداء ، وعن أمْنِ راكبها من العِثار ، وكيف حالها[٤] عند اهتياجها واغتلامِها ، وعن[٥] سكونها وانقضاء هَيَجانها عند حملها ،

---

(١) فيما عدا ل : « وخرجت عن الطبع » .
(٢) فيما عدا ل : « وتفرته » .
(٣) فيما عدا ل : « وفيه » .
(٤) فيما عدا ل : « واحتيالها » تحريف .
(٥) ل : « وعند » محرف .

وعنْ طرَبها وطاعتها لسُوّاسها ، وفهمِها لمـا يُراد منها ، وكيف حِدَّةُ نَظَرِها والفَهمُ الذى يُرَى فى طَرْفِها ، مع الوقار والنُّبل ، والإطراق والسُّكون ، ولِمَ[1] اجتمعت الملوكُ عرَبُها وعجمُها[2] وأحمرُها وأسودُها على اقتنائها[3] والتزيُّنِ بها والفخرِ بكثرةِ ملتهيّاً لهم منها ، حتّى صارت عندهم من أكرم الهدايا وأشرَف الألطاف ، وحتّى صار اتّخاذُها مُرُوءةً وعَتاداً وعُدّة ، ودليلاً على أنّ مُقْتَنِيَها[4] صاحبُ حرب ؛ وفى تفضيل [خصال] الفِيل على خصال البعير ، وفى أىِّ مكانٍ يكون أنفعَ فى الحرب[5] من الفرَس ، وأصبرَ عند القتال من النَّمر ، وأقتلَ للأسد من الجاموس ، وأكلَبَ من من الببر إذا تعرّم[6] ، وأشدَّ من الكرْكدَّنِ إذا اغتلم ، حتّى لايبلغَه مقدارُ ما يكون من تماسيح [الخُلجان ، وخيـــل] النِّيل ، وَعِقبان الهواء ، وَأُسْدِ الغياض .

(قصيدة هارون مولى الأزد فى الفيل)

وقد جمع هارونُ مولى الأزد الذى كان يرُدُّ على الكميت ويفخر بقحطان، وكان شاعرَ أهْلِ المُولتان[7] ، ولا أعرف من شأنه [أكثر من

(١) فيما عدا ل : « ولو » تحريف .
(٢) س : « عربيها وعجميها » .
(٣) ل : « اجتلابها » .
(٤) فيما عدا ل : « يقتنيها » .
(٥) فيما عدا ل : « للحرب » :
(٦) تعرم : صار صاحب عرامة ، وهى الشراسة والشدة. وفيما عدا ل : « تعرض » محرفة
(٧) المولتان ، بضم أوله وسكون ثانيه واللام ، يلتق فيـــه ساكنان ، بذلك ضبطه ياقوت ، ثم قال: « وأكثر ما يسمع فيه ملتان بغير واو، وأكثر ما تكتب كما هنا» وهى بلد فى بلاد الهند على سمت غزنة . وفيما عدا ل : « وكان شاعرا مولدا » .

اسمه] وصناعته . وقد قال فى صفات الفيل أشعاراً كثيرة ، ذكر فيها كثيراً ممّا قدّمنا ذِكره(١) . فمن ذلك قوله :

أليس عجيباً بأنْ خِلقةٌ … له فِطَنُ الإنسِ فى جِرْمِ فيل

وأنشد[نى] هذا البيتَ صفوانُ بن صفوانَ الأنصاريّ ، وكان من رُواة داود بن مزيد(٢) :

«أليسَ عجيباً بأنْ خِلقةٌ … له فِطَنُ الإنس فى جِرْمِ فيلِ»
وأظرف مِنْ قِشَّةٍ زَولةٍ … بِحِلْمٍ يجلُّ عن الخنشَليلِ(٣)
وأوقصُ مختلفٌ خَلْقُه … طويلُ النُّيُوبِ قصيرُ النَّصيلِ(٤)
ويلقى العدُوَّ بنابٍ عظيمٍ … وجَوفٍ رَحيبٍ وصوتٍ ضَئيلِ
وأشبهُ شيءٍ إذا قِسْتَه … بخنزيرِ بَرٍّ وجاموسِ غِيلِ
تَنازَعَهُ كلُّ ذى أربعٍ … فما فى الأنام له مِن عَديلِ
ويخضعُ للّيثِ ليثِ العَرينِ … بأنْ ناسَبَ الهِرَّ، من رأسِ مِيلِ(٥)
ويعصِفُ بالبَبْرِ بعد النُّمورِ … كما تعصفُ الرِّيحُ بالعنديلِ(٦)

---

(١) فيما عدا ل : « ذكرتها فى ما قدمنا ذكره » تحريف .

(٢) ل : « وكان من زوار داود بن يزيد » .

(٣) القشة ، بالكسر : الأنثى من القرود . والزولة : الظريفة . فيما عدا س : « وأكرم » محرف . وفى نهاية الأرب (٩ : ٣١١) : « وأطرف » بالطاء المهملة . ط : « ذولت » ه : «زولت» صوابهما فى ل ، س ونهاية الأرب . والخنشليل : الماضى ، والمسن القوى . فيما عدا ل : « الخشنيل » صوابه فى ل والنهاية .

(٤) الأوقص : القصير العنق . ط ، س : « رواقص » صوابه فى ل ، ه والنهاية . والنصيل : ما تحت العين إلى الخطم . ط فقط : « النعيل » محرفة .

(٥) أى يخاف الأسد لمشابهته الهر فى الصورة .

(٦) كذا ورد « العنديل » بياء بعد الدال . والذى فى المعاجم أنه بلام بعد الدال .

وشخصٌ تُرَى يَدُه أنفَه فإنْ وصَلوه بسيفٍ صَقيلِ[1]
وأقبلَ كالطَّودِ هادِى الخَميسِ بهَوْلٍ شديدٍ أمامَ الرَّعيلِ[2]
ومرَّ يَسِيلُ كسَيْلِ الأَتىِّ بخطوٍ خفيفٍ وجِرْمٍ ثقيلِ[3]
فإن شِمتَه زادَ فى هَوْله شناعةُ أُذْنين فى رأسِ غولِ[4]
وقد كنتُ أعدَدْتُ هِرًّا لَهُ قليلَ التهيُّبِ للزَّندَبيلِ[5]
فلما أحسَّ به فى العَجاجِ أتانا الإلٰهُ بفتحٍ جميلِ
فطارَ وراغَمَ فيَّالَهُ بقلبٍ نجيبٍ وجسمٍ نبيلِ
فسبحانَ خالقِهِ وحْدَه إلٰهُ الأنامِ وربُّ الفيولِ

(احتيال هارون بالهر لهزيمة الفيل)

وذكر صفوانُ بن صفوانَ أنّ هارون هذا خبّأ معه هِرًّا[6] تحت حِضْنِه ومشى بسيفِه إلى الفيل ، وفى خُرطومه السَّيف ، والفيالونَ يَذْمُرُونَه[7] ، فلما دنا منه رمى بالهرِّ فى وجهه ، فأدبرَ هاربًا ، وتساقط كلُّ مَن كان فوقَه ، وكبَّر المسلمون ، وكان ذلك سببَ الهزيمة .

وسنذكر الهرَّ فى هذا الشِّعر كما كتبتُه لك .

---

(١) ط ، هـ : « فإن وصفوه » . ط : « بسيف ثقيل » .
(٢) هدى الخميس ، أى تقدم الجيش ؛ والهادى : المتقدم .
(٣) الأتى : السيل لا يدرى من أين أتى . فيما عدا س : « يسيل كسيل » .
(٤) شمته : رأيته ، يقال شامه يشيمه . فيما عدا ل ونهاية الأرب : « فإن سمته ذاك » تحريف .
(٥) ط : « تقيل التثبت » س ، هـ : « ثقيل التثبت » صوابهما فى ل .
(٦) ط : « جاء معه هر » س ، هـ : « جاء معه بهر » وأثبت ما فى ل .
(٧) الذمر ، بالذال المعجمة : الحض والحث . فيما عدا ل : « يدمرونه » تحريف . انظر (٢ : ٦٥ س ١) .

(استطراد لغوى)

وأمّا قوله :

* بِحِلمٍ يَجَلُّ عن الخَنْشليل[1] *

فقد قال الأنصاريُّ فى صفة النّخل[2] :

تُليصُ العِشَاءَ بأذنابِها وفى مَدَر الأرضِ عنها فُضُولُ[3]
ويشبعها المصُّ مصُّ الثّرَى إذا جاعت الشّاةُ والخَنْشلِيلُ[4]

وهذا غير قوله :

قد علمتْ جاريةٌ عُطبولُ أنِّى بنصل السيف خَنْشلِيلُ[5]

(العنديل)

وأما العَنديل فهو طائرٌ صغيرٌ جدًّا ؛ ولذلك قال الشّاعر :

وما كان يَوْمَ الرِّيحِ أوّلَ طائرٍ
يَرُوحُ كَرَوْحِ العَنديل إلى الوكْرِ[6]

لأنّ الرّيح تعصِف به من صِغره ، فهو يعرفُ ذلك من نفسِه ، فإذا قوِيت الرِّيح دخَلَ جُحْرَه . ويقولون عندليب وعَنديل[7] وكلٌّ صواب ؛ ولذلك قال هارون :

---

(١) فيما عدا ل : « الخنشبيل » تحريف » تحريف . وانظر ما مضى فى ص ٧٦ .
(٢) فى الأصل : « النحل » وتأتى البيتين يبين أنه « النخل » إذ جعلها تمص الثرى.
(٣) تليص بذنبها : تديره وتحركه . المدر : قطع الطين اليابس . فيما عدا ل : « تمص الشايا ذنابتها » .
(٤) الخنشليل من الإبل : المسن البازل . فيما عدا ل : « الخنشبيل » محرف .
(٥) البيتان فى اللسان (١٣ : ٢٣٦) .
(٦) العنديل ، كذا وردت . ولم أجد إلا « العندليل » بلامين .
(٧) عنديل ، كذا فى الأصل . وانظر التنبيه السابق .

ويعصِفُ بالبَبْرِ بَعْدَ النُّمورِ   كما تعصِفُ الرِّيحُ بالعنديلِ

وستُخبر عن تقرير ماق هذه القصيدة مفرَّقا ، إذْ لم نقدِرْ عليه مجموعًا ٢٦
متَّصلا . ولو أمكن ذلك لكان أحسن الكتاب وأصَحَّ لمعناه ، وأفهَمَ لمنْ قرأه(١) .

باب

ما يدخل فى ذكر الفيل .

وفيه أخلاط من شعر وحديث وغير ذلك

قال رؤبةُ فى صفة الفيل :

أجْرَدُ كالحِصْنِ طويلُ النَّابَيْنْ   مُشَرَّفُ اللَّحْيِ صغيرُ القُمْقُمَيْنْ(٢)

* عليه أُذْنانِ كفضْلِ الثَّوْبَيْنْ *

وأنشد ابنُ الأعرابىّ :

هو البعوضةُ إنْ كلَّفته كَرَمًا   والفيل فى كلِّ أمرٍ أصلُه لُومُ(٣)

وقال أعرابى وَوَصَف امرأةً له(٤) :

* لو أكَلَتْ فِيلَيْنِ لم تَخْشَ البَشَمْ *

وقال أعرابىٌّ ، [وتَروى] لبعض الأكْرِياء(٥) :

---

(١) فيما عدا ل : « وأوضح وأفهم لمعناه » .

(٢) القمقمان ، بالضم : الحيان . فيما عدا ل : « العينين » وأثبت ماق ل ومباهج الفكر (٣ : ٧٩) مصورة دار الكتب .

(٣) ط ، هو : « إذ كلفته » .

(٤) ل : « فى وصف امرأة له » .

(٥) الأكرياء : جمع كرى ، وهو المكارى الذى يكريك دابته . ل : « وقال أعرابى لبعض الأكرياء » . وفيما عدا ل : «وقال الأعرابى يصف الأكرياء» وقد جمعت من بينهما الصواب زائدا كلمة « وتَروى » .

لو تركبُ البُختيَّ ميلاً لأنحطَمْ[1] أو تركبُ الفيلَ بِهاالفيلُ وَزَمْ[2]

وحمل ناسٌ أبا الحلال الهَدادى[3] على الفيلِ أيَّام الحَجَّاج ، فتمنَّع وأنشأ يقول :

أأرْكَبُ شيطاناً ومِسْخاً وهَضْبة ألا إنَّ رأيى قبل ذاك مُضَلَّلُ[4]

فقالوا له : لو علوتَه ما كانَ عندكَ إلاَّ كالبغْل ! فلما علاه صاحَ : الأرْضَ الأرضَ ! فلما خافوا أنْ يرمِيَ بنفسه وهو شيخٌ كبير ، أنزلوه ، فقال بعد ذلك فى كلمة له :

وما كان تحتى يومَ ذلك بَغْـــلةٌ

ولـكِنَّ جُلْباً مِنْ رَفِيع السَّحائبِ[5]

وقال بعض [المتحدِّثين و] المُلَحِّين[6] فى بعض النِّساء :

أرادت مرَّةً بيتاً لها فيه تماثيلُ

فلما أبصرَتْ سِتراً لوجْهَيه تهاويـــلُ

وفيه الفيلُ منقوشاً وفى مِشْفَرِه طُولُ

قالت انزِعُوا الستر فَلا يأ كُلُنِيَ الفِيلُ[7]

---

(١) فيا عدا ل : « انحطم » .

(٢) رزم البعير والرجل وغيرهما يرزم رزوما ورزاما ، إذا كان لا يقدر على النهوض رزاما وهزالا . ط : « نهى الفيل ورم » س ، ه : « نها الفيل ورم » صوابهما فى ل .

(٣) الهدادى : نسبة إلى هداد ، كسحاب : حى من اليمن . فيا عدا ل : « المداهدى » وهداهد ، بضم أوله وكسر رابعه : حى من اليمن أيضا .

(٤) فيا عدا ل : « وأسلم إنى قبل ذاك فعلل » محرف .

(٥) الجلب ، بالكسر والضم : السحاب الذى لاماء فيه . ط ، ه : « ولـكن تحتى » س : « ولـكن حتى » . صوابهما فى ل . والرفيع : المرتفع . ل : « رجيع » ولا وجه له .

(٦) فى اللسان والقاموس : « ملح الشاعر ، إذا أتى بشىء مليح » ل : « المتملحين » .

(٧) فى البيت مايسميه العروضيون الخرم .

وقال خَلَف بن خليفةَ الأقطع ، حين ذكر الأشرافَ الذين يدخلون على ابن هُبيرة :

وقامتْ قريشٌ قريشُ البِطـاحِ   مع العُصَبِ الاوَلِ الدَّاخِلَهْ[(١)]
يقودهم الفيـــلُ والزَّنْدَبيلُ   وَذُو الضِّرسِ والشَّفَةِ المائلهْ

الفيل والزَّنْدَبيل أبان والحكم ، أبنا عبد الملك بن بشر بن مَرْوان[(٢)] وذو ٢٧ الضِّرس خالد بن سَلَمة المخزومى الخطيب ، وهو ذو الشَّفة ، قتل مع يزيد ابن عُمَر بن هبيرة[(٣)] فيمن قتل .

وقد فَصَل خلف بن خليفة الفيلَ من الزَّنْدبيل ، ولم يفسِّر[(٤)] . وقد اختلفوا فى ذلك ، وسنذكرُه إذا جرَّ سببه[(٥)] إن شاء الله تعالى .

(طرائف من اللغات والأخبار فى الفيل)

[[(٦)]الفيلُ ، المعروف بهذا الاسم . ويقال رجلٌ فِيلٌ إذا كان فى رأيه فِيَالة ؛ والفِيالة : الخطأ والفساد . ويسمُّون أيضاً الرَّجُلَ بفيل ، منهم فيلٌ

---

(١) قريش البطاح : الذين ينزلون أباطح مكة وبطحاءها . وقريش الظواهر : الذين ينزلون ما حول مكة . وأكرمهما قريش البطاح . فيما عدا ل : « هى العضب » موضع : « مع العصب » .

(٢) فى المعارف ١٥٥ أن بشر بن مروان ، « أول أمير مات بالبصرة ، وله عقب » فيما عدا ل : « بشر بن عبد الملك » وليس لعبد الملك ولد يسمى بشرا . انظر المعارف ١٥٦ والبيان والتبيين (١ : ١٠٠) والطبرى (٩ : ١٤٥س ١٦) .

(٣) يزيد بن عمر بن هبيرة ، ولاه مروان بن محمد بن مروان بن الحكم على العراق ، وقتله أبو جعفر المنصور بعد حصاره له فى واسط تسعة أشهر فى شوال سنة ١٣٢ . انظر المعارف ١٦٢ . فيما عدا ل : « يزيد بن عمرو » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « ولم يقصر » محرفة .

(٥) فيما عدا ل : « وسنذكر شبهه » .

(٦) من هنا يبدأ سقط كبير انفردت بإثباته نسخة كوبريلى .

مولى زياد وحاجبُه . وفى أنهارِ الفرات بالبصرة نهر يقال له فيل بانان ، وموضعٌ آخر يقال له فِيلان[1] .

وقد يعرض بقـــدم الإنسان ورَم جاسٍ حتّى تعظم له قدمُه وساقُه ، وصاحبُه لا يبرأ منه ، و يسمَّى ذلك الورمُ داء الفيل .

و يسمَّى الرّجُل بدَغفَلٍ ، وهو ولد الفِيل[2] . ولا يسمُّون بزَنْدبيل .

و بعض العرب يقول للذَّكَر من الفيلة فِيل وللأنثى فِيلة ، كما يقولون أسد وأسدة ، وذئب وذئبة ، ولا يقولون مثل ذلك فى ثعلب وضبع ، وأمورٍ غير ذلك ، إلاّ أن يكون أسماً لإنسان .

و بعث رجلٌ من العرب بَديلاً مكانَه فى بعض البعوث ، وأنشأ يقول :

إذا ما اختبَّتِ الشَّقْرَاءُ مِيلاً ‌‌ ‌‌ ‌‌ فهانَ عَلَىَّ ما لقِىَ البَديلُ[3]

يشنِّفُها ويحسِبــها بعيراً ‌‌ ‌‌ ‌‌ قليلٌ علمه بالخَيـــلِ فِيلُ[4]

وأنشدنا الأصمعىّ :

يفرُّون والفيل الجبان كأنَّه ‌‌ ‌‌ ‌‌ أزَبُّ خَصِىٌّ نفَّرتْهُ القَعاقِعُ

قال سَلَمَة بن عَيَّاش[5] : قال لى رؤبة : « ما كنت أجد أن أرى فى رأيك فَيالة » .

---

(١) فيلان : بلد وولاية قرب باب الأبواب من نواحى الخزر . عن ياقوت .

(٢) ممن سمى بذلك دغفل بن حنظلة الشيبانى النسابة المترجم فى (٣ : ٤٨٩) .

(٣) اختبت : سارت الخبب ، وهو ضرب من العدو . قال :

مذكرة الثنيا مساندة القرى ‌‌ ‌‌ جمالية تختب ثم تنيب

والشقراء : فرسه .

(٤) الفيل ، هنا : الضعيف الرأى .

(٥) سلمة بن عياش : شاعر بصرى من مخضرمى الدولتين ، وكان منقطعا إلى جعفر ومحمد ابنى سليمان بن على بن عبد الله بن عباس يمدحهما . ترجم له أبو الفرج فى (٢١ : ٨٤ — ٨٦) . وفى الأصل : « بن عباس » محرف .

وبالكوفة باب الفيل ، وبواسط باب الفيل .

ومنهم فِيلُويَه ، وهو أبو حاتم بن[1] فِيلُويه . وكان أبو مسلم ربَّى أبا حاتم حتَّى اكتهل . وهُما سقَيا أبا مسلم السمّ حتى عُولج بالتِّرياق فأفاق ، فقتلهما أبو مسلم بعد ذلك ، وكانا على شبيهٍ بدين الخُرَّميّة .

ويقولون عنبسة الفِيل ، وهو النحويّ ، وهو أحد قدماء النحويِّين الحذّاق . وهو عنبسة بن مَعْدَانَ ، وكان معدانُ يروض فيلاً لزياد ، فلما أنشَدَ عنبسةُ بنُ معدانَ هجاء جريرٍ للفرزدق قال الفرزدق :

لقد كان فى مَعْدانَ والفيلِ زاجرٌ لعنبسةَ الرَّاوى علىَّ القصائدا

فلمَّا تناشَدَ النَّاسُ بعد ذلك هذا الشعرَ قال عنبسةُ : إنَّما قال الفرزدق :

* لقد كان فى مَعْدانَ واللُّؤمِ زاجرٌ *

فقالوا : إنَّ شيئاً فررتَ منه إلى اللُّؤم لنَاهِيكَ به قُبحاً ! فعند ذلك سمِّى « عنبسةَ الفيل[2] » .

وغيلان الراجز كان يقال له « غيلانُ راكب الفيل » كان الحجّاج ابن يوسف ربَّما حَمَله على الفيل .

وسَعْدُويه الطُّنبوريّ ، وكان يقال له « سعدويه بين الفيل » .

قال أبو عبيدة : حدّثنى يونس قال : لما بنى فِيلٌ مولى زيادٍ دارَه وحمّامَه بالسَّيابجة[3] ، عمِل طعاماً لأصحاب زياد ، ودعاهم إلى داره ، وأدْخلهم

---

(١) هذه الكلمة ليست بالأصل ، وهى تكملة يستقيم بها الكلام .

(٢) كان عنبسة تلميذ أبى الأسود . وانظر القصة فى بغية الوعاة ٣٦٨ .

(٣) السيابجة ، أراد به موضعا كان ينزله السيابجة بالبصرة ، والسيابجة قوم من السند كانوا بالبصرة جلاوزة وحراس السجن . انظر معرب الجواليقى ١٧٣ . وكان كثير من خطط البصرة وغيرها يسمى بأسماء الطوائف والقبائل النازلة فيها .

حمّامه ، فلمّا خرجوا منه غدّاهم ثم ركِب وغـــبّر فى وجوههم ، فقال أبو الأسود الدُّئلى :

لَعَمْرُ أبيكَ ما حَمّامُ كِسرى   على الثُّلُثَينِ من حمّام فيلِ

وقال الجارود بن أبى سَبرة :

وما إرقاصنا خَلْفَ الموالى   كَسُنَّتِنا على عهدِ الرسولِ[1]

وأنشد الأصمعى وغيره :

خلافا علينا من فَيالة رأيه

كما قيل قبلَ اليوم خالفْ فتُذْكَرا[2]

ويقال للرّجُل إذا عُنِّف عند الرأى يراه : لِمَ تفيِّلُ رأيَكَ ؟ وقد فَالَ رأيُ فلان .

وحدّثنا عبد الله بن بكر ، عن حميد ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لمّا انتهيتُ إلى السِّدْرة إذا ورقُها أمثالُ آذانِ الفِيَلة ، وإذا ثَمَرها أمثالُ القِلال[3] ، فلما غشِيَها من أمر الله ما غشِيَها تحوّلت ياقوتا » .

وقال صاحب الكيمياء فى جرير بن يزيد :

مهلاً أبا العبّاس رِفقاً ولا   تكنْ خَصيمَ المَعْشَرِ الخُونِ

هيهاتَ هيهاتَ لما رُمْتَه   أو يُولَدَ الفيلُ من النُّونِ

أنت إذا ما عُــدَّ أهلُ الحِجا   والحِلْمِ كالأحنف فى سينِ[4]

---

(١) فى اللسان : « أرقص القوم فى سيرهم إذا كانوا يرتفعون وينخفضون » .

(٢) فى الأصل : « خالف تذكر » وبأباه الشعر . وصوابه فى البيان (٢ : ١٤٢) وانظر المثل فى الميدانى (١ : ٢١٣) .

(٣) القلة : الجرة العظيمة .

(٤) كأنه أراد : هما فى الاستواء كاستواء أسنان حرف السين .

(الفرخ والفروج)

وكلُّ طائرٍ يخرُج من البيض وكلُّ ولدٍ يخرج من البيض وإن لم يكن طائراً ، فإنَّما يسمَّى فرخاً ، كفرخ الحمام والوزغة والعظاءة والرقّ وَالسُّلحفاء والحُلَكاء ، وبناتِ النَّقا ، وشحمة الأرض ، والضب ، والحِرْذون ، والورل ، والحرباء ؛ إلاَّ مايخرج من بيض الدجاج فإنَّه يقال له « فرّوج » ولا يقال له فرخ . إلاّ أنَّ الشعراء يتوسَّعون فى ذلك . قال شمَّاخ بن أبى شداد(١) :

ألا مَنْ مبلغٌ خاقان عَنَّا ... تأمَّلْ حين يضرِبُك الشِّتاءُ
أتجعلُ فى عيالك من صغيرٍ ... ومن شيخٍ أضرَّبه الفناءُ
فراخَ دجاجةٍ يتبعْن دِيكاً ... يلُذْنَ به إذا حَمِسَ الوغاءُ

وقال الآخر :

أحبُّ إلينا من فراخ دجاجة ... ومن ديك أنباطٍ تنوسُ غَباغبُه(٢)

وإذا سمَّى أهل البصرة إنساناً بفيل فأرادوا تصغيره قالوا فيلويه ، كما يجعلون عمرا عَمرويه ، ومحمداً حمدويه . وكان محمَّد بن إبراهيم الرَّافقى الفارسُ النَّجيد قتيل نصر بن شَبَث ، مولى بنى نصر بن معاوية ، له كنيتان : أبو الفيل وأبو جعفر . ولم يكن بالجزيرة أفرَسُ من داود بن عيسى ، وأبى الفيل ، وعيسى بن منصور من ساكنى الرافقة(٣)] .

---

(١) سبق فى (١ : ٢٠٠) نسبة الشعر إلى الشماخ بن ضرار . ويبدو أن ماهنا صوابه ، إذ أن الأبيات لم ترو فى ديوان الشماخ . والشماخ بن أبى شداد الفيافى ، ذكره الآمدى فى المؤتلف ١٣٨ وروى له شعرا .

(٢) قبله كما سبق فى (١ : ١٩٩) :

لعمرى لأصوات المكاكى بالضحى ... وسود تداعى بالعشى نواعبه

(٣) الرافقة : بلدة كانت متصلة البناء بالرقة على ضفة الفرات ، قال ياقوت : « فأما الآن فإن الرقة خربت وغلب اسمها على الرافقة ، وصار اسم المدينة الرقة » . . وإلى هنا ينتهى السقط الذى بدأ فى ص ٨١ .

(حمل الفيل وعمره)

وَذَكَرَ بعضُ الفيَّالين أنَّ الفِيَلة تضعُ لِسبع سنينَ ولدًا مستوِيَ الأسنان، وأنّهم يرصدون ذلك الوقتَ من الوحشيّة مِنها[1]، ويحتالون فى أخْذ الولد، وأنّ ذلك الولدَ يعيش فى أيديهم[2] ما بين الثمانين سنةً إلى المائة، وأنَّ عُمر الوحشية أطولُ، وأنّ كلَّ شيء منها اليومَ بالعسكر إناث، وأنَّ الموتَ بالعراق إلى الذُّكورة أسرعُ، وأنّ نابَه لا يطول عندنا، وأنّهم يعْملون من جلودها التِّرَسَـةَ[3] أجودَ من جلود الجواميس، ومن الخيزُران[4]، ومن الدَّرق والحَجَف التى تتخذ من جلود الإبل[5]، ومن هذه المقَّبة [المطليَّة]، ومن جميع ما يؤلَّف من أنواع الخشَب والجلودِ التى قد أطيلَ إنقاعُها فى اللّبن، ومن كلِّ تُبَّتِيَ وصينيَ[6].

(مروج الفيلة)

وذكر أنّ لهـا مُروجاً، وأنَّ المروجَ أصلحُ لهـا من القُرى، ومواضِعَها من الوحش أصلحُ لهـا من المُروج.

---

(١) فيما عدا ل : « بها » محرف.
(٢) فيما عدا ل : « فيهم فى أيديهم » وكلة : « فيهم » مقحمة.
(٣) الترسة : جمع ترس. س، ه : « أترسة » وفى اللسان : « قال يعقوب : « ولا تقل أترسة ».
(٤) فيما عدا ل : « الحيوان ».
(٥) الحجف بتقديم الحاء : الترس من جلود ليس فيه خشب ولا عقب. فيما عدا ه : « الجحف » محرف، وفى ل : « المتخذة من جلود الإبل ».
(٦) فيما عدا ل : « ومن كل شيء رصين ».

(فهم الفيلة)

وذكر رسولٌ لى إلى سائسها أنّه قد اتّبعها إلى دجلة ، وأنّ بعض الغَوغاء صاح بها : يا حجّام بابَك ! وهذا الكلام اليومَ ظاهرٌ على ألسنة الجهّال ، وأنّ فيلاً منها ركَلَه برجله رَكْلةً صكَّ بها الحائط[1] حتّى خيف عليه منها ، وأنّه رأى منها الإنكارَ لذلك القول ، وأنّ الفيّالَ كان يحثُّها على الانتقام لمّا صاحَ بها .

وإذا عرفَ الكلبُ اسمه وكذلك السنّور ، وكذلك الشّاة والفرس ، والطفل والمجنون المصْمَت الجنون ، وعرفت النّاقةُ [فصْل] ما بين حَلٍ وجاهِ[2] ، وعرَفَ الحمارُ الصَّوتَ الذى يُلْتمَس به وقوفُه والذى يلتمس به سيرُه ، وعرف الكلبُ ، مخاطبةَ الكلّاب والببْغاءُ مناغاةَ المُكلِّمِ له[3] ، فجائزٌ أن يكون الفيلُ بفضْل فِطنته [أن[4]] يفهم أضعافَ ذلك . فإذا أمروه بضرب إنسانٍ عند ضربٍ من الكلام استعاد [ذلك] وأدامَه ، لم ينكر أنْ يعرفَه على طول الترداد .

(فائده نجو الفيل)

قالوا : وإذا احتملت[5] المرأةُ شيئا من نَجْو الفيل بعد أن يُخلَطَ به شىءٌ[6] من عسَل فإنّها لا تَحبَل أبدًا[7] .

(١) ل : « لها الحائط » .
(٢) جاه ، بالجيم ، وهو مبنى على الكسر ، وربما قالوه بالتنوين ، انظر اللسان (١٨ : ٣٨٠) . وفى الأصل : « حاه » بالمهملة ، تصحيف .
(٣) فيما عدا ل : « المتكلم له » ولها وجه .
(٤) هذه من ل ، س .
(٥) فيما عدا ل : « حلت » وحمل واحتمل بمعنى .
(٦) فيما عدا ل : « تخلط به شيئا » .
(٧) فيما عدا ل : « لا تحمل أبدا » بالميم ، وهما بمعنى .

قالوا : ومما يؤكد ذلك أنك لو علقتَ على شجرةٍ من نَجْوه شيئاً ، أنّ تلك الشّجرةَ لا تحملُ فى تلك السّنة .

قالوا : وزوانى الهند[١] يفعلن ذلك استبقاء للطّراء[٢] [وللشّباب] ،
٢٨ ولأنّها إذا كانت موقوفةً على جميع الأجناس من الرّجال كانت أسرعَ إلى الحبَل[٣] لأنّها لا تعدَم موافقاً لطبعها . و إذا حملت ووضعت مِراراً بطَلت .

(ضروب من الدواء)

وليس هذا بعجيب ؛ لأنّهم يزعمون أنّ صاحب الحصاة إذا أخَذَ روثَ الحمار حين يَرُوثه حارّاً فعصَره وشرِب ماءه أنّه كثيراً ما يبول تلك الحصاة . وفى [ماء] روثِ الحمارِ أيضاً دواء للضّرس المأكول .

وقال الأصمعىّ : سألتُ بعضَ الأكلة ممّن كان يقدم على مَيْسرة التّرّاس[٤] : كيف تصنعُ إذا جَهَدَتك الكِظّة ؟ والعرب تقول : إذا كنت بطينا فعدَّ نفسَك زَمِنا[٥] . فقال : آخُذُ روثَ حمارٍ حارّاً فأعصرُه وأشرب ماءه[٦] فأختلف عنه مراراً[٧] ، فلا أُثبت[٨] أنْ يلحَقَ بطنى بصُلْبى ، فأشتهِى الطّعامَ .

---

(١) ل : « وزوانى اليد بالهند » .
(٢) الطراء ، بالفتح : النضرة ؛ والطرىء خلاف الذاوى . فيما عدا ل : « الطراق » وهو بالكسر : الضراب . والأوفق ما أثبت من ل ليلائم ما بعده .
(٣) فيما عدا ل : « فى الحبل » .
(٤) فيما عدا ل : « التياس » .
(٥) كلمة « نفسك » ليست فى ل . وفيما عدا ل : « فعد » .
(٦) ل : « روثا حارا فأعصره ثم أشرب ماءه » .
(٧) الاختلاف : أن تصيبه الخلفة ، فيختلف إلى المتوضأ . فيما عدا ل : « عليه مرارا » .
(٨) هى بمعنى « لا ألبث » .

والمرأة من نسائنا اليومَ إذا استُحِيضَت استفَّتْ مثقالاً من الإثمد؛ لأنّها عندهن إذا فعلت ذلك لم تَلِد.

وأنا رأيتُ امرأة [قد] فعلتْ ذلك ثمَّ ولدت.

وخُرء الكلب إذا كان الجعرُ أبيضَ اللّون، وكان غذاء الكلب العظامَ[1] دونَ اللحم، فهو عجيبٌ لصاحب الذُّبحة. وكذلك رَجيع الإنسان[2].

وخرء الفار يكون شِياقاً[3] للصِّبيان، يحملونه إذا استوكى بطنُ أحدهم[4]، وإن كان من خرء الجرذان وكان عظيماً كان الواحد منه هو الشِّياف.

ويصلُح أيضاً خُرْء الفار[5] لداء الثَّعلب، وهو القَرَع الذي يعرِض لشعَر الرّأس.

وخرء الحمام الأحمر يصلحُ، من المَبْوَلات للرَّمْل[6] والحصا، يُقمَحُ منه وزن درهم مع مثله من الدّارصينيّ[7].

(شعر فى الفيل)

وقال بعض المُحْدَثين:

يالحيةً طالت على نَوكها ... كأنّها لِحيةُ جِبريلِ[8]

---

(١) ل: «وكان عن أكل الكلب العظام».
(٢) ل: «رجيع الإنسان».
(٣) فى القاموس: «والشياف، ككتاب: أدوية للعين ونحوها».
(٤) استوكى بطنه: لم يخرج منه نجوه. فيا عدا ل: «يحملونه» محرفة. ل: «إذا استرخى» وفيا عدا ل: «إذا استوكا» صوابهما ما أثبت.
(٥) فيا عدا ل: «خرء الكلب».
(٦) مبولة: يحمل على البول: وفيا عدا ل: «من الميولات من الرمل» محرف.
(٧) يقال قمح السويق ونحوه — من باب علم — واقتمحه، إذا استفه. س: «يقتمح» ل: «دار صينى» بطرح اللام.
(٨) النوك: «الحمق». فيا عدا ل: «على كونها» صوابه فى ل وعيون الأخبار (٤: ٥٥).

لَوْ كانَ ماينصَبُّ من مائها نَهْرًا إذا طمّ على النِّيلِ
أو كان ما يقطرُ من دُهْنها كيْلاً لَوَفَّى ألفَ قِنديلِ
فلو تَرَاها وهى قد سُرِّحَتْ حسبتَها بَنداً على فيلِ(١)

وأنشد أبو عمرو الشيبانىّ لبعض المولّدين :

إذا تلاقَى الفُيولُ وازدحمَتْ فكيفَ حالُ البَعوضِ فى الوَسَطِ

وأنشد على بن محمد(٢) :

وما الفِيلُ أحمِــلُه مُوقَرا رَصاصًا بأثقَلَ من مَعْبَدِ
ولا قِرْمِــلِىٌّ عليه الغَبيطُ ينوء بِسِذْلَين من إثمِدِ(٣)
وجاموسةٍ أُوقِرَتْ زِئبقــاً بأثقَلَ منــــه ولا أنْــكَدِ

٢٩ وقال آخر :

بابٌ يرى ليس له داخلٌ إلاَّ خِرًا جُمِّع فى الزَّاوِيَهْ
إن جئْت فالفيلُ على هامتى ومثـــله نِيطَ بأوصالِيَهْ

ووصف(٤) مرّة بن مَحْــكَانَ(٥) قِدرًا فقال :

---

(١) البند : العلم الـكبير ، فارسى معرب . فيما عدا ل : « تبذا » صوابه فى ل وعيون الأخبار .

(٢) فيما عدا ل : « وقال » فقط .

(٣) القرملية من الإبل الصغار الـكثيرة الأوبار ، وهى إبل الترك . فيما عـدا ل : « قزملى » صوابه بالراء المهملة . والغبيط : الرحل . فيما عدا ل : « العبيط » محرف .

(٤) فيما عدا ل : « ورأى » .

(٥) محكان ، بفتح الميم ، كما ضبط بالقـلم فى اللسان والقاموس (محك) . وضبط بالقلم =

ترى الصُّلاةَ بقَبْلٍ غيرِ طائشةٍ   وَفقاً إذا آنست من تحتِها لهبا[1]
زيّافة مثل جوفِ الفَيل مُجفَرَة   لو يُقذَف الرَّألُ في حيزومها ذَهَبا[2]

وقال بعض الأكرياء في امرأة كان حملها :

بيضاء من رُفقة عِمرانَ الأصمّ   لا تَعَلٌ في سِنِّها ولا قَصَم[3]
بَهْكَنَة لو تَركب الفيلَ رَزَم[4]   كأنّها يوم تُوافِي بالحَرَم
* غمامةٌ غرّاء عَنْ غِبِّ رِهَم[5] *

وقال رؤبة بن العجّاج :

= في الاشتقاق ١٥١ بكسر الميم . وفي حواشي المبهج لابن جني ص ٦١ : « في حاشية الأصل : حكى السكري محكان ومَحكان ، بالكسر والفتح في اسم هذا الشاعر » . وفي معجم المرزباني ٣٨٤ : « مرة بن محكان السعدي من بني عبيد أحد اللصوص . هجا الفرزدق » . وأنشد له الأبيات البائية التي رواها أبو تمام في الحماسة (٢ : ٢٥٣) . وترجم له أبو الفرج في (٢٠ : ٩ — ١٠) .

(١) الصلاة ، بالضم : جمع صال ، وهو الذي يصطلي بالنار . وفقا : متوافقات . وفيما عدا ل : « وقما » .

(٢) زيافة ، هي من قولهم : زافت المرأة في مشيها تزيف ، إذا رأيتها كأنها تستدير . فيما عدا ل : « زرافة مثل جوف الفيل » محرف . والمجفرة : الواسعة ، يقال ناقة مجفرة عظيمة الجفرة ؛ والجفرة ، بالضم : الوسط . والرأل : فرخ النعام . فيما عدا ل : « لم يقذف » تحريف .

(٣) الثعل : تراكب الأسنان بعضها على بعض . والقصم : انقصام الثنية إذا كان منكسرها من النصف . ط : « لاتقل » س ، ه : « لا نقل » وأثبت ما في ل .

(٤) البهكنة : الجارية الخفيفة الروح الطيبة الرائحة المليحة الحلوة . فيما عدا ل : « بهنكة » تحريف و « رزم » فسرت في ص ٨٠ . وفيما عدا ل : « ورم » محرف .

(٥) الرهم : جمع رهمة ، بالكسر ، وهو المطر الضعيف . فيما عدا ل : « وهم » محرف .

إنَّ الرُّدافى والـكرِىَّ الأرْقَبا[١] يكفيكَ دَرْءَ الفِيلِ حتَّى تَرْكَبا[٢]

ثم قال :

يَشقَى بِيَ الغِيرانُ حتَّى أُحْسَبا[٣] سِيدًا مُغِيرًا أو لَياحًا مُغْرَبا[٤]

(ما ورد فى كليلة ودمنة من الأمثال فى شأن الفيل)

ومما قرأه النَّاس من الأمثال فى شأن الفيل التى وجدوها فى كتاب كليلةَ ودمنة ، فمن ذلك[٥] قوله : « أفَلَا تَرَى أنَّ الـكلبَ يُبصبِصُ بذنَبه مِراراً حتَّى تُلقَى له الـكِسرة ، وإنَّ الفيلَ المُغتلِمَ ليعرِفُ قوَّتَه وفضله ، فإذا قُدِّم إليه عَلَفُهُ مُـكَرَّماً[٦] لم يأكلْ حتَّى يُمسَح[٧] ويُتَملَّق » .

---

(١) الردافى : الحداة جمع حاد . والـكرى : الذى يكريك دابته . والأرقب : الغليظ الرقبة .

(٢) درء الفيل : دفعه وكفه . أراد أن ركوب الابل يغنى عن ركوب الفيل وعن الحاجة إلى درئها قبل اعتلائها . فيما عدا ل : « رن الفيل » محرف .

(٣) الغيران ، بالـكسر : جمع غور ، وهو المطمئن من الأرض . فيما عـدا ل : « سعارى الميران حتى أجنبا » لـكن فى ط « سعادى » والصواب ما أثبت من ل . يقول : تشقى به الأغوار من شدة سيره .

(٤) السيد ، بالـكسر : الذئب . واللياح ، بالفتح والـكسر : الثور الأبيض . والمغرب ، بفتح الراء : الأبيض . فيما عدا ل : « شرا معـيرا ولياحا معربا » محرف .

(٥) فى أوائل باب (الأســـد والثور) . انظر ص ٤٧ من الطبعة التذكارية لدار المعارف .

(٦) ط فقط : « مكرها » تحريف ، صوابه فى سائر النسخ وكتاب كليلة ودمنة .

(٧) فى كليلة ودمنة : « حتى يمسح رأسه » .

قال(١) : « وقيل فى أعمال ثلاثة(٢) لا يستطيعها أحدٌ إلا بمعونةٍ من ارتفاع هِمّة(٣) وعظيم خطر ، منها عملُ السلطان ، وتجارة البحْر ، ومناجزة العدوّ . [و] قالت العلماء فى الرّجُل الفاضل : إنّه لاينبغى أن يُرَى إلاّ فى مكانَين ، ولا يليق به غيرهما(٤) إمّا مع الملوك مُكرَّماً ، و إما مع النُّسّاك متبتِّلا ، كالفيل إنّما بهاؤه وجماله فى مكانَين : إمّا فى برّيّة وحشيًّا و إما مَرْكَباً للمُلوك » .

[قال(٥)] : « وقد قيل فى أشياء ثلاثةٍ فضْلُ مابينها متفاوت : فضل المقاتل على المُقاتل ، و [فضل] الفيلِ على الفيلِ ، و [فضل] العالم على العالم(٦) » .

وقال فى كلام آخر(٧) : « فإن لم تنجَع(٨) الحيلة فهو إذًا القَدَرُ الذى لا يُدفَع ؛ فإنّ القدرَ هو الذى يسلُب الأسَدَ قوّتَه حتّى يُدخِله التّابُوت ، وهو الذى يَحمِل الرّجلَ الضّعيفَ على ظهر الفيل المغتلِم(٩) ، وهو الذى يسلّط الحوّاء على الحَيّة ذات الحُمَة فينزِع حُمَتَها ويلعبُ بها .

---

(١) فى باب (الأسد والثور) انظر ص ٥٠ — ٥١ من النسخة السالفة الذكر .

(٢) فى كليلة ودمنة : « وقد قيل فى أمور » فقط . والوجه حذف كلمة « ثلاثة » .

(٣) ط ، هـ : « ابداع همة » س : « إبداع » صوابهما فى ل والكتاب .

(٤) فيما عدا ل : « به إلا أحدهما » وأثبت مافى ل وكليلة ودمنة .

(٥) فى باب (الأسد والثور) . انظر ص ٥٢ — ٥٣ من الكتاب .

(٦) فى كليلة ودمنة تأخير : « وفضل الفيل على الفيل » .

(٧) فى باب (الأسد والثور) انظر ص ٧٧ — ٧٨ من كليلة ودمنة .

(٨) فيما عدا ل : « تجمع » محرفة . وبدله فى كليلة ودمنة : « فإن لم يكن هنا » .

(٩) فيما عدا ل زيادة : « فيضربه الفيل بأذنه فيهلك » وكلمة « المغتلم » لم ترد فى نسخة كليلة ودمنة . وأما هذه الزيادة فقد وردت فى موضع بعدهنا من كليلة =

[قال(١) : « ومَن لم يرضَ من الدُّنيا بالكَفاف الذى يُغْنيه وطمحت عيناه إلى ما فوق ذلك ، ولم ينظر إلى ما يتخوّف أمامه ، كان مثله مثل الذباب الذى ليْسَ يرضى(٢) بالشجر والرّياحين حتّى يطلب الماء الذى يسيل من أذن الفيل المغتلم ، فيضرِبه بأُذنِه فيهلك »] .

وقال(٣) : « فأقام الجملُ مع الأسد حتّى إذا كان ذاتَ يوم توجّه الأسد نحو الصَّيد ، فلقِيَه فيلٌ فقاتَلَه قتالاً شديداً ، وأفلَتَ الأسدُ مُثقَلاً يسيل دمًا ، قد جرحه الفيل بأنيابه ، فكان لا يستطيع أن يطلُبَ صيداً . فلبث الذئبُ والغرابُ وابنُ آوى أياماً لا يجِدون ما يعيشون به من فضـــول الأســد » .

وقال(٤) : « وكيف يرجو إخوانُك عندك وفاء وكرَمًا(٥) وأنتَ قد صَنَعت بملِكك الذى كرّمك وشرّفك ما صَنعتَ . بل مَثَلُك فى ذلك كما قال التاجر : إنّ أرضاً يأ كلُ جِرذانها مائةَ منٍّ من حديد ، غيرُ مستنكرٍ أن تخطِف بُزاتُها الفِيَلة » .

= ودمنة فى ص ٧٨ — ٧٩ فى كلام آخر نصه : « كان كالذباب الذى ليس يرضى بالشجر والرياحين حتى يطلب الماء الذى يسيل من أذن الفيل المغتلم فيضربه الفيل بأذنيه فيقتله » . وسيأتى فى التكملة التالية .

(١) انظر ص ٧٨ — ٧٩ من باب الأسد والثور .

(٢) فى الأصل ، وهو هنا ل : « لم يرض » وأثبت ما فى كليلة ودمنة .

(٣) من باب الأسد والثور ص ٧٩ — ٨٠ .

(٤) فى باب الأسد والثور ص ٩٤ .

(٥) فيما عدا ل : « وكيف يرجو إخوانك عنـدنا كرما » تحريف ونقص . وفى كليلة ودمنة : « وكيف يرجو إخوانك وفاءك لهم » .

[قال[١]] : « وقال الجرذُ للغراب : أشدُّ العداوةِ عداوةُ الجوهر .
وعداوةُ الجوهر عداوتان ، منها عداوة متجازيَةَ[٢] كعداوة الفيل والأسد ،
[فإنه] ربّما قتل الفيلُ الأسد ، وربّما قتل الأسدُ الفيل . ومنها عداوةٌ
إنّما ضرَرُها من أحد الجانبين [على الآخر] كعداوة ما بيني و بين
السنّور، فإنّ العداوة بيننا ليست لضرٍّ منّي عليه ، ولكن لضُرٍّ منه عليّ » .

وقال[٣] : « إن الكريم إذا عثَر لم يستعنْ إلاّ بالكريم ، كالفيل
إذا وَحِل لم يستخرجْه إلاّ الفيلة » .

(ضروب العداوات)

وسنذكرُ عداوةَ الشَّيطانِ للانسان ، [والإنسان للشَّيطان . وهما
عداوتان مختلفتان ــ وعداوة الله للكافر ، وعداوة الكافر لله ، وهاتان
العداوتان غير تانك ، وهما في أنفسهما مختلفتان ، وهما والتي قبلها مخالفةٌ
لعداوة العقرب للإنسان] ، وعداوةُ العقرب مخالفةٌ لعداوة الحيَّة ، [وعداوة
الإنسان لهما مخالفة لعداوة كلٍّ منهما للإنسان] ، وعداوة الذئب والأسد

---

(١) انظر باب (الحمامة المطوقة) ص ١٢٩ — ١٣٠ .

(٢) فيما عدا ل : « متجارية » تحريف . وفي كليلة ودمنة : « منها عداوة من يجتزيان » . وفي نظم كليلة ودمنة لابن الهبارية المسمى « نتائج الفطنة » ص ١٢٩ :

« وهو التجازى لا سواه إنما ما جانب الفرد يصير لازما » .

(٣) من باب الحمامة المطوقة ص ١٤٢ .

[والأسد] والإنسان خلاف عداوة العقرب والحيـة ، وعداوة النمر للأسد والأسد للنمر مخالفةٌ لجميع ما وصفنا . ومسالمة البَبر للأسد غير مسالمة الخنفساء والعقرب . وشأن الحيّات والوزغِ خلافُ شأنِ الخنافس والعقارب . وعداوة الإنسان للإنسان خلافُ عداوة ذلك كلِّه . وابن عِرْس أشـدُّ عداوةً للجُرذان من السنّور . وعداوةُ البعير للبعير والبرذون للبرذون والحمار للحمار شكل واحد . وعداوة الذِّئب للذئب خلاف ذلك . والشّاةُ أشدُّ فَرَقا منه منها من الأسد والنمر والببر ، وهى أقوى عليها من الذّئب . وفَرَق الدّجاج من ابن آوى أشدُّ من فَرَقها من الثّعلب . والحمام أشدُّ فَرَقاً من الشاهين منه من الصَّقر والبازى .

(عداوات الناس)

وأسباب عداوات النّاس ضروبٌ ، منها المشاكلة فى الصناعة ، ومنها التقارُب فى الجِوار ، ومنها التقارب فى النَّسب . والكثرة مِنْ أسباب التّقاطُع فى العشيرة والقبيلة ، والسّاكن عدو للمُسْكِن ، والفقير عدوٌّ للغنى ، وكذلك الماشى والراكب ، وكذلك الفحل والخصىّ و « بَغضاء السُّوَق موصولةٌ بالملوك » ، وكذلك [المعتق عن دُبُر(١)] ، والموصَى له(٢) بالمال الرغيب ، وكذلك الوارث والموروث . ولجميع هذا تفسيرٌ ولكنّه يطول .

---

(١) س : « وكذلك المسـين » وباقى التكملة من ل . والمعتق عن دبر ، هو ما يسميه الفقهاء : « المدبر » وهو الذى تعلق حريته بموت مالكه ، يقول له : أنت حر بعد موتى .

(٢) فيما عدا ل : « الوصلة » محرفة .

(عداوات الحيوان)

وذكر صاحب المنطق عداوةَ الغرابِ للحمار . والنَّحويون ينشدون فى ذلك ٣١
قولَ الشَّاعر :

عاديتَنا لازلتَ فى تَبَابِ[1] عَـــداوةَ الحِمارِ للغُرَابِ

[ولا أدرى من أينَ وقَعَ هذا إليهم] .

وذكر أيضاً عداوةَ البُوم للغراب[2] ، وكذلك عصفور الشَّوك للحمار .

وفى هذا كلامٌ كثيرٌ قد ذكرنا بعضَه فى أوَّل كتابنا [هذا] من الحيوان[3] .

(نصوص من كليلة ودمنة)

ثم رجعنا إلى الإخبار عن الأمثال .

قال[4] : وأكيس الأقوام[5] مَن [لا] يلتمس الأمرَ[6] بالقتال ما وجد عن القِتالِ مَذهبا[7] ؛ فإن القتال إنَّما النفقة فيه من الأنفس[8] ،

(١) التباب : الهلاك . ل « عاديتنى » . والرجز مضى فى (٢ : ٥٢ / ٣ : ٤٠٨) برواية : « عاديتنا » .

(٢) ل : « والغداف » . والغداف : ضرب من الغربان .

(٣) انظر لعداوة عصفور الشوك للحمار ما مضى فى (٢ : ٥١/٥ : ٢٢٥) .

(٤) انظر ما سبق فى ص ٩٢ . والنص التالى من باب البوم والغربان فى كليلة ودمنة ص ١٥٠ .

(٥) فيما عدا ل : « القوم » . وما أثبت من ل يطابق ما فى كليلة ودمنة .

(٦) فيما عدا ل : « الأمن » صوابه فى ل وكليلة ودمنة .

(٧) فى كليلة ودمنة : «من لم يكن يلتمس الأمر بالقتال ما وجد إلى غير القتال سبيلا» .

(٨) فيما عدا ل : « فإنما القتال النفقة فيه من الأنفس » .

وسائر الأشياء إنّما النّفقة فيها من الأموال. فلا يكونَنّ(١) قتالُ البوم من رأيك، فإنّ من يُرَاكِل الفيل يُرَاكِل الحَيْن(٢).

قال(٣): فأجابه الجرذ فقال: إنه رُبَّ عداوةٍ باطنةٍ ظاهرُها صداقة(٤) وهى أشدُّ ضَرَرًا من العداوة الظاهرة(٥)، ومن لم يحترسْ منها وقَعَ موقِعَ الرَّجُلِ الذى يركب نابَ الفيل المُغْتَلِم ثمّ يغلبُه النُّعاس.

قال(٦): واعلم أنّ كثيراً من العدوّ لا يستطاع بالشدّةِ والمكابرة(٧) حتّى يُصادَ بالرّفق والملاينة، كما يصاد الفيل الوحشىُّ بالفيل الأهلىّ(٨).

وقال(٩): إنّ العُشب كما رأيتَ فى اللِّين والضَّعف، وقد يُجْمَع(١٠) منه الكثيرُ فيصنع منه الحبلُ [القوىُّ(١١)] الذى يوثق به الفيل المغتلم.

[قال]: وقالوا: نريد أحبَّ بَنِيك إليك(١٢)، وأكرمَهم عليك،

---

(١) فيما عدا ل: «يكون» وما أثبت من ل يطابق كليلة ودمنة.
(٢) المراكلة: مفاعلة من الركل، وهو الضرب بالرجل. ط، هـ: «يؤاكل» س وكليلة ودمنة: «يواكل» من الأكل. وفى نظم ابن الهبارية:
فإن من واكل فيلا هائلا فالبلاء والشقاء واكلا
(٣) انظر باب السنور والجرذ ص ٢٣٤ من كليلة ودمنة.
(٤) بعدها فيما عدا ل: «قال» وهى كلمة مقحمة.
(٥) ل وكليلة ودمنة: «أشد ضرا» ل: «من عداوة الظاهر».
(٦) انظر ص ٢٤٠ من (باب الملك والطير فنزة) فى كليلة ودمنة.
(٧) كذا فى ل وكليلة ودمنة وفى ط، س: «والمكايدة» هـ: «والمكابدة»
(٨) فى كليلة ودمنة: «بالفيل الداجن».
(٩) انظر ص ٢٠٥ من باب الأسد وابن آوى فى كليلة ودمنة.
(١٠) فيما عدا ل وكليلة ودمنة: «يجتمع».
(١١) هذه الكلمة من كليلة ودمنة.
(١٢) انظر ص ١٩١ من باب إبلاد وإيراخت من كليلة ودمنة. ط: «يريك» س، هـ: «يريك» والوجه ما أثبت من ل. وفى كليلة ودمنة: «من تريدون؟ قلنا له: إيراخت امرأتك وابنها جوير، وابن أخيك، وإبلاد صاحب أمرك».

ونريد[١] كال الكاتب[٢] صاحب سرك[٣]، والسيف الذى لا يوجد مثله[٤]، والفيل الأبيض الذى لاتلحقه الخيل [الذى] هو مَرْكَبُك فى القتال، ونريد[١] الفيلين العظيمين اللذين يكونان مع الفيل الذَّكَر .

(الفيلة فى الحروب)

وقد سمعنا فى هذا الحديث والإخبار عن أيام القادسيَّة[٥] ويوم جسر مِهْرَان[٦]، وقُسِّ النَّاطف[٧]، وجَلولاء، ويوم نَهاوَند، بالفيل الأبقع، والفيل الأسود، والفيل الأبيض . والناس لم يَرَوْا بالعراق فِيلاً أَوْبَرَ، ولا فيلاً أشْعَرَ .

---

(١) ط : « ويريك » س، ع : « يريك » صوابهما فى ل .
(٢) فيما عدا ل : « اكتب الكتاب » بدل « كال الكاتب » وانظر تعليق الدكتور عزام فى حواشى كليلة ودمنة ص ٢٩٧ .
(٣) فى كليلة ودمنة : « كاتبك ولسانك » .
(٤) هذه العبارة ليست فى كليلة ودمنة . وقد أحسن الجاحظ فى تتبعه المواضع التى ذكر فيها الفيل فى كتاب كليلة ودمنة .
(٥) القادسية : بلدة بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً، وبينها وبين العذيب أربعة أميال . وكان يوم القادسية بين سعد بن أبى وقاص والمسلمين والفرس فى أيام عمر بن الخطاب فى سنة ١٦ من الهجرة . وكانت القادسية أربعة أيام أولها أرمات والثانى يوم أغوات، والثالث عماس، والرابع القادسية . وكان الفتح للمسلمين، ولم يقم للفرس بعده قائمة . انظر ياقوت وكتب التاريخ فى سنة ١٦ . فيما عدا ل « يوم القادسية » .
(٦) مهران : نهر بالسند .
(٧) قس الناطف : موضع قريب من الكوفة على شاطئ الفرات الشرقى، كانت به وقعة بين الفرس والمسلمين . فى سنة ١٣ فى خلافة عمر بن الخطاب، وأمير المسلمين أبو عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمرو الثقفى، وكان النصر للفرس، ويعرف هذا اليوم أيضاً يوم الجسر .

(الفيلة المستأنسة)

والفيلةُ التى كانت مع الفرس ، حُكمُها حكمُ الفِيَلة التى كانت عند[1] أمير المؤمنين المنصور ، وعند سائر الخلفاء [من بَعدِه] ، وكلها جُرُدٌ مُغَضَّبة[2] ، ولم نلقَ أحداً رآها وحشيَّةً قبل أن تصير فى القُرَى والمواضع التى يذكرها[3] .

(تبدل حال الحيوان إذا أخرج من موطنه)

وقد علمنا[4] أنَّ الطائر الصَّيودَ من الجوارح ، لو أقام فى بلاده مائةَ عام لم يحدُثْ لمنسره[5] زوائد ؛ وعَيْر العانة إذا أقام فى غيرِ بلاده احتاجَ إلى الأخْذ من حافره ، و إلى أن يُختَلَف به إلى البَيطار[6] . والطائر الوحشىّ من هذه المغنّيات والنوائح ، لو أقام عندنا دهراً طويلاً لم يُصَوِّتْ إذا أخذناه وقد كُرِّز[7] . وكذلك المزاوجة والتعشيش والتفريخ .

---

(١) فيما عدا ل : « مع » .

(٢) مغضبة ، من التغضيب ، وليس فى المعاجم . وهو من الغضاب ، وهو الجدرى . وكلمة « جرد » فى ل نقط . ط ، س « معصمة » ﻫ : « مغصمة »

(٣) ط ، ﻫ : « تتكرها » س : « تنكرها » صوابهما فى ل .

(٤) فيما عدا ل : « فقد » .

(٥) فيما عدا ل : « بمنسره » .

(٦) ط ، س : « إلى من يختلف به إلى البيطار » .

(٧) كرز الطائر ، بالبناء للمجهول : إذا سقط ريشه . فيما عدا ل : « لو أقامت عندنا دهرا طويلا لم تصوت إذا أخذناها وقد كبرت » .

(التكاثر بالفيلة)

[قال] : وكلُّ ملكٍ [كان] يصلُ إلى أن تكون عنده فِيَلَة فإنّه[١] كان لا يَدَعُ الاستكثار منها والتجمل بها[٢] ، والتّهويل بمكانها عنده ، ٣٢
ولا يَدَعُ ركوبَها فى الحروب ، وفى الأعياد ، وفى يوم الزّينة .

(الفيل فى الشعر)

و [قد] كانت عند حِمير والتبابعة والمقاول والعباهلة[٣] من ملوكهم ، وأبى اليكسوم من ملوك الحبشة[٤] ، وعند ملوك سبأ ، مقرَّبة مكرَّمة ، يدلّ على ذلك الأشعارُ المعروفة ، والأخبارُ الصحيحة ألا ترى أن الأعشى ذكر مأرب[٥] وملوك سبأ وسَيلَ العرم ، فقال[٦] :

(١) فيما عدا ل : « الفيلة فإن » محرف .

(٢) ل : « الاستكبار منها » ط ، هـ : « الاكثار منها » وفيما عدا ل « والتجمل منها » .

(٣) العباهلة : هم ملوك اليمن الذين أقروا على ملكهم لا يزالون عنه . فيما عدا ل : «والعاهلة» تحريف .

(٤) اليكسوم ، بتقديم الياء على الكاف ، كنية أبرهة الملك الحبشى صاحب الفيل الذى وجه لهدم الكعبة . وفى السيرة ص ٤١ جوتنجن : « فلما هلك أبرهة ملك الحبشة ابنه يكسوم بن أبرهة ، وبه كان يكنى » وقال لبيد :

لو كان حى فى الحياة مخلدا فى الدهر ألفاه أبو يكسوم

يعنى أبرهة . ط ، ل : « والكيسوم » س ، هـ : « واليكسوم » صوابهما « أبو اليكسوم » فإنه هو الذى يعنيه الجاحظ .

(٥) فيما عدا ل : « وقال الأعشى لما ذكر حضرموت » محرف .

(٦) انظر الأبيات فى ديوان الأعشى ص ٣٤٥ ، والسيرة ٩ جوتنجن ، ومعجم البلدان (مأرب) .

فَفى ذاكَ للمؤتسِى أُسْـــوَةٌ ومأربُ عَـــفَّى عليها العَرِمْ
رخَامٌ بنَتْه له حِمْـــيَرٌ إذا جاء ماؤُهُمُ لم يَرِمْ (١)
فأروى الحروثَ وأعنابَهـــا على ساعة ماؤُهم قد قُسِمْ (٢)
وطار القُيُـــولُ وقيّالُهـا بتَيْهاء (٣) فيها سَرابٌ يَطُمّ (٤)

وكان الأُقيبل (٥) القينىّ مع الحجاج يقاتل ابنَ الزُّبير، فلمّا رأى البيتَ يُرمَى بالمنْجنيق أنشأ يقول:

ولم أرَ جيشًا غرّ بالحجّ قبلنا (٦) ولم أرَ جيشًا مِثْلنَا كلُّهم خرس (٧)
دَلَفْنَا لِبَيْتِ اللهِ نَرْمِي سُتُورَهُ بأحجارِنا نَهْبَ الولائد للعُرْس (٨)
دَلَفْنَا لهُمْ يَوْمَ الثلاثاءِ مِنْ مِنًى بجيشٍ كصَدْرِ الفيلِ ليس له رأسُ (٩)

فلما فرِغَ وعاذ بقبر مروان (١٠) ، وكتبَ له عبدُ الملك كتاباً إلى الحجّاج يخبره فيه، وفوّض الأمرَ إليه، قال (١١) :

---

(١) لم يرم: لم يبرح. ط، ﻫ «رخام» صوابه فى ل، س والسيرة والديوان والمعجم. فيما عدا ل: «بنته لنا» وفى السيرة والمعجم والديوان: «لهم».
(٢) فيما عدا ل: «فأردى الحروث وأعيانها» محرف. وفى الديوان والسيرة: «على سعة ماؤهم».
(٣) التيهاء: المفازة. ط، س: «بتياه» ﻫ: «بينا» صوابهما فى ل. وفى الديوان والمعجم: «بيهماء».
(٤) طم السراب: ارتفع وعلا، كما يرتفع الماء.
(٥) سبقت ترجمته فى (٤: ٢٠٣). فيما عدا ل: «وكان التتى» تحريف.
(٦) فيما عدا ل: «بالحج مثلنا».
(٧) العرس، بالضم وبضمتين: طعام الوليمة فى الزواج. ل: «فى العرس» ﻫ «العرس» وهذه محرفة وفى هذا البيت إقواء.
(٨) فيما عدا ل: «دلفنام» محرفة.
(٩) فيما عدا ل: «فلما فرغ وعاد تقيب مروان» صوابه فى ل والمؤتلف ٢٣.
(١٠) فى المؤتلف ٢٤: «فأمنه عبد الملك وكتب إلى الحجاج ألا يعرض له وجعله فى ذمته». فلعل الوجه: «يجيره فيه».
(١١) فيما عدا ل. «فقال».

وقد علمتُ لو أنَّ العِلْمَ يَنفَعُنى ... أنَّ انطِلاَقِى إلى الحَجَّاجِ تغريرُ

مُستحقِباً صُحُفاً تَدْمَى طَوَابعُها ... وفى الصَّحائفِ حَيَّاتٌ مَناكيرُ

لئنْ رحلتُ إلى الحجَّاج معتذِرًا ... إنِّى لأَحمقُ مَنْ تَحْدِى به العِيرُ(١)

(لسان الفيل)

وكلُّ حيوانٍ فى الأرض ذو لسانٍ فأصْلُ لسانِه إلى داخل ، وطرفُه إلى خارج ، إلاَّ الفيل ، فإنَّ طَرَفَ لسانه إلى داخل وأصلَه إلى خارج .

(بعض خصائص الحيوان)

وتقول الهند : إنَّ لسان الفيل مقلوب ، ولولا أنَّه مقلوب ثمَّ لقِنَ الـكلامَ لتكلم(٢) .

وكلُّ سمكٍ يكون فى الماء العذْب فإنَّ له لساناً ودِماغا ، إلاَّ ما كان منها فى [الماء] الملح ، فإنَّه ليس لسمك البحر لسانٌ ولا دِماغ .

وكلُّ شىء يأكل بالمضْغ دون الابتلاع فإنَّه إنما يحرِّك فكه الأسفلَ ، إلاَّ التمساح فإنَّه إنَّما يحرِّك فكَّه الأعلى .

وكلُّ ذى عينٍ من ذوات الأربع من السِّباع(٣) والبهائم الوحشية والأهليَّة ، فإنما الأشفار لجفونها الأعالى إلاَّ الإنسان ، فإنَّ الأشفار ٣٣ للأعالى والأسافل .

وكلُّ حيوانٍ ذى صَدْرٍ فإنه ضيِّق الصَّدر ، إلاَّ الإنسانَ فإنَّه واسعُ الصَّدر

---

(١) فيما عدا ل : « تجرى » ، وفى المؤتلف والحيوان (٤ : ٢٠٤) : « تحدى » .

(٢) فيما عدا ل : « تـكلم » .

(٣) فيما عدا ل : « والسباع » .

وليس لشىء من ذُكورةِ جميع الحيوان [وإناثِها] ثدىٌ فى صدره إلاَّ الإنسان والفيل [١] . وقال ابن مُقبل :

وليلةٍ مثل ظَهْرِ الفِيل غُبَّرُها طُلْسُ النجوم إذا اغبرَّ الدياميم [٢]

(ضخم الفيل وظرفه)

والفيل أضخم الحيوان [٣] وهو مع ضِخَمه أملَحُ وأظْرَف وأحْكَى [٤] وهو يفوق فى ذلك كلَّ خفيفِ الجسم رشيق الطبيعة .

وإنَّما الحكايةُ من جميع الحيوان فى الكلب والقِرد والدُّبّ والشَّاة المكِّيَّة [٥] . وليس عند البَبْغاء إلاَّ حكايةُ صورِ الأصوات . فصار مع غِلَظه [وضِخَمه] وفخامته أرشقَ مَذهباً [٦] وأدقَّ ظرفا وأظهرَ طرَبا . وهذا [٧] من أعجب العَجَب . وما ظنُّكم بعِظَم خَلْقٍ ربَّما كان فى نَابِهِ [٨] أكثرُ من ثلاثمائة مَنٍّ [٩] .

---

(١) فيا عدا ل : « وليس شىء من ذكور الحيوان له ثدى فى صدره إلا الإنسان والفيل » .

(٢) غبرها ، بضم أوله وتشديد الباء ، أى بقيتها ؛ وغبر كل شىء : بقيته . وفى الأصل : « غيرها » محرفة . طلس النجوم ، أى نجومها طلس ؛ والطلسة : غبرة إلى سواد .

(٣) ط ، هـ : « حيوان » .

(٤) أى أكثر حكاية . وفيا عدا ل : « وأحطر » محرفة .

(٥) انظر ما سبق فى (٢ : ١٧٩ / ٥ : ٢٨٧ / ٦ : ٣١٦) .

(٦) فيا عدا ل : « ذهبا » .

(٧) فيا عدا ل : « نهنا » .

(٨) فيا عدا ل : « نابه » تحريف . وانظر ما سيأتى فى ص ٣٨ من الأصل .

(٩) المن ، ويقال أيضا المنا ، بالفتح والقصر : رطلان .

(أعظم الحيوان فى قول المتعصبين على الفيل)

فقال من يعارضهم[١]: قد أجمعوا على أنَّ أعظمَ الحيوان خَلقاً السمكةُ والسَّرَطان. وحكَوْا عن عِظَم بعض الحيَّات، حتى ألحقوه[٢] بهما، وأكثروا فى [تعظيم] شأن التنِّين؛ فليس لكم أنْ تَدَّعُوا للفيل ما ادّعيتمُ.

(ردّ صاحب الفيل على خصمه)

قال صاحبُ الهند والمعبِّرُ عن خصال الفيل: [أمّا الفيل] وعلوُّ سَمْكه، وعِظَمُ جُفْرته، واتِّساع صَهْوته، وطولُ خُرطومه، وسعَةُ أذنه، وكِبر غُرموله، مع خِفّة وطْئه[٣]، وطول عُمره، وثقل حمله، وقلّة اكتراثه لِمَا وُضِع على ظهره، فقد عايَنَ ذلك من الجماعات مَن لا يستطيعُ الردَّ عليهم إلاّ جاهلٌ أو مُعاند. وأمّا ما ادّعيتم من عِظَم الحية وأنّا[٤] متى مَسَحْنا طولهَا وثخنها، وأخذْنا وَزْنَها كانت أكثرَ[٥] من الفيل، فإنّا لم نَسْمَعْ هذا إلاّ فى أحاديث الرقّائين و[أكاذيب] الحوّائين، وتزيُّد البحريِّين.

وأمّا التنِّين فإنّمـا سبيلُ الإيمان به[٦] سبيلُ الإيمان بِعَنْقاء مُغْرِب. وما رأيتُ مجلِسًا قطُّ [جَرَى] فيه ذكر التِّنين إلاّ وهم ينكرونه[٧]

---

(١) ط فقط: «يعارضه».
(٢) فيما عدا ل: «وقد ألحقوه».
(٣) فيما عدا ل: «مع خفته وطيشه» تحريف.
(٤) فيما عدا ل: «فإنه» محرفة.
(٥) فيما عدا ل: «أكبر».
(٦) فيما عدا ل: «فيه».
(٧) فيما عدا ل: «خبر التنين إلا وهم ينكرون».

ويكذّبون المخبِر عنه . إلاّ أنّا فى القَرْط ربّما رأينا بعضَ الشاميِّين يزعمُ أنّ التنِّين إعصارٌ فيه نار يخرج من قِبَل البحْر فى بعض الزّمان فلا يمرُّ بشىء إلاّ أحرقَه ، فسمَّى ذلك ناسٌ « التِّنّين » ، ثمّ جعلوه فى صورة حيَّة .

وأمّا السَّرطان فلم نرَ أحداً قطُّ ذكَرَ أنّه عاينَه ، فإنْ كنّا إلى قول بعض البحريِّين نرجع ، فقد زَعَم هؤلاء أنّهم ربما قرُبوا إلى بعض جزائر البحر[١] ، وفيها الغِياض والأوديةُ واللّخَاقيق[٢] ، وأنّهُمْ فى بعض ذلك أوقدُوا ناراً عظيمةً ، فلما وصلَتْ إلى ظهر السرطان هاجَ بهم[٣] وبكلّ ما عليه من النّبات ، حتّى لم ينجُ منهم إلاّ الشريد .

٣٤ وهذا الحديثُ قد طمَّ على الخُرافات والتُّرَّهات[٤] وحديث الخَلْوة[٥] .

وأمّا السَّمك فلعمرى إنّ السمكةَ التى يقال لها « البالُ » لفاحشة العظم[٦] . وقد عاينوا[٧] ذلك عياناً ، وقتلوه يقيناً . ولكن احسِبوا[٨] أنّ

---

(١) ل : « بعض الجزائر » .

(٢) اللخاقيق : جمع لخقوق ، بالضم ، وهو الشق والخد فى الأرض ، ومثله الأخقوق ، بالضم . ولم يعرفه الأصمعى إلا باللام . ل : « الأخاقيق » وفيما عدا ل : « اللحاقيق » صوابهما ما أثبت وما نبهت عليه .

(٣) فيما عدا ل : « ساح بهم » .

(٤) الترهات : الأباطيل . فيما عدا ل : « التهورات » .

(٥) ل : « الخلق » .

(٦) فيما عدا ل « الفاحشة » وفى ط : « البالسة » س ، ه « البالية » تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « عاينا » محرفة وفى ط : « فقد » .

(٨) ط فقط « احسب » .

الشّأن فى البال(١) على ما ذكرتم ، فهل علمتم(٢) أن فيه(٣) من الحسّ والمعرفة ، واللّقَن والحكاية ، والطّرَبِ(٤) وحسن المواتاة(٥) وشدّة القتال ، والتّهدّ(٦) تحت الملوك ، وغير ذلك من الخصال ، كما وجدنا ذلك وأكثر منه(٧) فى الفيل .

وهل رغبت فى صيده الملوكُ واحتالت له التجار(٨) ، أو تمنّى الظفَرَ بأجزائه(٩) بعض الأطبّاء . وهل يَصلح لدواء أو غذاء أو لبْس(١٠) ، إنّما غاية البحريّين أنْ يسلَمُوا من عبثه إن هجموا عليه نائمًا أو غافلا ، حتّى ينفر ويفزع وينبّه(١١) بقَرْع العصا ، واصطكاك الخشَب .

وإنّما قدّمْنا خصالَ الفيل على خِصال الحيوان الذى فى كفّه ومنقاره الصنعةُ العجيبة ، أو يكون فيه من طريف(١٢) المعرفة ، وغريب الحسّ ، وثقوب البصر(١٣) ، أو بعض ما فيه من الجمال والحُسْن ، ومن التفاريج ومن التّحاسين ، والوشى والتلاوين(١٤) ، بالتأليف العجيب ، والتّنضيد

---

(١) ط : «البالة» هـ ، س : « البالينة » صوابهما فى ل .
(٢) ط : «عرفتم» .
(٣) فيما عدا ل : «فيها» .
(٤) فيما عدا ل : «والظرف» .
(٥) ط ، هـ : «المؤاتاة» بالهمز .
(٦) فيما عدا ل : « والتصيد» محرفة .
(٧) فيما عدا ل : «منه» تحريف .
(٨) فيما عدا ل : « صيدها » و «لها» .
(٩) فيما عدا ل : « أوحث على الظفر بأجزائها » .
(١٠) فيما عدا ل : « أو لبس » .
(١١) فيما عدا ل : « من عينها نائمة أو غافلة حتى تفزع وتنفر » .
(١٢) فى الأصل : « من طرف » .
(١٣) س ، هـ : « نكوب » محرفة . ط : « نفوذ » وأثبت ما فى ل .
(١٤) فيما عدا ل : « والتساوى » .

الغريب ، أو بعض ما فى حنجرته[١] من الأصوات الملحّنة ، والمخارج الموزونة ، والأغانى الدّاخلة فى الإيقاع ، الخارجة من سبيل الخطأ ، ممّا يجمع الطَّرَب والشَّجا ، وبما يفوق النوائح ويروق كلّ مغنّ ، حتّى يُضرب بحسن تخريجه [وصفاء صوته] وشجا مخرَجه المثلُ ، حتى[٢] يشبَّه به صوتُ المزمار والوَتَر .

وأما [بعض] مايُعرف بالمكر والحِيَل ، والكَيْس والرَّوغان ، وبالفِطنة وبالخديعة ، والرِّفق والتكسُّب ، والعلم بما يُعيشُه[٣] والحذَرِ ممّا يُعْطِبُه[٤] ، وتأتيه لذلك وحِذقه [به] ؛ وأمّا بعضُ مايكون فى طريق الثِّقافة يوم الثَّقافة[٥] [والبصر] بالمشاولة[٦] ، والصَّبر على المطاولة ، والعزم[٧] والرَّوغان ، والكرّ والجَوَلان ، ووضعُ تلك التدابيرِ فى مواضعها[٨] حتى لا تَردُّ له طَعنة ولا تخطئ له وثبة ، وأمّا بعضُ مايُعرَف بالنَّظر فى العاقبة[٩] وبإحكام شأن المعيشة[١٠] والأخذ لنفسه [بالثقة] ، وبالتقدّم فى حال المُهْلة ، والادّخار ليوم الحاجة ، والأجناسُ التى تدَّخر لأنفسها ليوم العجز عن

---

(١) ط ، ه : « وما فى خلقه » صواب هذه : « حلقه » س : « صوته » محرفة . وأثبت ما فى ل .

(٢) ط فقط : « وحتى » .

(٣) فيما عدا ل : « يعنيه » .

(٤) فيما عدا ل : « والحذر بالمشاولة والصبر على المطاولة مما يعطيه » وفيه إقحام وتحريف .

(٥) ل : « الثقاف » .

(٦) المشاولة : المطاعنة بالرماح .

(٧) فيما عدا ل : « والقدم » محرف .

(٨) ط ، ه : « موضعها » ط ، ه : « حيث » س « بحيث » .

(٩) فيما عدا ل : « والعاقبة » تحريف .

(١٠) فيما عدا ل : « شأن الحال والمعيشة » .

الطلب والتكسُّب – كَمِثْلُ الذَّرّة ، والنملة ، والجُرَذ والفأرة ، وكنحو العنكبوت والنَّحل .

فإذا كان ليس للفيل إلاَّ عِظَمُهُ وإنْ كان العِظَم قد يدخل فى باب من أبواب المفاخرة ، فلا ينبغى لأحد أن يُنَاهِد[1] به الأبدانَ التى لها الخصال [الشَّريفة] ، ويناضلَ به ذواتِ المفاخر العظيمة . فما ظَنُّكَ ببدنٍ قد جمع مع العِظَم من الخصال الشريفة ما يُفنِى الطَّواميرَ الكثيرة ، ويستغرق الأجلاد[2] الواسعة . وقد علمت أنَّ مِنْ[3] جهلِ هذه السمكة بما يُعيشُها

٣٥ ويُصْلِحُها أنَّها شديدةُ الطَّلَب والشَّهوة لأكل العَنبر . والعنبرُ أقتلُ للبال من الدَّفلَى للدوابّ ، فإذا أصابوه ميتاً استخرجوا من جَوفه عنبراً كثيراً فاسداً .

وما فيه من النفع إلاَّ أنَّ دُهنَه يَصلُح لتمرينِ سُفُن البحريين[4] .

(تعصب غانم الهندى على الفيل)

فسمِعنى[5] غانمٌ العبد يوماً وأنا أحكى هذا الكلامَ – وكان مِنْ أَمْوَقِ الناس وأرْقَعهم رَقاعةً ، مع تِيهٍ شديد وعُجْب ورِضاً عن نفسه ، وسُخْط على النَّاس . فَمِنْ حُمْقه أنّه هندىٌّ وهو يتعصَّب على الفيل – فقال [لى] : ماتقول الهندُ فى الحوت الذى يحمل الأرض ، أليس أعمَّ نفعاً وأعْلَى أمراً ؟ قلت :

(١) المناهدة : المناهضة . وفى الأصل : « يشاهد » محرفة .

(٢) فيما عدا ل : « الجلود » .

(٣) ل ، ط : « من أن » صوابه فى س ، هـ .

(٤) ل : « البحر » .

(٥) فيما عدا ل : « فرآنى » .

له : ياهالكُ ، إنّ مدارَ هذا الـكلام إنّما يقع على الأقسام الأربعة من بين جميع الحيوان المذكورة فى المـاء وفى الأرض وفى الهواء ، كالذى ينسلح من أجناس[١] الحيّات والدِّيدان ، وكالذى يمشى من الدوابّ والنّاس ، وكالذى يَطير مِن أحرار الطير وبغاثها وخَشاشها وهَمَجها ، وكالذى يعوم كالسَّمك وكلّ ما يعايش السمك .

فأمّا الحوت الذى تـكون الأرض على ظهره[٢] فقد علمْنا أنّ فى الملائـكة مَن هو أعظمُ من هذا الحوت مرارًا ، ولولا مكانُ مَن قد حضَرَنا لـكان ممن لايستأهِلُ الجواب[٣] ، وهذا مقدارُ معرفته .

(قوة الفيل)

قالوا : والفيل أقوى مِن جميع الحيوان إنْ حُمّل الأثقال[٤] . ومن قوة عظْمه وعصَبه[٥] أنّه يمرُّ خلفَ القاعد مع عِظَم بدَنه ، فلا يشعر بوطئه ، ولا يُحسُّ بِمَرِّه[٦] لاحتمال بعض بدَنه لبعض . وهذه أعجوبةٌ أخرى .

(طول مدة حمل الفيلة)

وليس فى حوامل إناث الحيوان أطولُ مدّةَ حَبَلٍ[٧] من الفيل.

---

(١) فيما عدا ل : « من جميع » .

(٢) فيما عدا ل : « يكون على وجه الأرض » محرف.

(٣) ط ، س : يتساهل » هـ : « يساهل » صوابهما فى ل . وفى ط ، هـ : « بالجواب » محرف .

(٤) ط : « فى حمل الأثقال » .

(٥) فيما عدا ل : « وعظمه » محرف .

(٦) س ، هـ « سيره » ط : » بسيره » .

(٧) فيما عدا ل : « حمل » .

والكركدّن ، فإنّه مذكورٌ في هذا الباب ، والفيلُ يزيد عليه في قول بعضهم (١) .

فأمّا الهندُ ففتنتهم بالكركدّنِ أشدُّ مِن فتنتهم بالفيل .

فأمّا ما كان دون ذلك من أجناس الحيوان فأطولُها حملاً الحافر والخفّ ، ولا يزيدان على السّنَة إلاّ أن تُسحَب الأُنثى وتُجرّ (٢) أيّاما .

فأمّا الظّلف فعلى ضربين ، فما كان منها من البقر فإنّ مدّة حَملها وحمل النساء (٣) تسعة أشهر ، وما كان من الغنم فإنّ حملها خمسةُ أشهر .

وقد ذكرنا [حال] أجناس الحيوان في ذلك فيما سلف من كتابنا هذا .

(صولة الفيل)

قالوا : والفيلة هَوْلُها في العين ، فاحْذَرْ أنْ تتخذ ظهورها (٤) كالمناظر والمسالح والأرصاد .

وللفيل قتالٌ وضرب [بخرطومه] وخَبْط بقوائمه . وكانت الأكاسرة ربّما قتلت الرّجلَ بوَطْء الفيلة ، [وكانت] قد درّبت على ذلك وعُلِّمَتْه ، فإذا ألقوا (٥) إليها الرّجل تركت العلَف وقصدَتْ نحوه فداسَتْه . ولذلك أنشد

---

(١) فيما عدا ل : « في بعض قوته » .

(٢) فيما عدا ل : « وتزيد » .

(٣) فيما عدا ل : « السمكة » .

(٤) فيما عدا ل : « واحد وإن قبحت ظهورها » لكن في س : « وإن قبحت » .

(٥) فيما عدا ل : « ألقى » .

٣٦ العباس[(١)] بن يعقوب العامرىّ ، لناهض بن ثُومة[(٢)] العامرى قوله :

أنا الشّاعرُ الخطّارُ مِن دون عامرٍ وذو الضَّغْم إذْ بعضُ الحامِين ناهش[(٣)]

بخبطٍ كخَبْط الفيلِ حتّى تركته أميماً به مُستَدْمِياتٌ مقارِش[(٤)]

وأنشد الأصمعى وأبو عمرو لتميم بن مقبل[(٥)] :

بنى عامرٍ ما تأمُرُون بشاعــرٍ تَخيَّرَ آياتِ الكتاب هِجائيا[(٦)]

أأعفُو كما يعفُو الكريمُ فإنَّنى أرَى الشّعب فيما بيننَا متدانيا

أمَ أخبِطُ خبْطَ الفيل هامةَ رَأْسِه بِجَرْدٍ فلا أُبقى مِن الرأس باقيا[(٧)]

(بعض من رمى تحت أرجل الفيلة)

وكانت الأكاسرة — وهى الكَسُور[(٨)] — تؤدّبها وتعوّدها وَطْءَ الناس وخَبْطهم إذا أُلقِى تحت قوائمها بعضُ أهلِ الجِنايات ، فكان ممّن رُمِىَ

(١) فيما عدا ل : « أبو العباس » .

(٢) ل : « ثومة » فيما عدا ل : « بوصة » صـوابه ما أثبت من القاموس (مادة نهض) .

(٣) ل : « المحابين ناهس » محرف .

(٤) الأميم : الذى بلغت طعنته أم الدماغ . ل : « مستدميان مفارس » تحريف . وفيما عدا ل : « مفارش » صوابه باتفاق كما أثبت ، يقال أقرشت الشجة فهى مقرشة إذا صدعت العظم ولم تهشم .

(٥) فيما عدا ل : « وأبو محمد لتميل بن مقبل » تحريف . والأبيات فى العمـدة (٢ : ١٣٦) .

(٦) ط : « يحبر بآيات » س : « يحير بآيات » هـ : « يخير بآيات » صوابه فى ل والعمدة .

(٧) الجرد : أخـذ الشىء عن الشىء عسفا وجرفا . وفى س : « بجرد » والجرد : « النقضب » وفى العمدة : « بمجرد روى يقط النواحيا » فيما عدا ل : « من الريش » محرف .

(٨) الكسور : جمع كسرى ، كما سبق فى (٣ : ٣٧٧) .

به تحتَ رجل الفِيَلة النُّعمانُ بن المنذر . وقال فى ذلك الشاعر :

إنّ ذَا التّاجِ لا أبا لكَ أضْحَى   وَذَرَى بَيتِه بجَوْزِ الفيُولِ (١)
إنَّ كِسْرَى عدَا على الملك النُّعْـــــمَانِ حَتَّى سقاه امَّ البَليـــــلِ (٢)

(كتاب ملك الصين)

وذكر الهيثم بن عديٍّ ، عن أبي يعقوب الثَّقَفيِّ ، عن عبد الملك بن عمير قال : رأيت فى ديوان معاوية [بعد موته] كتاباً مِنْ ملك الصين [فيه : « من ملك الصِّين] الذى على مَرْبِطه ألفُ فيل ، وبُنِيت دارُه بلبِن الذهب والفضة ، والذى تخدمه بناتُ ألفِ ملكٍ ، والذى له نهرانِ يسقيان الألُوّة (٣) . إلى معاوية » .

قالوا : ولمّا أراد كِسرى قتلَ زَيوشت (٤) المغنيِّ ، لقتله فهلبذ (٥) المغنى ، وأمر أن يرمى [به] تحت الفيلة [وقال : قتلتَ أحسنَ النّاس غناءً ، وأجودَهم إمتاعاً للملكِ ؛ حسداً له . فلمّا سحبوه نحو الفيلة [التفت إلى كسرى وقال : إذا قتلتُ زَيوشت المغنى ، وقد قتل زيوشت فهلبذ فمن يُطربك (٦) ؟ فقال كسرى : المدّة التى بقيت لك [هى (٧)] التى أنطقتْك ، خلُّوا سبيله .

(١) ل : « بحور الفيول » .
(٢) أم البليل ، من كنى الداهية ، كما فى مقاييس اللغة لابن فارس (١ : ٢٦) .
(٣) الألوة : العود الذى يتبخر به . أراد يسقيان منابته . ط : « ينشفان اللؤلؤ » هـ ، س : « ينشان اللؤلؤ » صوابهما فى ل .
(٤) فيما عدا ل : « روشك » فى جميع المواضع .
(٥) ط ، هـ : « فلهوذ » س : « فلهبد » وأثبت ما فى ل .
(٦) ل : « مطربك » .
(٧) هذه من ل ، هـ .

(تأديب الهند الفيلة)

وقال صفوان بن صفوان الأنصاريّ ، وكان عند داود بن يزيد بالمُولتان [١] : الهند تؤدّب الفيلة بأنواع [٢] من التّأديب ، و بضروب من التقويم ، فمنها آدابُ الحروب [٣] ، حتّى ربّما ربطوا السّيف [المُذَام [٤]] الرّغيب ، الشّديد المتْن ، الحديد الغَرْب ، التّام الطول [٥] ، الطّويل السّيلان [٦] فى طرَف خُرطوم الفيل ، وعلّموه [٧] كيف يضرب به قُدُمًا ، يمينا وشمالا [٨] ، وكيف يرفعُه بخرطومه حتّى يكونَ فوقَ رؤوس الفيّالين القعُودِ على ظهره .

(شعر هارون فى الفيل)

قال : وأنشدنى هارونُ بن فلان [٩] المولى ، مولى الأنصار ، قصيدتَه التى ذكر فيها خروجَه فى الحرب إلى فيلٍ فى هذه الصفة ، فمشَى إليه ، فلما
٣٧ كان حيثُ ينالُه السّيفُ وثَبَ وثْبَةً أعجلَه بها عن الضّربة ، ولصق [١٠] بصدْر الفيل ، وتعلّق بأصول نابيه — وهما عندهم [١١] قرناه — فجال به الفيلُ

---

(١) فيما عدا ل : «المرزبان» . والمولتان : بلد بالهند .
(٢) ل : «بأشكال» .
(٣) فيما عدا ل : «ويدربونهم على أنواع آداب الحروب» .
(٤) المذام ، كغراب : القاطع . فيما عدا ل : «الهوتم» . والهذم ، بالفتح : الحاد
(٥) فيما عدا ل : «الصقل» .
(٦) سيلان السيف : مايدخل فى نصابه .
(٧) فيما عدا ل : «وعلمن» .
(٨) فيما عدا ل : «قداما ويمينا وشمالا» .
(٩) كذا ، وفى نهاية الأرب (٩ : ٣٠٤) : «هارون بن موسى» .
(١٠) ل : «ولزق» .
(١١) فيما عدا ل : «عنده» .

جَوْلةً كاد يَحطِمهُ مِن شدّة ماجال به ، وكان رجلاً شديد الخَلْق رابطَ الجأش . قال : فاعتمدتُ وأنا فى تلك الحالِ ــ وأصولُ الأنياب جُوف ــ فاقتلعا من أصلِهما ، وأدبرَ الفيلُ ، وصار القرنان فى يَدىَّ ، وكانت الهزيمةُ ، وغَنِم المسلمون غنائمَ كثيرة . وقلت فى ذلك :

مشيتُ إليــــه وادعاً متمهِّلا ‏ ‏ وقد وصَلُوا خُرطومَه بحُسَامِ
فقلتُ لِنفسى : إنّه الفيلُ ضاربٌ ‏ ‏ بأبيضَ مِن ماءِ الحديد هُذَامِ (١)
فإنْ تَنْــكلى عنه فعذْرُكِ واضحٌ ‏ ‏ لدَى كلِّ منخُوبِ الفؤاد عَبامِ (٢)
وعندَ شُجاعِ القومِ أكلفُ فاحمٌ ‏ ‏ كظُلْمةِ لَيْــلٍ جُلِّلت بقَتامِ (٣)
فناهَشْتُه حَتَّى لَصِقت بصدْره ‏ ‏ فلما هوى لا زَمْتُ أىَّ لِزامِ (٤)
وعُــــذْتُ بقَرْنَيهِ أُريدُ لَبانَهُ ‏ ‏ وذلك مِن عاداتِ كلِّ مُحامِى (٥)
فجالَ وهجِّيراهُ صوتٌ مُخضْرَمٍ ‏ ‏ وأُبْتُ بقرْنَىْ يَذْبُلٍ وشَمامِ (٦)

وقال هارون :

ولمَّا أتانى أنَّهُم يَعقِــــدُونه ‏ ‏ بقائم سيفٍ فاضِلِ الطُّولِ والعَرضِ (٧)
مَرَرتُ ولم أحْفِلْ بذلك منهــــمُ ‏ ‏ إذا كان أنفُ الفيلِ فى عَفَرِ الأَرضِ (٨)

---

(١) الهذام : القاطع ، كما سبق فى ص ١١٤ .
(٢) العبام ، بالفتح : العى الأحمق .
(٣) ل : « خللت بقتام » .
(٤) فيما عدا ل « فما هو أن لازمت » تحرف .
(٥) عذت : لجأت . وفى الأصل : « نعدت » بالعين المهملة . والقرنان ، عنى بهما نابيه ، كما تقدم الكلام عليه قبل الشعر . فيما عدا ل : « لبانة » وإنما هى « لبانه » بمعنى صدره .
(٦) فيما عدا ل : « فال » . والمخضرم : المقطوع نصف أذانه . ويذبل وشمام : جبلان . وفيما عدا ل : « بشلم » محرفة .
(٧) ط ، س : « يعتدونه » هو : « يقتدونه » صوابهما فى ل .
(٨) ل : « سررت » بدل « مررت » .

وحينَ رأيتُ السَّيفَ يهتزُّ قائمًا ... ويلمعُ لَمْعَ الصُّبْحِ بالبلدِ المَفْضِى[١]
وصارَ كمِخراقٍ بكفِّ حَزَوَّرٍ ... يُصَرِّفُه في الرَّفْعِ طورًا وفي الخَفْضِ[٢]
وأقبلَ يَفْرِى كلَّ شيءٍ سَمالَهُ ... وصرتُ كأنّى فوقَ مَزْلَقَةٍ دَحْضِ[٣]
وأهوى لجارِى فاغتنمتُ ذُهولَهُ ... فلاذَ بقرنيه أخٌ وثقةٌ مَحْضِ[٤]
فجال وجالَ القرْنُ فى كفِّ ماجدٍ ... كثيرِ مِراسِ الحربِ مجتنبِ الخَفْضِ[٥]
فطاحَ وولَّى هاربًا لا يَهِيده ... رطانةُ هندىٍّ برفعٍ ولا خفضِ[٦]

(نابا الفيل)

والهندُ تزعمُ أنَّ نابَى الفيل يخرجان مستبطِنين حتَّى يخرِقا الحنك ويخرُجا أعقفَين . وإنما يجعلهما نابَين مَن لا يفهمُ الأمور . قالوا : والدَّليل على ذلك أنَّ لهما أصلين فى [موضع] مخارج القرون ، يُوجَد ذلك عند سَلْخ جلده . ولأنَّ القرن لا يكون [إلاَّ مصْمت الأعلى مجوَّف الأسفل . وكذلك صفةُ هذا الذى يسمِّيه مَن لا علْم له] نابًا . ومع ذلك إنّا لا نجد
٣٨ الفيل يعضُّ كعضِّ الأسد للأكل[٧] ، ولا كعضِّ الجمل الصَّؤول

---

(١) يقال مكان ڤَضٌ ومفضٌ ، أى واسع . فيما عدا ل : « لمع البرق بالبلد النض » محرف .
(٢) المخراق : منديل أو نحوه يلوى فيضرب به ، أو يلف فيفزع به . والحزور : الغلام الذى قد شب وقوى .
(٣) ط فقط : « وأقبل سفرى » محرف . وسما : ارتفع وشخص . ط ، هـ : « شماله » صوابه فى ل ، س .
(٤) ط ، س : « وأهوى نجاتى » هـ : « يحالى » صوابهما فى ل . وفى ط ، هـ : « ولم يقترب عنه » س : « منه » وفى ل : « فلذ بقرنيه » وأثبت ما فى ل مصححا .
(٥) س ، هـ : « وحال القرن » . وفى ل : « مراس الكف » .
(٦) لايهيده : لاتزعجه ولا يكترث لها . فيما عدا ل : « لا تهيده » .
(٧) فيما عدا ل : « الأكول » .

للقتل[١] ، ولا كعضّ الأفعى لإفراغ السمّ . ولا تراه يصنع به ويستعمله إلاَّ [على شبيهٍ] بما تستعمله ذوات القرن[٢] عند القِتال والغضب .

فقال لهم بعضُ من يردُّ عليهم : أمّا قولكم إنّ القرنَ لا يكون إلاَّ مجوَّفَ الأصل ، فهذا قرنُ الأيِّل مُصمَت من أوّله إلى آخره، وهو ينصل[٣] فى كلِّ سنة ، فإذا نبتَ حديثاً لم يظهَرْ حتَّى يستحكِم فى يُبسه وصَلابته ، وإذا علِم أنّه قد بلغ [ذلك] ظهرَ . وأكثرُ القرُونِ الُجوفِ يكونُ فى أجوافها قرونٌ ، وليس ذلك لِقرن الفِيل[٤] .

قالوا : ولم نجدْ هذا القرنَ فى لون القُرون ، ووجدناه بسائر أسنانه[٥] وأضراسه أشبهَ ، للبياض واليبس[٦] . وليس كذلك صفةُ القرون .

وتقول الهند[٧] : فم الأيِّل صغير ، وهو أقفَم ، ولا يجوز أن يكون مثلُ ذلك اللَّحى والفكِّ ينبُت فيه ومنه نابان يكون فيهما ثلاثمائة مَنّ .

وقد رأيتُ قروناً كثيرة الأجناس ، بِيضاً ، وبُرْشا ، وصُهْبا[٨] . وهذه أيضاً من أعاجيب الفيل[٩] .

وقرن الكركَدَّن أغلظُ من مقدار ذراع ، وليس طولُه على قدر غِلَظه[١٠] ، وهو أصلب وأكرم مِن قرنى الفيل .

---

(١) فيا عدا ل : «للعمل» .
(٢) فيا عدا ل : «كما يستعمله ذو القرن» .
(٣) ينصل : يسقط . فيا عدا ل : «ينتقل» محرفة .
(٤) فيا عدا ل : «كقرن الفيل» .
(٥) فيا عدا ل : «لسائر أسنانه» .
(٦) فيا عدا ل : «والسمرة» محرف .
(٧) فيا عدا ل : «ووجدناه يقول» .
(٨) ط ، س : «بيضاء وبرشاء وصهباء» .
(٩) فيا عدا ل : «عجائب الفيل» .
(١٠) فيا عدا ل : «إلا على قدر غلظه» تحريف .

(أعضاء التناسل لدى الحيوان)

ويقال [إنّ] أكبر أُيور الحيوان أيْر الفيل[1] ، وأصغرَها قضيبُ الظبى . وقضيب البطّ لايذكر مع هذه الأشكال[2] . وليس شىء على قَدْره ومقدار جسمه أعظمُ أيرًا من البغل[3] .

وقد علمنا[4] أنّ للضب أيرَين ، وكذلك الحِرذَون والسَّقَنْقُور[5] ، وعرفنا[6] مقدارَ ذلك ، ولكنّه لايدخل فى هذا الباب [لضعفٍ لايخفَى] .

(خرطوم الفيل)

ولو لم يكن من أعاجيب الفيل إلاّ خرطومُه الذى هو أنفُه وهو يدُه ، وبه يوصِل الطّعامَ والشّرابَ إلى جوفه ، وهو شىء بَيْنَ[7] الغضروف [واللحم] والعصب ، وبه يقاتِل ويضرِب ، ومنه يصيح . وليس صياحُه فى مقدارِ جرْم بدنه . ويَضرِب به الأرضَ ويرفعُه فى السّماء ويصرِّفه كيف شاء ، وهو مَقتلٌ من مقاتله . والهند تربِط فى طرَفه سيفاً شديدَ المَتْن فيقاتِلُ به ، مع ما فى ذلك من التهويل على من عاينَه[8] .

---

(١) فيما عدا ل : «قرن الفيل» .

(٢) فيما عدا ل : «الأشياء»

(٣) فيما عدا ل : «الفيل» تحريف .

(٤) فيما عدا ل : «علمت» .

(٥) بعدها فى ل : «نظير الحمار» وهى كلمة مقحمة .

(٦) ط ، ه : «وقد عرفنا» .

(٧) فيما عدا : «من» تحريف .

(٨) فيما عدا ل : «من التهويل على العدو» .

(سباحة الفيل والجاموس والبعير)

وهو مع عِظَم بدَنه جيّدُ السِّباحة إلاّ أنه يخرج خرطومه ويرفعه في الهوء صُعُداً[١] لأنّه أنفه، ألا ترى أنّ الجاموسَ يغيب جميعُ بدنِه في الماء إلاّ منخريه.

والبعير قبيح السِّباحة، لأنَّه لا يسبح إلاَّ على جنبه[٢] فهو في ذلك بطيء ثقيل. والبعير [ممـا] يُخايَر بينه و بين الفيل[٣]، فلذلك ذكرناه.

(ما يغرق من الحيوان)

وقد علمنا أنَّ الإنسان يغرق في الماء مالم يتعلَّم السِّباحة. فأمّا الفرَس الأعسرُ والقِرد فإنّهما يغرقان البتّة. والعقرب تَقُومُ[٤] وسطَ الماء لاطافيةً ولا لازقة بالأرض[٥].

(أشراف السباع وساداتها)

٣٩ وأشراف السِّباع وساداتها وكبارها ورؤساؤها ثلاثة: الـكرَ كدَّن والفِيل والجاموس. قال: ولعلّ بعضَ مَن اعتاد الاعتراض[٦] على الـكتب

---

(١) ل، س: «صعداء» تحريف.

(٢) ل: «لأنه يسبح على جنبه» والعبارتان بمعنى. وفي س، ه: «لايسبح على جنبه» وهذه محرفة.

(٣) يخاير بينهما، أي يفاخر ويفاضل ويوازن. وفيما عدا ل: «يتاير». والمتايرة: المعاوضة في البيع والمبادلة. وليست مرادة.

(٤) ط، ه: «يقوم» س: «يعوم» صوابهما في ل.

(٥) فيما عدا ل: «في الأرض».

(٦) ط: «أغرى بالاعـتراض». وفي س، ه: «اغترى بالاعـتراض» وهذه محرفة.

يقول : وأينَ الخيل والإبل ، وفيها من خصال الشَّرف والمنافع والغَناء في السَّفر والحضَر ، وفي الحرْب والسِّلم ، وفي الزِّينة والبهاء ، وفي العُدَّة والعتاد ، ماليس عند الكركدَّنِ ولا عندَ الفيل ولا عند الجاموس .

قال القوم : ليس إلى هذا الباب ذَهبْنا ، ولا إليه قصدناَ ، ولا ذلك البابُ ممَّا يجوز أن نُدخله في هذا الباب . ولكنَّا ذَهبْنا إلى المحاماة والدَّفع عن الأنفس[1] والقتال دون الأولاد ، وإلى الامتناع من الأضداد بالحيلة اللطيفة ، وبالبطش الشديد ، وليس عند الخَيل والإبل إذا صادفت[2] الأُسْد والنُّمور والبُبُور ، ما عند الجاموس والفِيل[3] . فأمَّا الكركدَّن فإنَّ كلَّ شيء من الحيوان يقصِّر عن غايته التقصيرَ الفاحش[4] .

(إنكار الكركدن والعنقاء)

وما أكثر مَن ينكر أن [يكون] في الدنيا حيوانٌ[5] يسمَّى الكرَكدَّن . ويزعمون أنَّ هذا وعَنْقاء مُغْرِبٍ سواء ، وإنْ كانوا يرون صُورة العَنقاء مصوَّرَةً في بُسُط الملوك ، واسمها عندهم بالفارسيَّة «سِيمَرْك[6]» كأنه قال [هو] وحدَه ثلاثون طائرا ؛ لأنَّ قولهم بالفارسية «سى» هو ثلاثون

---

(١) فيما عدا ل : « على الأنفس » محرفة .

(٢) ل : «صافت» وفيما عدا ل : « صادمت » وقد جمعت بينهما في التصحيح .

(٣) فيما عدا ل : « والفيل والكركدن » .

(٤) ط فقط : « عنه غاية التقصير الفاحش » .

(٥) فيما عدا ل : « حيوانا » .

(٦) كذا في جميع النسخ ، مع تساهل في النطق ، أو بعض التصرف في التعريب . وإلا فلفظها في الفارسية (سيمرغ) كما يفهم من البيان التالي ، وكما في معجم استينجاس ٧١٨ .

بالعربية[١]، ومرغ[٢] بالفارسيّة هو الطائر بالعربية . والعرب إذا أخبرت عن [هلاك] شيء و بطلانه قالت : « حلّقت به في الجوّ عنقاء مغرب[٣] » وفي [بعض] الحديث : « أنّ بعضَ الأمم سألوا نبيَّهم وقالوا : لن نؤمن لك حتّى تفعل كذا وتفعل كذا ، أو تلقى في فم العنقاء اللّجام ، وتردَّ اليومَ أمسِ » .

(شعر في العنقاء)

قال أبو السَّريّ الشُّميطي[٤] ، وهو مَعْدان المكفوف الدبيري[٥] :

يا سَمِيّ النبيّ والصادقَ الوَعْـ ـدِ وَجَـدّ الصبيّ ذي الخَلخالِ
صاحب التُّومة التي لم يشِنْها بعد حَرْسٍ مَثَاقِبُ اللاّلِ[٦]
مَهَدَتْه العنقاء وهي عقيمٌ رُبّ مهدٍ يكون فوقَ الهلالِ

---

(١) ل : « لأن سي بالفارسية ثلاثون » .

(٢) ل : « مرغ » وإنما هو بالشين في الفارسية . ط ، س : « ويرك » . وانظر التنبيه السابق . وفي ه : « سيمرك » تحريف .

(٣) ومنه قول القائل (انظر اللسان : حلق ، عنق) :

ولولا سليمان الخليفة حلقت به من يد الحجاج عنقاء مغرب

ويروى :

ولولا سليمان الأمير لحلقت به من عتاق الطير عنقاء مغرب

(٤) فيما عدا ل : «أبو الهندي» تحريف . وانظر ما سبق في (٢ : ٢٦٨/٥ : ٢٣٦) . والشميطي ، بالشين المعجمة . ل : « الشمطي » وفيما عدا ل : «السميطي» صوابهما ما أثبت . وانظر حواشي (٢ : ٢٦٨) .

(٥) الدبيري : نسبة إلى « الدبير » على هيئة تصغير مدبر ضد المقبل ، وهو موضع قرب الرقة . فيما عدا ل : «المريضي» تحريف . وقد سبق بعض أبيات القصيدة التالية في (٢ : ٢٦٩) .

(٦) التومة ، بالضم : اللؤلؤة ، وجمعها توم ، بالضم ، وتوم بضم ففتح . فيما عدا ل : « صاحب اللؤلؤ التي لم يشنه» . بعد حرس : أي بعد دهر . وفي ط ، ه : «خرز» ، س : « حرز » صوابهما في ل .

يومَ تُصغِى له النَّعامــةُ والأحْنا ... شُ طرًّا لِشــدّةِ الزِّلزالِ[1]

فأهل هذه النِّحلة يُثبِتون العنقاء، ويزعمون أنَّها عقيم.

وقال زُرارة بن أعْـــيَن، مولى بنى أسعد بن همّام، وهو رئيس الشميطيّة[2]، وذكر هذا الصَّبِىَّ الذى تكفُله العنقاء، فقال:

وأوّلُ مايحيَا نعاجٌ وأكبُشٌ ... ولو شاء أحيا ربها وهو مذنبُ[3]

ولكنّه ساعَى بأمٍّ وجــدَّةٍ ... وقال سَيكفِينِى الشَّقيقُ المقرَّبُ[4]

وآخِــرُ برهاناتِه قلبُ يومكم ... وإلجامُه العنقاء فى العين أعجبُ[5]

يَصِيفُ بِساباطٍ ويشتو بآمِــدٍ ... وذلك سرٌّ لو علمناه معجبُ[6]

أماعَ له الكِبريتَ والبحرُ جامدٌ ... وملّكه الأبراجَ والشَّمسُ تُجْنَبُ[7]

فيومئذٍ قامت شَماط بقــدرها ... وقام عسِيب القفرِيثىّ ويَخطُبُ[8]

وقام صــبِىٌّ دَرْدَقٌ فى قِماطِهِ ... عليهم بأصناف اللِّسانَيْن مُعرِبُ[9]

---

(١) النعامة والأحناش معروفان بالصمم. وفى ل: «والأخفاش» محرفة.

(٢) ل: «النسمية» وفيما عدا ل: «التميمية» والوجه ما أثبت. وهو نسبة إلى أحمر بن شميط. انظر حواشى (٢: ٢٦٨).

(٣) ربها، أى صاحبها. وفيما عدا ل: «قرنها».

(٤) المساعاة: تكليف الأمة أن تسعى على مولاها فتكسب له بضريبة خاصة. فيما عدا ل: «ساع» وفى ل: «وقال سيلقينى الشفيع».

(٥) ل: «قلب نيلكم».

(٦) فيما عدا ل: «سر ماعلمنا مغيب».

(٧) أماع: أذاب. وفيما عدا ل: «أساغ» محرف. تجنب: تقاد إلى جنب.

(٨) ل: «قمال بعذبها» ط: «سماط بقدرها» هو: «سماط بسدرها» وأثبت ما فى س. وفى البيت غموض.

(٩) الدردق: الصغير. والقماط، بالكسر: خرقة عريضة يلف بها الصبى. فيما عدا ل: «دردق فى حماطه» و: «بأصناف البيانين يعرب» تحريف.

فثبّت زرارةُ بنُ أعينَ قولَ أبى السَّرِىّ فى العنقاء ، وزادنا [تثبيت] الـكِبريت الأحمر . ولا أعــلمُ فى الأرض قومًا يُثَبِّتون العنقاء على الحقيقة غيرَهم .

(الـكركدّن)

قال : والذى يثبت الـكركدّن أن داود النبى صلى الله عليه وسلم ذكره فى الزَّبور حتى سمّاه[1] .

وقد ذكره صاحب المنطق (فى كتاب الحيوان) إلاّ أنه سمّاه بالِحمار الهندىّ ، وجعَل له قرناً واحداً فى وسْط جبهته . وكذلك أجمع [عليه] أهلُ الهند كبيرُهم وصغيرُهم . وإنّما صار الشّكُّ يعرِضُ فى أمْرِهِ من قِبَل أنّ الأنثى منها تكون نَزُورا[2] ، وأيام حَمْلها ليست بأقل من أيام حمل الفيلة[3] فلذلك قلّ عددُ هذا الجنس .

وتزعم الهندُ أنّ الـكركدّن إذا كانت ببلاد[4] ، لم يرْعَ شىءٌ من الحيوان شيئاً من أكناف تلك البلاد ، حتّى يكونَ بينه و بينها[5] مائةُ فرسَخٍ من جميع جهات الأرض ، هيبةً له وخُضوعا له ، وهرباً منه .

وقد قالوا فى ولَدها وهو فى بطْنها قولاً لولا أنّه ظاهرٌ على ألسِنَة الهند لـكان أكثرُ النّاس بل كثيرٌ من العلماء يُدْخلونه فى باب الخرافة .

---

(١) فيما عدا ل : « قال فيثبتون الـكركدن ذكراتنى داود عليه السلام فى الزبور حين سماه » محرف .

(٢) النزور ، بالفتح : القليلة الولد . فيما عدا ل : « أن الأنثى منها مايكون نزورا » تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « ليست أقل من أيام حمل الفيل » .

(٤) ل : « أنه إذا كانت الـكركدن ببلاد » .

(٥) ل : « وبينه » .

وذلك أنّهم يزعُمون أنّ أيامَ حَمْلِها إذا كادت أن تتم ، وإذا نضجت وسُحِبت*(١) [وجرّت] وجرى وقت الولادة ، فربّما أخرجَ الولدُ رأسَه من ظَبْيتها(٢) فأكلَ من أطراف الشّجر ، فإذا شبع أدخَلَ رأسَه ، حتّى إذا تمّت أيامُه وضاق به مكانُه وأنكرته الرّحِم ، وضعَتْه مُطيقاً قويّا على الكسب والحُضْر والدفع عن نفسه(٣) . بل لا يَعرِضُ له شيء من الحيوان والسّباع .

(ولد الفيل)

وقد زعم صاحبُ المنطق أنّ ولد الفيل يخرُج من بطن أمّه نابتَ الأسنان ؛ لطول لبثه فى بطنها(٤) .

وهذا جائزٌ فى ولد الفيل غيرُ مُنكَر ؛ لأنّ جماعةَ نساء معروفاتِ الآباء والأبناء ، قد ولدْنَ أولادَهنّ ولهنّ أسنانٌ نابتة . كالذى روَوْا فى شأن مالك بن أنس ، ومحمد بن عَجْلَان(٥) وغيرِهما .

(أعاجيب الولادة)

وقد زعم ناسٌ من أهل البصرة أنّ خاقانَ بنَ عبد الله بن الأهتم . استوفى فى بطن أمِّه ثلاثةَ عشَر شهراً . وقد مُدِح بذلك وهُجِيَ . وليس

---

(١) س : « وسخنت » ط ، هـ : « وشحنت » وأثبت مافى ل . والكلمة التى بعدها تكملة من ل ، س ، هـ .

(٢) الظبية : الحياء من المرأة وكل ذى حافر . ط ، هـ : « باطنها » س : « ظنها » وهذه محرفة .

(٣) بدلها فى ل : « ممتنعا عن العدو » .

(٤) فيا عدا ل : « مكثه فى بطنها » .

(٥) سبقت ترجمته فى (٢ : ٢٩٢) .

هذا[١] بالمستنكَر . وَإِنْ كنت لم أَرَ قطُّ قابلةً تُقِرّ بشىء من هذا الباب وكذلك الأطبّاء . وقد روَوْه كما علمت . ولكنّ العجبَ كلّ العجَب ما ذكروا من إخراج ولَد الكركدَّنِ رأسَه واعتلافَه ، ثم إدخاله رأسَه[٢] بعد الشّبع والبِطْنة . ولا بدَّ — أكرمك الله[٣] — لِمَا أكَلَ مِنْ نَجْوٍ ، فإن كان بقى [ذلك] الولدُ يأكل ولا يرُوث فهذا عجبٌ ، وإن كان يروث فى جَوْفها فهذا أعجب .

وإنّما جعلناه يرُوث حيثُ سمَّوه حمارًا . وهذا ممّا ينبغى لنا أن نذكرَه فى خصال الحمير إذا بلغْنا ذلك الباب[٤] .

ولا أُقِرُّ أنّ الولدَ يُخرج رأسَه من فرج أمّه[٥] حتى يأكل شِبَعه ثمَّ يدخل رأسَه [من فَرْج أمّه] ، ولستُ أُراه مُحالاً ولا ممتنعاً فى القُدرة ، ولا [ممتنعا] فى الطبيعة ، وأرى جَوازَه مَوْهُومًا[٦] غيرَ مستحيل ، إلاّ أنّ قلبى ليس يقبلُه . وليس فى كونه ظُلمٌ ولا عَبَثٌ[٧] ولا خطأ ولا تقصير فى شىء من الصفات المحمودة ، ولم نجد القرآنَ يُنكره و[لا] الإجماعَ يدفَعُه . والله هو القادر دون خَلْقه ، ولست أبتُّ بإنكاره وإن كان قلبى شديدَ الميل إلى ردِّه ، وهذا ممّا لا يعلمه النّاسُ بالقياس ، ولا يعرفونه إلاّ بالعيان الظّاهر[٨] ، والخبر المتظاهر .

---

(١) فيما عدا ل « ذلك » .
(٢) فيما عدا ل : « ثم إدخالها » .
(٣) ل « يرحمك الله » .
(٤) فيما عدا ل : « خصال الخصالة إذا بلغ ذلك الباب » .
(٥) فيما عدا ل : « من بطن أمه » .
(٦) موهوما : يذهب إليه الوهم . وفيما عدا ل : مرهوبا » تحريف .
(٧) فيما عدا ل : « عيب » .
(٨) فيما عدا ل : « ولا يعرف إلا بالعيان الباهر » .

(عجيبة الدساس)

وليس الخبر عنهُ مثلَ الخبرِ عن الدَّسّاس التي تَـلِدُ ولا تَبيض[١] . وإنّما أنكر ذلك ناسٌ لأنَّ الدَّسّاس ليس بِأشرف كالخُفَّاش ، بل هو من الممسوح[٢] كسائر الطير . وكاللواتي يبضْن[٣] من ذوات الأربع من المائيّات والأرضيّات .

(عجائب الدلفين واللُّخم والكوسج)

وَليس الخبرُ عن الكركدّن أيضاً كالخبر عن الدُّلفين أنَّها تَـلِد . وعن اللُّخْم مثل ذلك ، وأنَّ الكَوسج يتولّد من بين اللُّخْم وسمكةٍ أخرى ، وهذا كلّه غيرُ مستحيل ؛ إلاّ أنّى لاأجعلُ الشيءَ الجائزَ [كونُه] كالشيء الذي تثبته الأدلّة ويخرجه البرهان من باب الإنكار . وَالواجبُ فى مثل هذا الوَقفُ[٤] ، وَ إن كان القلبُ إلى نقض ذلك أَمْيَل .

والمَيْل أيضاً يكون فى طبقات[٥] ؛ وكذلك الظن [قد] يكون داخلاً فى باب الإيجاب[٦] وربّما قصّر عن ذلك [شيئاً] .

---

(١) فيما عدا ل : « التى لاتبيض ولا تلد » تحريف . وانظر ماسبق فى (٤ : ٢٢٢ / ٦ : ٣٣) .

(٢) الممسوح ، أى الذى خفيت أذنه . انظر (٦ : ٣٣ ، ١٢٥) . فيما عدا ل : « بل هو كالممسوح » .

(٣) فيما عدا ل : « تبيض » .

(٤) فيما عدا ل : « الرتق » محرف .

(٥) فيما عدا ل : « من طبقات » .

(٦) ل : « باب الأغلب » .

(زعم ولادة السمك)

وقد زعم ناسٌ من أهل العلم أنَّ السَّمكَ كلَّه يلِد . وأنَّهم إنّما سمَّوْا ذلك [الحَبَّ] بيضاً على التشبيه والتمثيل ، لأنَّه لا قشر له هناك ولا مُحَّ ولا بياضَ ، ولا غِرقِئَ [1] وأنَّ السمكةَ لاتخرج أبداً [2] إلاَّ فارغةَ البَطْنِ أو محشوَّة ، ولم نر الحَبَّ الذى بقرب مَبالها [3] أعظمَ ، ولم نَرها ألقَتْ إحدى تلك الطَّوامير [4] [و بقَت الأخرى . وإنما غلط فى ذلك ناسٌ من قِبَل ضيق السبيل والمَسْلَك ، فظنوا أنَّ خرق المبال يضيق عن عِظم ذلك الجسم العظيم المجتمع من الحبِّ الصغار . قالوا : فإنما تُخرج تلك الطواميرَ] واحداً فواحداً ، وأوّلا فأوّلاً .

(عجائب الولادة)

وما ذلك بأعجبَ ولا أضيقَ من حَياء الناقة والسَّقبُ والحائلُ يخرجان منه خروجًا سَلِسا إذا أذن الله بذلك [5] . وكذلك المرأة وولدها، [والفِيلةُ]، والجاموسةُ [6] والرَّمَكةُ ، والحِجْر والأتان ، والشاة فى ذلك كلِّه مثلُ السمكة .

وقالوا : لا بُدَّ للبيض من حَضْنٍ ، ومتى حضَنت السَّمكةُ بيضَها لا تلتفت إلى بيضها وفراخها .

---

(١) الغرقئ : قشر البيض الذى تحت القيض . ل : « ولاسرء » والسرء : البيض .

(٢) فيا عدا ل : « لا توجد أبدا » .

(٣) فيا عدا ل : « عند مثالها » تحريف .

(٤) أصل معنى الطومار الصحيفة . وأراد بها ما يتجمع فى جوف السمكة من البيض . ويسمى بالشامية المصرية : « البطارخ » .

(٥) ل : « سليا إذا أذن الله فى ذلك » .

(٦) فيا عدا ل : « والجاموس » .

(زعم العوام فى الكركدن)

والعوامُّ تضربُ المثلَ فى الشدَّة والقُوَّة بالكركدَّن ، وتزعم أنَّه ربّما نطحَ الفيلَ فرفعه بقرنه الوَاتدِ فى وسْط جَبْهته(١) ، فلايشعُر بمكانه ولا يحسُّ به حتّى ينقطع على الأيّام .

وهذا القولُ بالخرافة أشبَه .

(مزاعم فى ضروب من الحيوان)

وأعجبُ من القول فى ولد الكركدَّن ما يخبرنا به نَاسٌ من أهل النَّظَر والطبّ(٢) وقراءة الكتب ، وذلك أنّهم يزعمون أنّ النمرة لا تضَعُ ولدَها أبداً إلاّ وهو متطوّق بأفعى(٣) ، وأنها تعيش وتنهش ، إلاّ أنها لا تقتل . ولو كنتُ أجسُر فى كتبى على تكذيب العلماء وَدَرَّاسِى الكتب(٤) ، لبدأت بصاحب هذا الخبر .

وليس هذا عندى كزعمهم أنّ الأفعى تلد وتبيض ؛ لأنّ تأويل [ذلك أنّ] الأفعى تتعضَّلُ ببيضها(٥) ، فإذا طرَّقتْ بالبيض تلوّتْ فحطمَتْه فى جَوفها ، ثمّ ترمى بتلك القشور والخَرَاشِيّ(٦) أوّلاً فأولا ، كما لابدّ(٧) لكلِّ ذات حملٍ أن تُلْقِيَ مَشيمتَها .

---

(١) الواتد : الثابت المنتصب . فيما عدا ل : « الواحد الذى فى وسط جبهته » .

(٢) فيما عدا ل : « أهل النظر والأدب » .

(٣) انظر ما سبق فى (٤ : ٢٢٢ / ٦ : ٣٤) .

(٤) فيما عدا ل : « ودراس الكتب » .

(٥) تعضلت ببيضها : عسر عليها إخراجه . فيما عدا ل : «ينفصل بيضها» محرف .

(٦) الخراشى : جمع خرشاء ، وهى جلدة البيضة الداخلة ، فيما عدا ل : « المراشى » محرفة .

(٧) فيما عدا ل : « ولا بد »

ويزعم كثيرٌ من الأعراب أنّ الكمأة تحفِن ، ويحقّق منها أفاعٍ[١] . فهذا الخبرُ وإنْ كنتُ لا أتسرّع[٢] إلى ردّه فإنّي على أصحابه ألين كنفاً[٣] .

(قرن السكركدن)

وأمّا قرن السكركدن فخبّرني من رآه[٤] ممّن أثق بعقله ، وأسكن إليه خبَره ، أنّ غلظ أصله وسعة جِسمه يكون نحواً من شِبرين ، وليس طوله على قدر ثخنه . وهو محدّد الرأس ، شديد الملاسة ، ملموم الأجزاء مُدْمَج[٥] ، ذو لدونةٍ وعُلوكةٍ في صلابة ، لا يمتنع عليه شيء . ويحضر من عندنا بالبصرة[٦] إلى الصين ؛ لأنّه[٧] يقع إلينا قبلهم ، فإذا قطعوه[٨] ظهرت في مقاطعه صورٌ عجيبة[٩] . وفيه خصالٌ غير ذلك ، لما يطلب[١٠] .

(خيل النهر)

وقد كنّا نزعم أنّ الهواء للعقاب ، والماء للتمساح ، والغياض للأسد ، حتّى زعم أصحابنا أنّ في نيل مصر خيولاً تأكل التماسيح[١١] أكلاً ذريعاً

---

(١) فيما عدا ل : « أفاعي » على لغة من يثبت الياء في المرفوع والمجرور . انظر همع الهوامع (٢ : ٢٠٥ – ٢٠٦) .
(٢) فيما عدا ل : « أسرع » .
(٣) الكنف : الجانب . وفيما عدا ل : « كفا » محرفة .
(٤) فيما عدا ل : « من رأى قرنه » .
(٥) ط فقط : « مدبج » تحريف .
(٦) إثبات كلمة « من » من ل . فيما عدا ل : « ويحضر عندنا بالبصرة »
(٧) فيما عدا ل : « إلا أنه » .
(٨) فيما عدا ل : « فإذا ظهر » .
(٩) فيما عدا ل : « صورة عجيبة » .
(١٠) فيما عدا ل : « لما يطلب » .
(١١) فيما عدا ل : « التمساح » محرفة .

ويقوى عليها قوةً ظاهرة ، وتغتصبُها أنفسَها فلا تمتنعُ عليها . وعارَضُوا مَن أنكر خيلَ الماء ، بخنازيرِ الماء وبكلابِ الماء ، وبدُخّس الماء[١] .

(إنقاذ بعض حيوان البحر للغريق)

ولم أجدْهم يشكُّون أن بعضَ الحيوان الذى يكون فى البحر ممّا ليس بسمك [وهو يعايش السمك] — وقد ذهبَ عنّى اسمُه[٢] — [أنّه] متى أبصر غريقاً[٣] عرَض له وصار تحت بَطنه وصَدْره ، فلا يزال كالحامل له والمُزْجى والمعين ، حتّى يقذفَ به إلى جزيرة ، أو ساحلٍ ، أو جبل .

وأصنافُ سمكِ البحر ، وأجناسُ ما يعايش سمكَ البحر [لا تكون فى أوساط اللُّجج وفى تلك الأهْوَار العِظام ، مثل لجّة سُقُوطْرَا ، وهركند ، وصنجى[٤]. وكذلكَ أهلُ البحرِ] إذا عاينُوا نباتاً أو طيراً ، أيقَنُوا بقرب الأرض[٥] إلاّ أنّ ذلك القريبَ قد سمّىَ بعيداً ، فلذلك سَلِم ذلك الغريقُ بمعونة ذلك الحيوان .

(مسالمة الأسد للببر ومعاداته للنمر)

٤٣ فأمّا الأسَد والبَبْر فمُتسالمان . وأما الأسد والنمر فمُتَعاديان[٦] والظَّفَر بينهما سِجال . والنَّمرُ وإن كان ينتصف من الأسَد فإنّ قوّتَه على سائر

---

(١) انظر الدخس ما مضى فى (١ : ٣١ / ٥ : ٥٤٥ / ٦ : ٢٧ / ٧ : ٤٠) .
فيا عدا ل : « و بديس الماء » محرف .
(٢) انظر حواشى إشارات الأرقام التى فى التنبيه السابق .
(٣) فيا عدا ل : « إذا أبصر غريقا » .
(٤) سقوطرا ، أو سقطرى ، بضم السين والقاف فيهما : جزيرة كبيرة فيها عدة قرى ومدن تناوح عدن . وهركند : بحر فى أقصى بلاد الهند والصين ، فيه جزيرة سيلان . وأما « صنجى » فلم أجدها فيا لدى من المراجع .
(٥) فيا عدا ل : « أيقنوا بالأرض » .
(٦) فيا عدا ل : « فتسالمان » و « فيتعاديان » .

الحيوان دون قُوّته على الأسد[١] ، وبدنُه فى ذلك أحملُ لوَقع السّلاح . ولا يعرِضُ له البَبْرُ[٢] وقد أيقنا أنّهما ليسا من بابته ، فلا يعرض لهما ، لسلامة ناحيته وقلّة شرّه ، وهما لايعرضان له لما يعرفان من أنفسهما من العجْز عنـــه . وأمّا البهائم الثلاث اللواتى[٣] ذكَرْناها فإنّها فوق الأسد والنمر .

والبَبْر هندىٌّ أيضاً مثل الفيل ، و [أمّا] السكركدّن فلا يقوم له سبعٌ ، ولا بهيمة ، ولا يطمع فيه ولا يَرومُ ذلك منه .

(مبارزة الجاموس للأسد)

وأمّا الجاموس والأسد فخبّرنى محمد بن عبد الملك أنّ أميرَ المؤمنين المعتصمَ بالله ، أبرزَ للأسد جاموسَيْنِ فغلباه[٤] ، ثم أبرز له جاموسةً ومعها ولدُها فغلبته وحمَتْ ولدَها منه ، وحصّنته ، ثم أبرز له جاموساً وحْدَه فواثبَه ثم أدبر عنه[٥] .

هذا وفى طبع الأسد الجرأة عليه ، [لأنّه يعدّ الجاموسَ من طعامه ، والجاموسُ يعرف نفسَه بذلك ، فمع الأسد من الجُرأة عليه على حسَب ذلك

(١) فيما عدا ل : « دون قوة الأسد » .

(٢) فيما عدا ل : « ولايعرض النمر البير » .

(٣) فيما عدا ل : « التى » .

(٤) فيما عدا ل : « جاموستين فغلبتاه » .

(٥) فى نهاية الأرب (١٠ : ١٢٤) : « وليس ما حكى عن المعتصم فى أمر الجاموس وغلبته للأسد بعجيب ؛ فإن الجواميس بالأغوار تقاتل الأسد وتمانعه وتدفعه ، فلا يقدر على قهرها . وأصحاب الجواميس هناك منهم من يغلف قرونها بالنحاس ويحددون أطرافه ، يقصدون بذلك إعانته على حرب الأسد وقتاله » .

ومع الجاموس من الخوف على قَدْر ذلك . وفى معرفة الأسد أنّ له فى فمه من السّلاح ماليس لشىء سواه ، وفى معرفة الجاموس بعدم ذلك السّلاح منه . فمعه من الجرأة عليه] بمقدار مامع الجاموس من التهيُّب له ، فيعلم أنّه قد أعطى فى كفّه ومخالبه من السلاح ماليس لشىء سواه . ويعلم الأسد والجاموسُ جميعاً أنّه ليس فى فم الجاموس ويده[1] وظِلْفه من السّلاح قليلٌ ولا كثير ، فمع الأسد من الجَراءة عليه ، ومع الجاموس من الخوف منه ، على حَسب ذلك . ويعلمُ الأسدُ أنّ بدنَه يَمُوج[2] فى إهابه ، وأنّ له مِن القوّة على الوثوب والضَّــبْر[3] والحُضْر ، والطّلَب والهرَب ، ماليس فى الجاموس ، بل ليس ذلك عند الفَهْد فى وثوبه ، ولا عند السِّمْع[4] فى سرعة مَرّه ، ولا عند الأرنب فى صَعْداه ولا هَبُوطه[5] ، ولا يبلُغُه نَقَزَان الظّبى إذا جَمَعَ جراميزَه ، ولا ركْضُ الخيلِ العِتاق إذا أُجيد إضمارُها. والجاموسُ يعرف كلّ ذلك منه ، ومع الجاموس من النُّـكوص عنه بقَدْر مامع الأسد من الإقدام عليه ، ويعلم أنّه ليس له إلاّ قرنُه وأنّ قرنَه ليس فى حِدّة قُرون[6] بقَر الوحْش، فضلاً عن حِدّة أطراف مخالب الأسد وأنيابه

---

(١) فيما عدا ل : « ويديه » .

(٢) ط ، س : « يتموج » .

(٣) الضبر ، بالضاد المعجمة : جمع القوائم فى العدو . وفى الأصل : « الصبر » .

(٤) فيما عدا ل : « السبع » تحريف . انظر (١ : ١٨٢) حيث ذكر أنه أسرع من الطير والريح .

(٥) ط ، ه : « صعد » . والصعد ، بالتحريك : مقابل الهبوط ؛ والهبوط ، بالفتح: الانحـــدار والانخفاض . وأما « الصعداء » وهى التى وردت فى ل ، س فهى اللفظة التى يختارها الجاحظ فى مثل هـــذا . انظر (٥ : ٤٤٧ / ٦ : ٣٥٦ ، ٣٧٥ ، ٣٨٦).

(٦) فيما عدا ل : « قرن » .

وأن قرنه مُبْتَذَلٌ(١) ، لا يصان عن شيء ، ومخالب الأسد فى أكمام وُصِوان(٢) .

وإذا قوى الجاموسُ مع هذه الأسباب المجبِّنة(٣) على الأسد مع تلك الأسباب المشجِّعة(٤) حتّى يقتله أو يعرِّدَ عنه(٥) ، كان قد تقدَّمه تقدُّماً فاحشاً و [قد] علاه علوًّا ظاهراً . فلذلك قدَّمنا الجاموسَ وهو بهيمة ، وقدَّمنا رؤساء البهائم على رؤساء السباع . هـذا سِوى ما فيها من المرافق والمنافع والمعاوِن(٦) .

والجاموس أجْزَعُ خلق الله من عَضِّ جرجسةٍ(٧) وبعوضةٍ ، وأشدُّهُ هرباً منهُما إلى الماء(٨) . وهو يمشى إلى الأسد رَخِيّ البال(٩) ، رابط الجأش ثابت الجنان . فأمّا الفيلُ فلم يولِّد الناسُ عليه وعلى الكركدَّن ما ولَّدوا من إفراط القوّة(١٠) والنَّجدة والشَّهامة إلاّ والأمر بينهما متقاربٌ عندهم . ٤٤

(١) ط ، هـ : « متبذل » تحريف .

(٢) الصوان ، بالضم والكسر : ما يصان به الشيء . وفيما عدا ل : « صران » تحريف . انظر ما مضى فى (٤ : ٢٨٤ / ٥ : ٣٤٦) .

(٣) ط : « المخففة » س ، هـ : « المخيفة » صوابهما فى ل .

(٤) فيما عدا ل : « الأنياب المستحقة » تحريف .

(٥) التعريد : الإحجام والنكول والفرار . فيما عدا ل : « يعرض » .

(٦) المعاون : جمع معونة ، وهى الإعانة .

(٧) الجرجس : صغار البعوض . فيما عدا ل : « خرشنة » تحريف .

(٨) فيما عدا ل : « وأشد هربا » . منهما ، متعلق بـ « هربا » ، أى هربه من الجرجسة والبعوضة . فيما عدا ل : « منها » .

(٩) ط فقط : « رضى البال » .

(١٠) ط فقط : « فرط القوة » .

(مغالبة الفيل للأسد)

والهندُ أصحابُ البُبور والفُيول ، كما أنّ النُّوبةَ أصحابُ الزّرافات دونَ غيرهم من الأمم . وأهلُ غانةَ إنّما صار[1] لباسُهم جلودَ النمور [لكثرة النمور] بها . إلاّ أنّها على حالٍ موجودةٍ فى كثيرٍ من البُلدان .

وقد ذكَرُوا بأجمعهم قُوّةَ الفِيلِ الوحشىّ على الأسَد ، وقالوا فى الفِيَلة الأهليّة إذا لقِيتْ عندنا بالعِراق الأُسْد وجمعنا بينهما[2] . قالوا : أمّا واحدة فإنّ ذُكور الفِيَلة لا تكاد تعيشُ عندكم ، وأنيابُها التى هى أكبرُ سلاحِها لا تنبُت فى بلادكم[3] ، ولا [تعظُم ولا] تزيدُ على ما كانت عليه ماأقامت فى أرضكم ، وهى أيضاً لا تتناج عندكم ، وذلك من شدّة مُخالَفة البلدة لِطبائعها[4] ونَقْضها لقُواها . وإنّما أسْرَع إليها الموتُ عندكم للذى يعتريها من الآفات والأعراض فى دُوركم ، فاجتمعت عليها خصال ، أوّل ذلك أنّها مع الوحش[5] [و] فى صميم بلادها أجرأ وأقوى ، وأشهمُ نفسًا وأمضى ، فلمّا اصطدْنَاها بالحِيَل[6] ، وصيّرْناها مقصورة[7] أهليّة بعد أنْ كانت وحشيّة ؛ وفى غير غذائها ، لأنّها كانت تشرب إذا احتاجت ، وتأكل إذا احتاجت وتأخذ من ذلك على مقادير ما تعرف من مَوقع الحاجة[8] ، فلمّا صارت

(١) ط : « ماسار » تحريف .
(٢) ل : « بينها » .
(٣) فيما عدا ل : « أكثر سلاحها لاتنبت ببلادكم » وفيه تحريف .
(٤) فيما عدا ل : « وطبائعها » محرف .
(٥) فيما عدا ل : « من الوحش » تحريف .
(٦) ط : « بالجبل » محرفة .
(٧) مقصورة : محبوسة . وفيما عدا ل : « مقهورة » .
(٨) فيما عدا ل : « من ذلك مقدار ما تعرف من توقع الحاجة » محرف .

إلى قيامِ العبيد عليها ، والأُجَراء بشأنها(١) ، والوكلاء بما يصلحها دخل ذلك من النقض(٢) والخوَر، والخطأ والتقصير ، على حسب ما تَجِد(٣) فى سائر الأشياء . ثمّ لم نرْض بذلك حتّى نقلناها من تلك البلدة على إنكارها لتلك البلدة(٤) ، فصيّرناها إلى الضدّ بعد أن كانت فى الخلاف .

وقد علمنا أنّ سبيلَها سبيلُ سائر الحيوان ، فإنّ الإبلَ تموت ببلاد الروم وتَهلِكُ وتسوء حالُها(٥) ، والعقارب تموت [فى مدينة حِمْص]، والتماسيح تموت إن نُقلت إلى دِجلة والفرات . والنّاس يصيبهم الجَلاء فيموتون ويتهافتون . وقد علمنا أنّ الزّنج إذا أُخرجوا من بلادهم فما يحصل(٦) بالبصرة عندنا منهم [إلاّ اليسير] . وكذلك لو نقلوا إليكم بزْر الفُلفُل والسّاج والصَّندل والعُود ، وجميعَ تلك الأهضام(٧) ، فما امتناعُ نباتِ العاج ببلادكم إلاّ كامتناع نباتِ الآبنوس ، وإن كان ينبت فى حيوان والآخر(٨) فى أرض .

فلا يفتخرنّ مفتخر فى الأسد فى هذه البلدة إذا قاوم الفيل(٩) .والأسد هاهنا فى بلاده وفى الموضع الذى تتوفّر أموره عليه ؛ لأنّ أُسْد العراق هى الغاية . وأقواها أُسْد السّواد ثم أُسْد الكوفة(١٠) . ولأنّ الفِيَلةَ عندكم أيضاً

(١) فيما عدا ل : «لسواسها» .
(٢) س ، هـ : « النقص » بالصاد المهملة .
(٣) ل : «يجد» بالياء .
(٤) فيما عدا ل : «حتى نقلنا ما كانت تجده من إنكارها لتلك البلدة » .
(٥) انظر ماسبق فى (٤ : ٧١) .
(٦) فيما عدا ل : « إذا خرجوا من بلادهم كما يحصل» وفيه تحريف .
(٧) الأهضام : الطيب ، وقيل البخور ، واحده هضم ، بالكسر ، وهضم وهضمة بالفتح .
(٨) ط ، هـ : « والأرضى » س : «والأرض» صوابهما فى ل .
(٩) ط ، هـ : « قام القيل » س : «أقام الفيل» صوابهما فى ل .
(١٠) ل : « أسود » فى هذا الموضع وسابقه .

٤٥ يُرَى عندَكم الشَّنانير ، وقد جَعَل اللهُ في طَبْع الفهل الحريبَ من السِّنّور والوَحشةَ منه ، كما أنّ بعضَ شُجعانِكم يمشي إلى الأسد ، ويقبِضُ على الثعبان ، ولا يستطيع النَّظرَ إلى الفار والجرذان ، حتَّى يهرُب منها كلَّ الهرب ، ويعتريه من النَّفضة[1] واصفرار اللَّون ما لا يعتري المصبور على السَّيف[2] وهو يلاحِظُ بريقَه عند قفاه .

(خوف عبد الله بن خازم من الجرذ)

وذكر عليّ بن محمّد السميري[3] قال : بينا عبدالله بن خازم السُّلَميّ[4] عند عبيد الله بن زياد ، إذ أُدْخِلَ على عبد الله[5] جرذ أبيض ليعجّبَ منه[6] ، فأقبل عبيدُ الله على عبدالله فقال : هل رأيتَ يا أبا صالحٍ أعجَبَ من هذا الجرذ [قط]؟ وإذا عبد الله قد تضاءل حتّى صار كأنه فرخٌ ، واصفرَّ حتّى [صار] كأنّه جرادة [ذَكَرٌ[7]] ، فقال عبيد الله : أبو صالحٍ يَعصِي الرحمن ، ويتهاوَنُ بالشّيطان ، ويقبِض على الثُّعبان ، ويمشي إلى الأسَد ، ويلقى الرِّماح بوجهه ، وقد اعتراه من جُرَذٍ ما ترون !! أشهَدُ[8] أنّ اللهَ على كلِّ شيء قدير .

---

(١) فيما عدا ل : « القبض » .

(٢) المصبور : الذي يحبس ويعرض للقتل . ل : « المصيور » محرف .

(٣) ل : « السمرى » .

(٤) في الأصل : « حازم » صوابه بالخاء المعجمة ، كما في المعارف ١٨٤ .

(٥) في الأصل : « إذ دخل » ، وفيما عدا ل : « إذ دخل عليه » .

(٦) فيما عدا ل : « ليقبل منه » .

(٧) انظر لصفرة ذكور الجراد ما مضى في (٣ : ٤٢ ؛ ٤/١٧٤ : ٥/٥٥٩) .

(٨) ط ، ه : « اشهدوا » .

(خوف الفيل من السنور)

وإذا عاين الفيلُ الأسدَ رأى فيه شَبَهَ السّنّور ، فيظنُّ أنه سنّور عظيمٌ فلا يبلغ [منه] مقدارَ تلك المناسبة ، وذلك الشَّبه ، ومقدارَ ذلك الظنّ ما يبلغ رؤيةُ السّنّور نفسِه . وليس هربُه منه من جهةِ أنّه طعامٌ له ، وأنّه إن ساوَرَه خافه على نفسه[1] ، وإن كان فى المعنى يرجع إلى أنّه طعامٌ لصغار السّباع وكبارها . وهَلْ قتل أسدٌ[2] قطُّ فيلاً ، ومتى أكله ؟!

وإنّه مع ذلك لَرُبَّما رَكَله الرَّكلة فإمّا أنْ يقتُلَه ، وإمّا أنْ يذهبَ عنه هارباً فى الأرض ، وإمّا أن يُجَلِّيَه[3] .

وأيّة حُجّة على الفيل فى أن يرى سنوراً [فيهتفر منه ؟! فالأسدُ يُشار إليه بِشُعلةٍ من نار ، أو يُضرَب له بالطَّستِ فيهربُ منه ، فإنما هذا كنحو تفزُّع الفرَس من كلِّ شىء يراه فى الماء وهو عطشانُ فيأباه .

ويزعم ناسٌ من أصحاب الخيل أنّ الفرَس ليس يضرب بيديه فى الماء الصافى ليثوِّره ، لأنَّ الماء الكدِرَ أحبُّ إليه ، وما هو إلا كالثّور الذى يحبُّ الصافى ويختاره ، ولكنه إذا وقف على الماء الصافى رأى فيه ظِلّه وظلّ غيرِه من الأشخاص] ، فيفزعه ذلك ، فلمعرفته بأنَّ الماء الكدِرَ لا تتصوَّر فيه الصُّوَر يضرِب بيديه . هذا قول هؤلاء[4] . وأمّا صاحبُ

---

(١) فيما عدا ل : « غلبه على نفسه » .
(٢) فيما عدا ل : « الأسد » .
(٣) ل : « يجليه » وفيما عدا ل : « يخليه » ولعل وجهه ما أثبت .
(٤) فيما عدا ل : « بعضهم » .

المنطق وغيرُه ممّن يدّعى معرفةَ شأنِ الحيوان فإنّه يزعُم أنّ الفرسَ بالمـاء الـكدِر أشـدُّ عُجْبا منه بالماء الصافى ، كما أنّ الإبلَ لايُعجِبها الماء إلاّ أنْ يكونَ غليظاً ، وذلك هو المـاء النّمير عندهم . وإنّما تصلُح الإبل عندهم على الماء الذى تصلُح عليه الخيل .

(تداوى الحبشة والنوبة بأضراس خيل المـاء وأعفاجها)

ويزعُم مَن أقام ببلاد السُّودان أنّ الذين يسكُنون شاطئَ النيل من الحبَشة والنُّوبة ، أنّهم يشربون الماء الـكدر ، ويأكلون السّمك النِّىء فيعتريهم طحالٌ شديد[1] ، فإذا شدُّوا على بطونهم ضِرْسا من أضراس خَيل المـاء وجدُوه صالحاً لبعض ما يعرِض من ذلك . ويزعمون أن أعفاج هذا الفرس تُبْرِئ من الصَّرْع الذى يكون فى الأهِلّة[2] .

(دفاع صاحب الأسد)

وقال بعض من يَنْصُرُ الأسَد[3] : إن الأُسْدَ فى الهند أضعَفُ ، بل هى ضعيفةٌ جدًّا ، والفيل فى بلادهم أقوى ، والوحشى منها [أجرأ] ، والمقتلم لايقوم له إلا الـكركدّن . وإنه ليهجُم عليه[4] فيحجم عنه حتى ٤٦

(۱) إنما هو الطحل ، بالتحريك ، وهو وجع الطحال ، بالـكسر . ويحتمل أن يكون الجاحظ قد قاسه على الـكباد ، بالضم ، وهو وجع الـكبد .
(۲) انظر للصرع عند الأهلة ما مضى فى (٥ : ٤٧٩ / ٦ : ٢٤٣) .
(۳) فيما عدا ل : « يبصر بالأسد » تحريف .
(٤) ط ، ه : « ليفحم » س : « ليفخم » وهذه محرفة . وأثبت ما فى ل .

تذهب عنه سَكْرَة الغُلْمة ، فيرجعُ إلى معرفةِ حال الكركدّن فلا يطور طَوَارَه[١] ولا يحلّ بأداني أرضه[٢] .

وأمّا الفيل فإذا كان غيرَ هائجٍ والأسدُ فى غير أيّام هِيَاجِه[٣] ثم يكونُ الأسدُ عِراقيًّا و يكونُ سَوادِيًّا و يكون من أجمة أبْزِيقية[٤] فإنّ الفيلَ لا يقوم له .

(قول صاحب الفيل)

وقال صاحب الفيل : الفيل لا يُعاينُ أسداً أبْزِيقيًّا[٥] حتى تفسَخَه البلْدة ، وتَهدِمَهُ الوحشة[٦] ، ويُمْرِضه الغذاء ، ويُفسده الماء . وهو لا يصل إلى ذلك المكان حتى يجمع بينه وبين [ذلك] الأسد ، وحتى يَسمَع تجاوُبَ السَّنانير وتَضَاغِيها[٧] — وهو أسمَعُ من قُراد — فيغِبّ ذلك فى صدره[٨] ، وتتزايد[٩] تلك الوَحشةُ فى نفسه ، فمتى رأى أسداً قائمًا فربّما دعَته الوحشة[١٠] منه ، والبغض المجْول[١١] [فيه] ، إلى الصُّدود والذَّهاب

---

(١) لا يطور طواره ؛ لا يقرب منه . والطور والطوار : ما كان على حذو الشيء أو بحذائه . فيما عدا ل : «طوره» .

(٢) فيما عدا ل : « ولا يخليه » محرف .

(٣) فيما عدا ل : «سفاده» .

(٤) فيما عدا ل : «أفريقيا» .

(٥) فيما عدا ل : «أفريقيا» .

(٦) فيما عدا ل : «وتوهنه الوحشة» .

(٧) تضاغيها : تصايحها ، وهو الضغو والضغاء . فيما عدا ل : « وتضاغطها » محرف

(٨) يغب فى صدره : يقم فيه . انظر اللسان (٢ : ١٢٧) . فيما عدا ل : « فيثبت » .

(٩) ﻫ : « وتزايد » ل : «وتتراد» .

(١٠) فيما عدا ل : « حلته الدهشة » .

(١١) ط ، س : « المجبول » .

عنه. فيظنُّ كثيرٌ من الناس أنّ ذَهابَه هرَب ، وأنّ صدوده جُبْن. وإنّما هو من الوَحشة منه والكَراهة لمنظرَتِهِ(١) . وربّما اضطرّهُ الأسدُ بحُرْقه حتّى ينتقضَ حِلمُه ، ويُغلَب وقارُه ، فيخبطُه خَبطةً لا يُفلح بعدها أبداً .

(فخر صاحب فرس الماء)

قال صاحبُ الفرَس : زعمتم أنّ الأسدَ فى الأرض كالعقاب فى الهواء ، وكالتمساح فى الماء ، وأنّ تمساحا وأسَداً اعتلجا على شريعةٍ فقتَل كلُّ واحدٍ منهما صاحبه ، وكأنّ التّمساحَ ضرب [الأسد] بذنبه فى الشّريعة ، وضغَمَ الأسدُ رأسَه فماتا جميعاً .

قال : والفرَس المائىُّ بالنِّيل يقتُل التّماسيحَ ويقهرُها ويأكلها ، ولا يُساجلُها الحرب ، ولا تقعُ بينهما مغالبةٌ ومجاذَبة ، وتكون الأيّام بينهما دُوَلاً . فهذه فضيلةٌ ظاهرة على الأسد . وشرفُ فرَس الماء راجعٌ إلى فرس الأرض ، فإنْ كان فرسُ الأرض لا يقوى على الأسَد ولا على النّمر ولا على البَبْر ، فإنّ ابنَ عمّه وشكلَه فى الجِنْس قد قوِىَ على التمساح وهو رئيسُ سُكان الماء .

قالوا : أمّا واحدةً فإنّ التمساح ليس برئيسِ سُكّان الماء إلا أن تُريد(٢) بعضَ سكان الأودية والأنهارِ والخُلجان والبُحَيْرَات(٣) فى بعض

(١) فيما عدا ل : « لمنظره » . وانظر لاستعمال الجاحظ « المنظرة » ماسبق فى (٣ : ٣٩٥ / ٥ : ٤٨ ، ١٦٠).

(٢) فيما عدا ل : « يريد » .

(٣) البحيرات : جمع بحيرة ، وهو البحر الصغير ، أدخلوا الهاء فيه على توهم « بحرة » . فيما عدا ل : « التحيزات » .

المياه العذبة . والكوسج والدُّخس والشَّرْطان والدُّلفين وضُرُوبٌ من السباع[١] مما يعايشُ السمكَ ليس التمساح من بابه[٢] . وعلى أن التمساح إنما[٣] يأ كله ذلك الفرسُ وهو فى الماء . وليس للتمساح فى جوف الماء كبيرُ عملٍ إلا أن يحتمل شيئاً بذنبه ويحتجنه إليه[٤] ، ويدخله الماء . وربّما خرج إلى الأرض للسِّفاد ولحضْن البيض ، فلا يكونُ على ظهر الأرض شىءٌ أذلّ منه . وذلُّه على [ظهر] الأرض شبيهٌ بذُل الأسَد فى وسط الماء الغَمْر . ولَعمرى أنْ لو عَرَض له هذا الفرسُ فى الشرائع فقتلَه[٥] لقد كان ذلك من مفاخره . فلذلك لم تُذْكَر[٦] الخيل فى باب الغلبة ، والقتال والمساجلة ، ٤٧ والانتصاف من الأعداء .

والفرَس قد يُقاتل الفرسَ فى المُرُوج إذا أراد أن يحمِىَ الحُجور ، كما يحمِى العيرُ العانةَ ويقاتل دونها[٧] كلَّ عيرٍ يريد مشاركتَه فيها . وهذا شىءٌ يعرض لجميع الفُحولة فى زمن الهَيْج .

وقد يصاولُ الجملُ الجملَ فربَّما قتلَ أحدُهما صاحبَه ، ولكنَّ هذه الفُحولةَ لا تعرِض لشىء من الحيوان فى غير هذا الباب .

---

(١) أى سباع البحر . وفيما عدا ل : « من السمك » تحريف .
(٢) فيما عدا ل : « ينهش التمساح من نابه » محرف .
(٣) فيما عدا ل : « ربما » .
(٤) الاحتجان : الضم والإمساك ؛ وأصله أن يجذب الشىء بالمحجن ، وهو عصا معقفة الرأس . فيما عدا ل : « ويلحجه إليه » ، وهى صحيحة أيضا . يقال ألحجه إليه ، أى أماله .
(٥) فيما عدا ل : « فقتله » .
(٦) فيما عدا ل : « لم تذكر » .
(٧) فيما عدا ل : « عليها » .

وإن أرادَ القِرسَ أسدٌ، فليس عنده من إحراز نفسه وقَتْل عدوّه ما عند الجاموس، فإنْ فضَّله الجاموسُ بقرنيه فإن السِّلاح التى فى فَمَ القِرس[1] لو استعمله لكان سِلاحا. ولو استدْبَرَ الأسدَ فركله ورمَحه وعَضَّه بفيه، لكان ذلك ممَّا يدفع عنه ويحمِي لحمَه.

وليس للجاموس فى أظلافه وفى [يديه و] رجليه وفى فمه سلاح، فقد دلَّت الحالُ على أنّ مدارَ الأمر إنَّما هو [فى] شَجاعة القلب.

وفى هذا القياس أنَّ الصَّقر إنَّما[2] يواثِبُ الكُرْكِيَّ لمكان سلاحه دون شجاعة القلب[3] التى يقوى بها الضَّعيف، و بخلافها يضعُف القوىّ.

وسأقرّب ذلك عندك[4] ببعض ماتعرفه. لا نَشُكّ[5] أنَّ المرْء أقوى من المرْة فى كلّ الحالات، حتّى إذا سفِدها فحدَثتْ بينهما بغضاء ومطالبة[6] حدثت للهِرّة شجاعةٌ وللهر ضَعف، فصارت الهِرّةُ فى هذه الحال أقوى منه، وصار الهرُّ أضعف. ولولا أنَّه يُمعِن فى الهرب غايةَ الإمعان ثمّ لحقته، لقطَّعته وهو مستخذٍ.

ومثل ذلك[7] أنَّ الجُرذ يُخصَى، ويرمى به فى أنابير التجّار[8]

---

(١) فيا عدا ل: «فان البيان الذى فى القرن» محرف.

(٢) ل: «لم».

(٣) ل، س: «قلبه».

(٤) فيا عدا ل: «وسأقرر لك ذلك» لكن فى ه: «وسافر» وهذه محرفة.

(٥) فيا عدا ل: «لا تشك» بالتاء.

(٦) فيا عدا ل: «حدث بينهما بغض ومطالبة» مع زيادة واو فى أول الكلام بعدها.

(٧) فيا عدا ل: «ومثال ذلك».

(٨) الأنابير: جمع أنبار، والأنبار: جمع نبر بالفتح. والأنبار: أهراء الطعام، وهى البيوت الكبيرة الضخمة التى يجمع فيها طعام السلطان. س: «أناس» بالإهمال. ه: «أبابين» محرفتان. انظر ماسبق فى (٥: ٢٦٠).

وفى الأقرِحَة(١) والبيادر ، فلا يدَعُ جُرذًا ضخمًا قد أعيا المرَّ(٢) وابنَ عِرْس إلاَّ قتَلَه ، وإنْ كان أعظمَ منه وأشدَّ .

والخَصِىُّ من كلّ شىء أضعَفُ قوّةً من الفَحل إلاَّ الجرذ ، فإنَّه إذا خُصِى أحدث له الخصاء(٣) شجاعةً وجَراءة ، وأحدثَتْ له الشّجاعة قوّة وأحدث علم الجرذان بحال الخصاء لها(٤) جُبْنا، وأحدثَ الجُبنُ لها ضعفاً .

والرّجلُ الشّديدُ الأسْر قد يَفزَعُ فتنحلُّ قُوَاه(٥) ، ويسترخى عصَبُه حتّى يضربه الصبىُّ . والذئبُ القوىُّ من ذئاب الخَمَر(٦) يكون معه الذئبُ الضعيف [من ذئاب البرارى]، فيصيب القوىَّ خدشٌ يسيرٌ(٧) ، فحين يَشَمّ ذلك الذئبُ الضعيف رائحةَ الدّم وثب عليه(٨) ، فيعترى ذلك القوىَّ عند ذلك من الضّعف بمقدارِ ما يعترى الضَّعيفَ من القوّة حتّى يأكله كيف شاء .

---

(١) الأقرحة : جمع قراح ، كقذال وأقذلة . والقراح : الأرض المخلصة لزرع أو لغرس . وكل قطعة على حيالها من منابت النخل وغير ذلك . ط ، س : « الأبرحة » هـ : « الأبرحة » صوابهما فى ل . وانظر ما سبق فى (٥ : ٣٢٣) .

(٢) ل : « قد غلب المر » .

(٣) فيما عدا ل : « الخصى » ، وهو تحريف كتابى .

(٤) لها ، أى للجرذان التى لم تخص . وفى س : « له » أى بحال الخصاء للجرذ . أقحمت كلمة « له » بعد « أحدث » فى كل من ط ، هـ .

(٥) فيما عدا ل : « قوته » .

(٦) الخمر ، بالتحريك : ماواراك من شجر وغيره . انظر لذئب الخمر ما سبق فى (١ : ٢٢٠ / ٤ : ١٣٣ ، ١٣٤ / ٦ : ١٢٣ ، ١٧١ ، ١٨٨ ، ٤١٠) فيما عدا ل : « ذئب اللحم » تحريف .

(٧) بدلها فيما عدا ل : « فإن رى القوى أحدث ذلك الضعيف طمعا » .

(٨) وثب عليه ، كذا وردت فى جميع النسخ ، على الحكاية . فيما عدا ل : « فعند ما يرى الدم وثب عليه » .

والأسد الذي يعتريه النَّفْض في الماء الغَمْر حتّي يركبَ ظهرَه الصبيُّ ثم يقبضَ على أذنيه فيغُطّه[١] كيف شاء .

وقد يفعل به ذلك غِلمان السَّوادِ وشاطئُ الفرات ، إذا احتملت

٤٨ المدودُ الأُسْدَ لا تملك من أنفسها شيئاً، وهو مع ذلك يشدُّ على العسكر حتّى يفرقه فَرْقَ الشعَر[٢] ، ويطويه طيَّ السِّجِلّ ؛ ويهارِشُ النمرَ عامّةَ يومه[٣] لا يقتلُ أحدُهما صاحبَه . وإنْ كان الجملُ المائجُ باركاً أتاه[٤] فضرب جنبَه ليثنيَ إليه عنقَه ، كأنه يريد عضَّه[٥] فيضربُ بيساره إلى مِشفره[٦] فيجذبه جذبةً يفصل بها [بين] دأيات عنقه . وإن ألفاه قائماً وثب وثبة[٧] فإذا هو في ذروة سنامـــه[٨] ، فعند ذلك يصرِّفه كيف شاء ويتلعّب[٩] به كيف أحبّ .

ونحن لا نشكُّ أنَّ للفرَس تحتَ الفارس غَناء في الحرب لا يُشْبِهه غَناء ، ولذلك فُضِّل في القَسْم . وإنما ذلك بتصريف راكبه له ، وقتالِه عليه . فأمّا هو نفسُه فإنه إذ كان[١٠] أوفَرَ ســـلاحا من الجاموسُ

---

(١) غطه في الماء يغطه ، بضم غين المضارع وكسرها : أي غمسه . ل : « فيعطيه » محرفة .

(٢) فيا عدا ل : « حتى يفرقه تفريق الشعر » .

(٣) اليوم : النهار . فيا عدا ل : « عامة نهاره » .

(٤) فيا عدا ل : « أتى » .

(٥) ط ، هـ : « غمصه » .

(٦) س : « مشرقة » محرفة ط ، هـ : « مشفرفه » وأثبت ما في ل .

(٧) فيا عدا ل : « وثب به » .

(٨) فيا عدا ل : « على ذروة سنامه » .

(٩) فيا عدا ل : « ويلعب » .

(١٠) فيا عدا ل : « فأما هو في نفسه فإن كان » محرف .

وخام عن قرنه(١) واستسلم لعدوّه فإنّه من هاهنا لايقدم(٢) [على غيره . ولم يكن اللهُ ليجعلَ] انحصارَ [جميع] أقسام الخير فى شخصٍ واحد ، ولكن [لمّا] أن كان [الفرس] عليه تقاتل الأنبياءُ وأتباع الأنبياء ، ملوكَ الكفّار(٣) [وأتباعَ ملوكِ الكفّار] حتّى يقمع اللهُ الباطلَ ويُظهِر الحقّ ؛ فلذلك قدّمناه على جميع البهائم والسّباع . وإنّما نقدّمه على الوجه الذى قدّمه الله فيه .

(الرد على صاحب فرس الماء)

واعترَضَ على أصحاب فرَس الماء معترِضون فقالوا : الفرسُ لا يكون إلاّ بهيمة ، والبهائم لاتصيد وتأكل صيدَها ، وإنّما طعامُ الفرَس النّباتُ وليس اللّحمُ لها بطعام . وقال النّمر بن تولب :

والخيلُ فى إطعامها اللّحمَ ضرَرٌ نُطعِمُها اللّحمَ إذا عَزَّ الشَّجَرْ

فى كلمته التى يقول فيها :

* اللهُ من آياته هذا القمرْ *

وقد تُعلَف فى تلك الحالاتِ اللّحمَ اليابس وهسيسَ السّمك(٤) . فأمّا الهسيس(٥) فلخُيول أهل الأسياف خاصّة .

---

(١) خام عنه يخيم : نكص وجبن . ط : « وفرعن قرنه » هـ : « والبقر عن قرنه » تحريف . والكلمة التى قبل « قرنه » موضعها بياض فى س .

(٢) فيما عدا ل : « لايقدر » .

(٣) فيما عدا ل : « وملوك الكفار » ، والواو مقحمة .

(٤) الهسيس : المدقوق من كل شىء . فيما عدا ل : « حشيش السمك » محرف .

(٥) فيما عدا ل : « الحسيس » وانظر التنبيه السابق .

(الانتصار لصاحب فرس الماء)

قيل لهؤلاء المترضين على فَرَس الماء : وقد يكون فى الخلق المشترك وغير المشترك ما يأكلُ اللَّحمَ والحَبّ . فالمشترك مثلُ الإنسانِ الذى يأكل الحيوان والنبات . و [هذا] العصفور من الخلق [المشترك[1]] لأنَّه يأكل الحبّ[2] ويصطاد النّمل الطيّار والأَرَضة فيأكُلها ، ويأكل اللَّحم . والدّجاجُ تأكل اللَّحمَ والدِّيدانِ وتحسُو الدّمَ وتلقُط الحبّ . والغراب لايَدعُ شيئاً إلاَّ أكله .

وما خرج من حدّ المشترك وهو[3] كنحو الذِّئب والضّبع ، وكنحو الشَّاهين والصّقر ، فإنَّ هذه وأشباهَها لا تعرفُ إلا اللَّحم . [والحَمامُ] وضروبٌ من الطير لاتعرِف إلاَّ الحبّ والنَّبات . والمشتركُ أجمَع[4] مما هو غير مشترك .

والسّمكة تأكل الطِّين[5] والنَّبات ، وتأكل الجيف التى تصيب
٤٩ فى الماء ، وتُصاد بضروبٍ من الحيوان تُجعل لها فى الشُّصوص[6] ، ثم ينصبون لكلِّ ضربٍ [من السّمك بضربٍ] من الطُّعم[7] .

والجِرّىُّ يأكل الجرذانَ ويصيدُها ، وهو آكلُ لها من السَّنانير

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من ط .
(٢) فيما عدا ل : « يأكل اللحم والصيد » .
(٣) ل : « فهو » .
(٤) أجمع : أى أكثر جمعاً لضروب الطعام .
(٥) فيما عدا ل : « الطير » تحريف .
(٦) الشصوص : جمع شص . وفيما عدا ل : « الخطوط » محرف .
(٧) فيما عدا ل : « من الطعام » .

والحيّات والكلابِ السَّلوقية . ويأكلُ الجِرِّيُّ جميعَ جِيفِ الموتى . والسَّمك يأكل السَّمكَ ويأكلُ من كلّ حَبٍّ ونباتٍ يسقُط فى الماء .

وإن استفهَمَ مستفهِمٌ أو اعترض معترضٌ فقال : وكيف يأكل الجِرِّيُّ الجرذان ، والجرذانُ أرضيَّةٌ بيوتيَّة ، والجِرِّيُّ مائى ؟ قيل له : يخبِّرنا جميعُ مَن يبيتُ فى السُّفن وفى المشارع ، فى فيض[(١)] البَصرة عندنا ، أنَّ جرذان الأنابير[(٢)] تخرُج أرسالاً باللَّيل كأنَّها بناتُ عِرْس ، والجِرِّيُّ قد كَمَنَ لهنّ وهو فاتحٌ فاه ، فإذا دنا الجُرذُ من الماء قعبٌ فيه التهمه[(٣)] ليس دون ذلك شىء ، بشَجْر فمٍ واسع[(٤)] يدخُل فى مثله الضبُّ الهرم . وإنَّما يضَع بخطمه على الشَّريعة[(٥)] .

(شىء من الطرف والحكم والأشعار)

[وسنذكر شيئاً من الطُّرَف والحِكم والأشعار ، إذْ كُنّا قد ذكرْنا من الكلام فى الحيوان صدراً صالحاً وأبواباً جامعة ، ثم نعود فى ذكر الفيل إنْ شاء الله ، والله الموفِّق . قال الشَّاعر[(٦)] :

ونحنُ أُناسٌ لاحجازَ بأرْضنا مع الغَيثِ ماتُلْقَى ومَن هوغالبُ[(٧)]

---

(١) ط فقط : « قيض » تحريف . وفيما عدا ل : « وفى » .
(٢) الأنابير ، سبق تفسيرها فى (٥ : ٣٦٠) . س : « الأنابر » بالإهمال . ه : « أبابير » صوابهما فى ل ، ه .
(٣) فيما عدا ل : « التقمه » .
(٤) شجر الفم : مفرجه . فيما عدا ل : « بسحر » محرف .
(٥) بعد هذه الكلمة فى نسخة كوبريلى المرموز إليها برمز « ل » تكملة كبيرة تبدأ من المعقف التالى . وسأثبته إلى موضع انتهائها فيما بعد . وموقع هذه الزيادة فى نسخة كوبريلى ما بين صفحتى ١٤٥و١٥٧ ثم ما بين صفحتى ١٢و١٥ . وستنتهى إلى نهايتها بعد نحو عشرين صفحة .
(٦) هو الأخنس بن شهاب التغلبى ، من قصيدة له فى المفضليات (٢ : ٣) .
(٧) أى نلتقى مع الغيث ، كلما وقع فى بلد صرنا إليه وغلبنا عليه أهله .

وإن قصرت أسيافنا كان وصلها ... خطانا إلى أعـــدائنا فنضاربُ[1]
ترى كلّ قوم ينظرون إليهمُ ... وتقصُر عمّا يبلغون الذّوائبُ

مثل قول الآخر :

لكلّ أناس مُسلَّم يُرتقَى به ... وليس إلينا فى السّلاليم مطلعُ
ومنزلُنا الأعلَى حجازٌ لمن به ... وكلُّ حجازٍ إن هبطناهُ بلقَعُ
وينفِر منّا كلُّ وحشٍ وينتمِى ... إلى وَحْشِنا وحشُ البِلاد فيَربعُ

وقال حسّان بن ثابت :

ونَدْمانِ صِدقٍ تقطر الخيرَ كفُّه ... إذا راح فَضفاضَ العشيّاتِ خِضْرِما[2]
وصلتُ به كفّى وخالَطَ شيمَتى ... ولم أكُ عِضًّا فى الندامى مُلوّما[3]
لنا حاضرٌ فَعمٌ وبادٍ كأنّه ... شماريخُ رَضْوَى عِزّةً وتكرُّما
ولدْنا بنى العنقاء وابنَىْ محرِّقٍ ... فأكرِمْ بنا خالاً وأكرم بنا ابنما
لنا الجفَنَاتُ الغرُّ يلمعْنَ فى الضّحَى ... وأسيافُنا يقطُرْنَ مِن نجدةٍ دَما

وقال أعرابىٌّ غزلىّ :

بنفسى وأهلى مَن إذا عرَضُوا له ... ببعض الأذى لم يَدْرِ كيف يُجيبُ[4]
ولم يعتذِرْ عُذْرَ البرىء ولم تزَلْ ... به سكْتةٌ حتّى يُقالُ مُرِيبُ

وقال أعرابىٌّ من هُذيل :

رَعاكِ ضمانُ اللهِ يا أمّ مالكٍ ... ولَلّهُ أنْ يَشقِيكِ أولَى وأوسَعُ[5]
يُذَكِّرُنيكِ الخيرُ والشرُّ والذى ... أخافُ وأرجــو والذى أتوقّعُ

---

(١) انظر تاريخ هذا المعنى فى شرح المفضليات (٢ : ٧) .

(٢) رواية الديوان ٣٧٠ : « تقطر الخير » و : « فياض العشيات » .

(٣) العض ، بالكسر : السيّ الخلق . وعجز هذا البيت فى اللسان (٩ : ٥٢) .

(٤) وكذلك ورد البيتان بدون نسبة فى الحماسة (٢:١١٨).

(٥) البيتان بدون نسبة فى الحماسة (٢ : ١١١) .

قطعة من أشعار الاتعاظ

قال الشاعر :

عليكَ مِنَ أمرِكَ ما تستطيعُ ... وما ليس يُغْنيك عنه فَذَرْ
ولَلصَّمْتُ أجملُ في حِينِهِ ... مِنَ القَوْلِ في خَطَلٍ أو هَذَرْ
وكم غائبٍ كانَ يخشى الرَّدَى ... فعادَ وأودَى الذى فى الحَضَرْ
وبينا الفَتَى يُعجِبُ النَّاظِرِينَ ... مالَ إلى عِطْفِهِ فانقَعَرْ
وبعضُ الحوادثِ إنْ يُبْقِهِ ... فإنَّ الفَنَاءَ شأنُهُ والكِبَرْ
وكم من أخى نجدةٍ ماهرٍ ... تعلَّقَهُ الدَّهرُ حتَّى عثَرْ
وكم من أخى عثرةٍ مُقْتِرٍ ... تأتَّى له الدَّهرُ حتَّى انجَبَرْ

وقال علقمة بن عبدة[1] :

وكلُّ قومٍ وإن عزُّوا وإنْ كثُرُوا ... عَريفُهُمْ بأثافى الشَّرِّ مرجومُ
والحمدُ لا يُشْتَرَى إلاَّ له ثمنٌ ... مما يَضِنُّ به الأقوامُ معلومُ
والجهلُ مَنْقَصَةٌ شَيْنٌ لصاحبِهِ ... والحِلْمُ آوِنةً فى النَّاسِ مَعْدُومُ[2]
وكلُّ حِصْنٍ وإنْ طالَتْ سلامَتُهُ ... على دعائمِهِ لا بدَّ مهدومُ
ومَنْ تعرَّضَ للغِرْبانِ يَزْجُرُها ... عَلَى سَلامَتِهِ لا بُدَّ مشئومُ
ومُطْعَمُ الغُنْمِ يَوْمَ الغُنْمِ مُطْعَمُهُ ... أنَّى تَوَجَّهَ والمحرومُ مَحْرُومُ

وقال عدىُّ بن زيد العبادىّ ، وهو أحدُ من قد حُمِل على شعره الحَمْلُ الكثير ، ولأهل الحِيرة بشعره عنايةٌ ، وقال أبو زيدٍ النحوىّ : «لو تمنَّيت أنْ أقولَ الشِّعر ماقلتُ إلاَّ شعرَ عدىِّ بن زَيد » :

---

(١) انظر ديوانه ١٢٩ والمفضليات (٢ : ١٩٧) .

(٢) الحلم : نقيض الجهل . وفى الأصل : « والعلم » صوابه فى الديوان والمفضليات .

كَفَى زاجراً للمرء أيَّامُ عُمرِهِ ۞ تَرُوحُ له بالواعظاتِ وتغتدى
فنفسَك فاحفَظْها من الغيِّ والرَّدَى ۞ مَتَى تُغْوِها تُغْوِ الذى بك يقتدِى
فإنْ كانت النَّعماء عندكَ لامرئٍ ۞ فمِثلاً بِهَا فاجْزِ المُطالب أوزِدِ(١)
عَن المرء لاتَسألْ وأبصِرْ قرينَه ۞ فإنَّ القرينَ بالمقارَنِ مُقتدِى(٢)
ستُدرِكُ مِن ذى الجَهْل حَقَّك كلَّه ۞ بحِلمك فى رِفْقٍ ولَمَّا تَشَدَّدِ
وظُلمُ ذوِى القُرْبَى أشدُّ عداوةً ۞ على المرء من وَقْعِ الحُسام المهنَّدِ(٣)
وفى كثرةِ الأيدى عن الظُّلْمِ زاجرٌ ۞ إذا خَطَرَتْ أيدى الرِّجال بمشهدِ

قال المهلب بن أبى صُفرة : « عجِبْتُ لمن يشترى المماليكَ بمالِهِ كيف لايشترى الأحرارَ بمعروفه » .

وقال عبدالله بنُ جعفرٍ لرجلٍ يُوصِيه : «عليك بصُحبةِ مَنْ إنْ صحِبْتَهُ زَانَك ، وإنْ تركتَه شانَكَ ؛ إن سألتَه أعطاك ، وإن تركتَه ابتداك ؛ إنْ رأى منك سيِّئة سدَّها ، وإن رأى حسنةً عدَّها ؛ إن وَعدَك لم يُجْرِضْك(٤) وإن ألجئْتَ إليه لم يرفُضْك » .

وسأل يزيدَ بنَ المهلَّب رجلٌ من أصحابه حاجةً وذَكَرَ له خَلَّة، فقال : أوجِّهُ بها إليك . ثمَّ حَمَلَ إليه خمسين ألفَ درهم ، ثم كتب إليه : « قد وجَّهتُ إليك بخمسينَ ألفَ دِرهم ، لم أذكرْها تمنُّنا ولم أدعْ ذكرها تجبُّرا ، ولم أقطعْ بها لك رَجاء ، ولم أرِدْ بها منك جزاء » .

---

(١) فى الأصل : « فثلاثها فاجز المطالب أو رد » . وقد جاء على الصواب الذى أثبت فى حماسة البحترى ٢٥٣ .

(٢) فى حماسة البحترى ٣٣٦ : « وسل عن قرينه » .

(٣) نسب هذا البيت إلى طرفة فى معلقته . وقال التبريزى : «قيل إن هذا البيت لعدى ابن زيد العبادى وليس من هذه القصيدة» .

(٤) أجرضه : أغصه بريقه بالهم والحزن . وفى الأصل : «لم يحرضك» والإحراض: الإفساد .

وقيل[١] ليزيد : ما أحسنُ ما مُدِحتَ به ؟ قال : قول زياد الأعجم :

فتًى زادهُ السُّلطان فى الحمدِ رَغبةً ... إذا غيَّرَ السّلطانُ كلَّ خليلِ[٢]

شبيهٌ بقول الآخر :

فـــتى زادَهُ عزَّ المَهابةِ ذِلَّةً ... وكلّ عزيزٍ عندَه متواضعُ[٣]

وقال الآخر – وهو يدخل فى باب الشكر :

شوقِى إليكَ يا أبا العبّاسِ ... طـيَّرَ ما أبْليتَنِى نُعاسِى[٤]

إنّى لِمعروفكَ غـــيرُ ناسِ ... والشُّكرُ قِدْماً فى خيار النّاسِ

أبيات لبعض الشعراء العميان

أنشدنى ابنُ الأعرابىِّ لرجلٍ من بنى قُرَيع يرثى عينَه ويذكر طبيباً :

لقد طُفتُ شرقَ البلادِ وغَرْبَها ... فأعْيــا علىَّ الطّبُّ والمتطبِّبُ

يقولون إسماعيلُ نَقّابُ أعــينٍ ... وما خــير عَيْنٍ بعد نَقْبٍ بمِنْقَبِ

يقولون ماءٌ طيِّبٌ خان عينَه ... وما ماءُ عــينٍ خانَ عيناً بطيِّبِ

ولــكنّه أيّامَ أنظُرُ طيِّبٌ ... بعينَىْ قُطامِىٍّ علا فوقَ مَرْقَبِ[٥]

أحَمَّ حديدِ الطَّرْف ما خان عينَه ... شآبيبُ ماء المُزْنة المتصبِّبِ

كأنّ ابنَ حَجلٍ مدَّ فضلُ جناحه ... على ماء إنسانيهما ماءَ طحلبِ

وقال الخُرَيمىّ :

كفى حزَناً أن لا أزورَ أحبّتى ... من القُربِ إلاّ بالتّــكلُّفِ والجهدِ

---

(١) فى الأصل : « فقيل » .

(٢) فى البيان (١ : ٦٦) : « فى الود رغبة » .

(٣) البيت فى البيان (٢ : ١٦٩) .

(٤) أبلاه : صنع به صنيعا . قال زهير :

جزى الله بالإحسان ما فعلا بكم ... فأبلاهما خير البلاء الذى يبلو

(٥) القطامى ، بضم القاف وفتحها : الصقر .

وأنى إذا حُيِّيتُ ناجَيتُ قائدِى ... ليَعدِلَنى قبل الإجابة فى الردّ[١]

إذا ماأفاضُوا فى الحديث تقاصَرَتْ ... بِيَ النفسُ حتّى ماأُحِيرَ وما أُبْدِى

كأنِّى غريبٌ بينهم لستُ منهمُ ... فإنْ لم يحولُوا عن وفاء ولا عهدِ

أقاسى خطوباً لا يقــــوم بثِقلها ... من الناسِ إلا كلُّ ذِى مِرّةٍ جَلْدِ

باب

فى الحاجة

قال ابنُ الأعرابىّ : قيل للأحنف : أتيناك فى حاجة لاتَرزَؤك ولا تنكؤك . فقال : « ليس مِثلى يُؤتَى فى حاجةٍ لاتَرزأُ ولا تنكأُ » .

وقال أعرابىٌّ لرجل : « إنِّى لم أصُنْ وجْهى عن الطَّلَب إليك ، فصُنْ وجهَك عن رَدِّى ، وأنزِلْنِى مِنْ كرمك بحيثُ وَجْهى مِن رجائك » .

وقال أبو عقيل بن دُرُسْت : « لم يقضِ ذِمامَ التَّأميل ، ولم يَقُم بحُرمة الرَّجاء إلاَّ مَن أعطاها حقَّها ، ووفَّاها حظَّها ، وعرَف قَدْرَها ، وكيف يستبقِى النِّعمة فيها ، وكيف الشُّكرُ على أداء حقِّها ، بالبِشْر عند المسألة ، وقلّةِ التضجُّر عند المعاودة ، وتوكيدِ الضَّمان عند العِدَةِ ، وانتهازِ الفرصة عند القُدرة . ويكونُ النُّجح المعجل أحبَّ إليه من عُذرِ المَصْدَق[٢] ، وحتَّى يرى أنَّ حقَّك عليه فى بذْل وجهك إليه أكثرُ من حقِّه عليك فى تحقيق

---

(١) يقول : لا أعرف من أين يصدر صوت التحية ، وذلك لثقل السمع ، فأطلب من قائدى أن يوجهنى إلى جهة من حيانى لأرد تحيته . ومثله قول ذى الأصبع فى المعمرين ٩٠ :

لا أسمع الصوت حتى أستدير له ... ليلا وإن هو ناغانى به القمر

(٢) المصدق : الصدق ، مصدر ميمى .

أملك فيه ، ثم إيجاب سترها ، فإنّ سترَها هو المخبر عنها ، والدالُّ عليها ، والزّائد فى قدرها ، والمتولّى لنشرها[(١)] » .

وقال الشّاعر :

فإنّ إحياءها إماتتُها وإنّ منّا بها يكدّرُها[(٢)]

باب فى الوعد والوفاء به والخلف له

قال عمرو بن الحارث : « كنتُ متى شئتُ أن أجِدَ صفةَ من يَعِد ويُنجز وجدتُه ، فقد أعيانى من يعدُ ولا يُنجز[(٣)] » .

وقال أبو إسحاقَ النّظام: « كنّا نلهو بالأمانى ، ونَطيب أنفسًا بالمواعيد فذَهَبَ مَنْ يَعِدُ ، وقطعَتْنا الهمومُ عن فضول الأمانى » .

وقال الشّاعر :

قد بَلوناكَ بحمد اللّـــه إن أغنى البلاءُ[(٤)]

فإذا جُـــلُّ مواعيـــدِكَ والجَحدُ سواءُ

وقال أعرابىٌّ : « وعدُ الكريم نقدٌ وتعجيل ، ووعد اللئيم مَطلٌ وتعطيل »

---

(١) فى الأصل : « لبشرها » محرف .

(٢) البيت لعروة بن أذينة ، كما فى عيون الأخبار (٣ : ١٧٣) . وقبله :

لا تتركن ، إن صنيعة سلفت منك وإن كنت لا تصغرها
إلى امرئ ، أن تقول إن ذكرت عندك فى الجد لست أذكرها

(٣) الخبر فى عيون الأخبار (٣ : ١٤٤) وبعده : « قال : وكانوا يفعلون ولا يقولون فقد صاروا يقولون ويفعلون ، ثم صاروا يقولون ولا يفعلون ، ثم صاروا لا يقولون ولا يفعلون » .

(٤) البيتان بدون نسبة فى عيون الأخبار (٣ : ١٤٥) .

وذمّ أعرابىٌّ رجلاً فقال : «إذا أوْعَدَ(١) صدق ، و إذا وَعَدَ كَذَب ، ويغضَبُ قبل أن يُشتَم ، ويجزِم قبلَ أن يَعْلَمَ» .

وقال عبدُ الله بنُ قيس الرقيّات(٢) .

اختَرْتُ عبدَ العزيزِ مرتغِباً ... واللهُ لِلمرءِ خيرُ مَنْ قَسَمَا
مِن البهاليلِ مِنْ أُميَّةَ يَزْ ... دادُ إذا مامَدَحْتَه كَرَما
جاءت به حُرَّةٌ مهذَّبةٌ ... كلبيَّةٌ كان بيتُها دِعَما
هُنَّ العَرانينُ من قضاعةَ أمْـ ... ـثالُ بنيهنَّ تمنَع الذِّمَما(٣)
تُكِنُّهُ خِرْقةُ الدِّرَفْس من الشَّمْـ ... ـسِ كَلَيْثٍ يفرِّج الأَجَما(٤)
يقُوتُ شِبْلَين فى مَغارِها ... قد ناهَزَا للفِطام أو فُطِما(٥)
لم يأتِ يومٌ إلا وعندَهُما ... لحمُ رجال أو يوْلَغان دَما(٦)
فذاك أشبهْتَهُ ابنَ نَيْلَى ولٰـ ... ـكنّ ابنَ ليلَى يفوقُه شِيَما(٧)

---

(١) فى الأصل : «وعد» .

(٢) من قصيدة فى ديوانه ص ٢٥٣ — ٢٦٠ يمدح بها عبد العزيز بن مروان ، مطلعها :

طرقته أسماء أم حلما ... أم لم تكن من رحالنا أمما

(٣) فى الأصل : «بينهن» صوابه من الديوان .

(٤) فى شرح الديوان : «يريد الراية» يعنى خرقة الدرفس .

(٥) فى الديوان : «شبلين عند معارقة» . وفى الأغانى (٤ : ١٦٠) : «ترضع شبلين وسط غيلهما» . وفى اللسان (ولغ) : «مرضع شبلين» . وقد نسب البيت وتاليه فى اللسان إلى ابن هرمة : قال «ونسبه الجوهرى لأبى زبيد الطائى» . وهذا وهم فى النسبة والرواية .

(٦) يقال ولغ يولغ ، مثل وجل يوجل . وروى : «يألغان دماء» ، ولذلك قصة ذكرها صاحب الأغانى . ورواية الأغانى واللسان : «ماس يوم إلا وعندهما» .

(٧) هذا على الالتفات . ورواية الديوان : «فذاك شبهته ابن ليلى» يقال شبهه إياه وشبهه به .

مَنْ يَهَبُ البُخْتَ والوَلائدَ كالـ ... ـغِزْلانِ والخيلَ تعلُكُ اللُّجُما

يُنكِرُ «لا» إنَّ «لا» لَمُنكَرَةٌ ... مِنْ فيـــه إلاَّ مُحالِفاً نَعَما

وقال زِيادَة بن زيد[1] :

إذا فُرجَةٌ سدَّتْ عليكَ فروجَها ... فأنتَ مُلاقٍ لا مَحالةَ مَذهَبا[2]

فلم يجعل اللهُ الأُمورَ إذا اعتدت ... عليك رِتاجاً لا يُرامُ مضبَّبا

كفاكَ الغِنى يوماً إذا ما تقلَّبتْ ... به صَيْرفيّاتُ الأمورِ تقلُّبا

وإنى لمزْوَرٌّ قليـــلٌ تقلُّبى ... لوجهِ امرئٍ يوماً إذا ما تجنَّبا[3]

قليلٌ ليوم الشَّرِّ وَيْكَ تعرُّضى ... فإنْ حلَّ يوما قلتُ للشَّرِّ مَرحَبا

مَلَكْنا ولم نُملَكْ وقُدْنا ولم نُقَدْ ... وكان لنا حقًّا على الناس تُرتُبا[4]

وقال هُدْبة العُذْرِىُّ[5] :

فأُبْ بى إلى خيرٍ فقد فاتنى الصِّبا ... وصِيحَ بِرَيْعان الشَّباب فنفَّرا[6]

أُمورٌ وألوانٌ وحالٌ تقلَّبتْ ... بنا وزمانٌ عُرْفُه قد تنكَّرا

أُصِبْنا بما لو أنَّ سَلْمى أصابَهُ ... لَسُهِّلَ من أركانه ما توعَّرا[7]

---

(١) فى الأصـل : « زياد بن زيد » تحريف . وزيادة بن زيد ، هو ابن أخت هدبة ابن الخشرم ، كما فى اللسان (رتب) وقد قتله هدبة كما فى الأغانى (٢١ : ١٧٢) .

(٢) فى الأغانى (٢١ : ١٧٢) : « وإن وجهة سدت عليك فروجها » .

(٣) فى حماسة البحترى ٨٥ والأغانى : « وإنى لمراض قليل تعرضى » .

(٤) ترتبا ، أى ثابتا ، كما فى اللسان (رتب) عند إنشاد البيت . ويروى كما فى اللسان : « فضل على الناس ترتبا » ومعناه فى هذه الرواية : على الناس جميعا . ورواية الأغانى : « كأن لنا حقا » .

(٥) هو هدبة بن خشرم ، شـاعر فصيح من بادية الحجاز ، وكان راوية الحطيئة . وهو وإخوته حوط وسيحان والواسع ، وأمه حية بنت أبى بكر بن أبى حية ، شعراء جميعا . وكان بينه وبين زيادة بن زيد مناقضات ومهاداة بالأشـعار انتهت بقتل هدبة لزيادة . انظر الأغانى (٢١ : ١٦٩ — ١٧٣) .

(٦) فى الأصل : « فأوبنى إلى خير » تحريف .

(٧) سلمى : أحد جبلى طيئ ، وهما أجأ وسلمى .

فإن ننجُ من أهوالِ ماخاف قومُنا … علينا فإنَّ اللهَ ما شاء يَسَّرَا
وإنْ غالَنا دهرٌ فقد غال قبلَنا … ملوكَ بنى نَصْرٍ وكِسرى وقيصَرَا(١)
وذى تَيرب قــد عابنى لينالَنى … فأعيا مَداهُ عن مَدَاىَ فقصَّرَا(٢)
فإن يكُ دَهــرٌ نابنى فأصابَنى … بريبٍ فإنْ تُشْوِى الحوادثُ مَعْشَرا(٣)
فلستُ إذا الضَّرَّاءُ نابَتْ بِجُبَّأٍ … ولا جَزِعٍ إنْ كان دَهرٌ تغيَّرَا

وكان هُدبةُ هذا من شياطين عُذْرة ، وهذا شعرُه كما ترى ، وقد أُمِرَ بضرب عنقه وشدِّ خِناقه . وقليلاً ما ترى مثلَ هذا الشعرِ عند مثلِ هذه الحال ؛ وإنَّ امرأً مجتمعَ القلب ، صحيحَ الفكر ، كثيرَ الرين(٤) ، عضْبَ اللِّسان فى مثل هذه الحال ، لتَأهيلكَ به مطلقاً غير موثق ، وادعاً غير خائف. ونعوذ بالله من امتحان الأخيار .

هو القائلُ فى تلك الحال :

فلا تعذُلينى لا أرى الدَّهرَ مُعْتِباً … إذا مامضى يومٌ ولا اللَّوْمُ مُرْجِعا
ولكنْ أرى أنَّ الفتى عُرضةُ الرَّدَى … ولاقِى المنايا مُصعِدا ومفرِّعا(٥)

---

(١) فى العمدة (٢ : ١٧٨) عند ذكر عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة اللخمى أحد ملوك الحيرة : « ويقال إن نصرا هـذا هو الساطرون صاحب الحضر . وهو جرمقانى من أهل الموصل ، وقيل هو من أشلاء قنص بن معد بن عدنان » .

(٢) التيرب ، بالفتح : الشر والنميمة . وفى الأصل : « وذى يترب » محرف .

(٣) تشوى : تخطئ ولا تصيب . و « إن » قبلها نافية . وبين النحويين خلاف فى نحو هذا التعبير ، فقال بعضهم : لا تأتى إن النافية إلا وبعدها « إلا » . ورد عليهم بقوله تعالى : (إن أدرى أقريب)، و(إن أدرى لعله فتنة)، و(فيما إن مكناكم فيه) . انظر ابن هشام فى المغنى .

(٤) كذا فى الأصل . ولعلها : « الزبن » أى الدفع .

(٥) مفرعا ، هنا بمعنى منحدرا . وفى الأصل « مفزعا » تحريف . والتفريع من الأضداد ؛ يقال فرعت فى الجبل ، إذا صعدت ، وفرعت أى انحدرت . انظر اللسان (فرع ١١٩) والأضداد ٢٧٥ .

وإنَّ التُّقَى خَــيرُ المتاعِ وإنما ... نَصيبُ الفتى مِن ماله ماتمتَّعا(١)
فلا تَنْـكِحِى إنْ فرّقَ الدّهرُ بيننا ... أغمَّ القفا والوجهِ ليس بأنْزَعا(٢)
ضروبا لِلَحْييه على عَظْمِ زَوْرِهِ ... إذا القوم هَشُّوا للفَعَال تقنّعا(٣)
وأُخــرى إذا مازارَ بيتَكِ زائرٌ ... زِيالكِ يوماً كان كالدَّهرِ أجمعا(٤)
سأذكرُ من نفسِي خلائقَ جمّةً ... ومجْداً قــديماً طالما قد ترفَّعا
فــلم أرَ مثلى كاوياً لدوائِهِ ... ولا قاطعاً عِرقاً سَنُونا وأخْدَعا(٥)
وما كنت ممَّن أرَّثَ الشرَّ بينَهم ... ولا حين جدَّ الشَّرُّ مِمَّنْ تخشَّعا
وكنتُ أرى ذا الضِّغنِ ممّن يكيدنى ... إذا ما رآنى فاتِرَ الطَّرفِ أخْشَعا

وما قرأتُ فى الشِّعر كشعر عبد يغوث بن صَلاءة الحارثىّ ، وطرفة ابن العَبْد ، وهدبة هــذا ، فإنَّ شِعرَهم فى الخوفِ لا يقصِّر عن شِعرِهم فى الأمْن(٦) . وهذا قليلٌ جدًّا .

---

(١) البيت فى حماسة البحترى ٢٥٠ .

(٢) البيت فى اللسان (١٠ : ٢٣٠) . وقد روى فى حماسة البحترى ١٨٩ من بيتين هما :

فلا تنكحى إن فرق الدهر بيننا ... أكيبد مبطان الضحى غير أروعا
كليلا سوى ما نال من أمر ضرسه ... أغم القفا والوجــه ليس بأنزعا

وللشعر قصــة فى الأغانى (٢١ : ١٧٥) والخزانة (٤ : ٨٤ — ٨٨) . وبعض الأبيات فى عيون الأخبار (٤ : ١٥) بدون نسبة .

(٣) فى الأصل : « لحيه » صوابه فى حماسة البحترى ١٨٩ . وبعد البيت فى حماسة البحترى :

أصيهب لا يرضيك فى الحى قاعدا ... إذا مشى أو قال قولا تبلتعا
وكونى حبيبا أو لأروع ماجد ... إذا ضن أوباش الرجال تبرعا
وصول وذى أكرومة وحية ... وصبر إذا ما الدهر عض فأوجعا

(٤) كذا فى الأصل .

(٥) فى الأصل : « عرقا » بالفاء ، تحريف . والسنون ، بالفتح : وصف من سن الماء أى أرسله من غير تفريق ، فإذا فرقه بالصب قيــل « شن » بالشين المعجمة . والسنون ، لم يذكر فى المعاجم .

(٦) نحو هذا الكلام فى البيان والتبيين (٢ : ١٩٣) : . أما شعر بن عبد يغوث =

من أشعار الأعراب

أنشدنى ابنُ الأعرابىِّ فى معنى قوله :

* كمَخْضِ الماءِ ليس له إتاء[1] *

وما كان مثلى يعتريكَ رجاؤه ولكن أساءتْ حِمَّةٌ مِن فتى مَحْضِ
وإنِّى وإشرافى إليك بهمَّتى لكالمُرتجى زُبداً من الماء بالمخضِ

وقال الآخر فى مثل قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة :

فلولا اتّقاءُ الله قلتُ مقالةً تَسيرِ مع الرُّكبان أبْرَدُها يَغْلِى
أبِنْ لى فكنْ مِثْلِى أوَ ابْتغ صاحباً كمثلكَ ، إنِّى مُبْتغٍ صاحباً مِثْلِى[2]
ولا يلبثُ الأصحابُ أن يتفرَّقوا إذا لم يؤلِّف رُوحَ شكلٍ إلى شكلِ

فقال :

لكلِّ امرئٍ شكلٌ يقرُّ بعينِه وقرّةُ عينِ الفَسْلِ أن يتبع الفَسْلا[3]
وتعرف فى جُودِ امرئٍ جُودَ خالِه ويَنْذُلُ أنْ تلقَى أخَا أمّهٍ نَذْلاَ[4]

وفى غير هذا الباب يقول الجَرَنْفَس اللص[5] :

= فإنه يعنى به القصيدة التى رواها الضبى فى المفضليات (١ : ١٥٤) . وانظر الأمالى (٣ : ١٣٢) والأغانى (١٥ : ٧٢) والنقائض ١٥٣ . وأما شعر طرفة فلم أقف عليه .

(١) عجز بيت للربيع بن أبى الحقيق رواه الجاحظ فى البيان (٣ : ١١٣) والحيوان (٣ : ٦٨) . وصدره كما فيها وكما فى اللسان (١٨ : ١٩) :

* وبعض القول ليس له عناج *

(٢) فى الأصل : « أو انبع . . . فإنى متبع » والوجه ما أثبت .

(٣) الفسل ، بالفتح : الرذل النذل الذى لامروءة له ولا جلد . وفى الأصل : « الفيل أن يتبع الفيلا » تحريف . وقد جاء على الصواب الذى أثبت فى اللسان (١٤ : ١٧٩) .

(٤) فى الأصل : « وينذل أن تتق » صوابه ما أثبت مطابقا ما فى اللسان .

(٥) الجرنفس ، بالجيم والراء المفتوحتين وآخره سين مهملة ، ذكره ابن دريد فى الاشتقاق ٢٢٣ .

أبلغْ بنى ثُعَلٍ عــنّى مُغَلْغَلةً ... فقد أتى لكَ من نِيءٍ بإنْضاجِ

أمّا النهـــارَ ففى قَيْدٍ وسِلسلةٍ ... والليلَ فى جوفِ منحوتٍ من السّاجِ

وقال بعضُ اللصوص :

أَقَيْدٌ وحَبْسٌ واغتِرابٌ وفرقةٌ ... وهَجْرُ حبيبٍ ، إنّ ذا لَعظيمُ(١)

وإنّ امرأً دامت مَواثيقُ وَدِّهِ ... على عُشْرِ مابى إنّه لَكريمُ

ومن المراثى المستحسَنة قولُ حارثة بن بدر الغُـــدانىّ ، يرثى زياداً ابنَ أبيه(٢) :

أبا المغـــيرةِ والدُّنيا مغيِّرةٌ(٣) ... وإنّ مَن غرّتِ الدُّنيا لَمغرورُ

قد كانَ عِندكَ للمعروف معرِفةٌ ... وكان عندك للنَّكراء تنكيرُ

وكنتَ تُؤْتَى فتُؤْتِى الخيرَ من سعةٍ ... إن كان قبرُكَ أمسى وهو مهجورُ(٤)

صلّى الإلهُ على قـــبرٍ بمَحْنيةٍ ... دُونَ الثُّويّةِ يسفِى فوقَه المورُ(٥)

وأنشد ابنُ الأعرابىّ :

وما حسَبُ الأقوامِ إلاّ فِعالُهم ... ورُبّ حَسيبِ الاصلِ غيرُ حَسيبِ

---

(١) البيتان فى الحماسة (٢ : ١١١) برواية أخرى .

(٢) الأبيات فى زهر الآداب (٤ : ٥٧) والأغانى (٢١ : ١٩) ومعجم البلدان (الثوية) .

(٣) فى زهر الآداب فقط : «مفجعة» . وفى معجم البلدان : «وإن من غر بالدنيا» .

(٤) فى زهر الآداب : « وكنت تغشى فتؤتى المال فى سعة » وفى الأغانى : « تؤتى فتعطى الخير عن سعة » وفى زهر الآداب : « فالآن بابك أمسى » وفى الأغانى : « فاليوم بابك دون الهجر مهجور » .

(٥) الثوية ، بفتح الثاء وضمها : موضع قريب من الـكوفة . وفى معجم البلدان وزهر الآداب : « على قبر وطهره * عند الثوية » . وفى الأغانى :

إن الرزية فى قبر بمنزلة ... يجرى عليها بظهر الكوفة المور

وقال الآخرُ فى مثله :

ليس الكريمُ بِمَنْ يدنِّسُ عِرضَه ... وَيَرَى مُرُوءتَه تكون بِمَنْ مضَى
حتَّى يَشِيدَ بناءهم ببنائه ... ويَزِينَ صالحَ ما أتوْه بما أتَى

وقال عبدالله بن معاويةَ بنِ عبد الله بن جعفر :

لَسنا وإنْ كرُمَتْ أوائلُنا ... يوماً على الأحسابِ نتّكِلُ
نَبْنِي كما كانت أوائلُنا ... تَبْنِي ونَفْعلُ مِثْلَ ما فعَلُوا[1]

وقال عُمر بنُ الخطّاب : «كفى بالمرء عَيبًا أن تكون فيه خَلّةٌ من ثلاث : أن يبدو له مِن أخيه مايخفى عليه من نفسه ، أو يَعيبَ شيئًا ثم يأتى مثله ، أو يؤذِىَ جليسَه فيما لا يعنيه » .

ووصف أعرابىٌّ رجُلا فقال : «آخَذُ النّاسِ بما به أمرَ : وأتركُهم لما عنه زَجَرَ » .

مَن هجا امرأته

قدم أعرابىٌّ لحلَف بطلاقِ امرأتَيه على شىء ، فحنث ثمّ هرب فقال :

لو يعلمُ الفرَماءُ منزلَتَيْهما ... ما خوّفونى بالطّلاقِ العاجلِ
قد مَلَّتا ومَلِلْتُ من وجْهَيهما ... عجفاءُ مرْضِعةٌ وأُخْرى حاملُ

وقال الأقرع بن مُعاذ القُشَيرىّ :

لَعمرُكَ إنَّ المسّ من أُمِّ خالدٍ ... إلىَّ وإنْ ضاجَعْتُها لَبغيضُ
إذا بُزَّ عنها ثوبُها فكأنما ... على الثّوبِ نملٌ عاذم وبعوضُ[2]

---

(٤) البيتان رويا فى حماسة أبى تمام (٢ : ٣٠٥) منسوبين إلى المتوكل الليثى .

(٥) فى الأصل : « إذا قرشتا » . عاذم : ذو عض . وفى الأصل : « عازم » .

وقال أعرابيٌّ يتألّه ، لامرأته . . ما الأعرابُ وهذا المذهبَ ؛ ولكن كذا وقَعَ ، والله أعلمُ بكثيرٍ من الرِّواية :

لولا مخافةُ ربِّى أنْ يُعاقِبَنى ... وأنَّها عِـــدَّةٌ تُقضَى وأوتارُ
لقد جعلتُ مَكانَ الطَّوقِ ذا شُطَبٍ ... وتُبْتُ بعـــدُ فإنَّ اللهَ غفَّارُ

وقال بعض المولَّدين :

تجمَّزى للطَّلاقِ وانصرِفى ... ذاكِ جَزاءُ الجوامِحِ الشُّمُسِ[1]

[فأجابته المرأة[2]] :

لَلَيْلَتى حين بِتُّ طالقـــةً ... ألذُّ عِندى من لَيـــلة العُرُسِ

وأنشدنى ابنُ الأعرابىِّ لأعرابىٍّ :

قد قرَنونى بعجوزٍ جحْمَرِشْ ... ناتيةِ النَّابِ كَزُومٍ قَنفَرِشْ[3]
كأنما دَلالُها على الفُرُشْ[4] ... مِنْ آخِرِ اللَّيلِ كلابٌ تهترِشْ
وجلدُها مِنْ حَكِّها القَملَ بَرِشْ ... كأنَّ طىَّ بطنِها طىُّ كَرِش
قَمْاءُ فى حِضْنِ الضَّجيعِ تهتَمِشْ ... تخشْخُشَ الضَّبِّ دنا لمُحترِشْ

وقال رجلٌ من بنى نُمَيرٍ لامرأته ، وكانت حَضَرية :

لَعمرِى لَأعرابيَّـــةٌ بدويةٌ ... تظلُّ بروقَىْ بيتِها الرِّيحُ تخفقُ
أحبُّ إلينا من ضِـــنَاكٍ ضِفَنَّةٍ ... إذا رُفِعتْ عنها المراوِحُ تَعرق[5]
كبِطِّيخة البُستان ظاهرُ جِلدِها ... صحيحٌ ويبدُو داؤُها حين تُفتَقُ

(١) جمحت المرأة : خرجت من بيت زوجها إلى أهلها قبل أن يطلقها . وفى الأصل : «الجوانح» تحريف . والشمس : جمع شموس ، وهى النفور .
(٢) ليستا فى الأصل . وبهما يصح الكلام .
(٣) الكزوم : الهرمة المسنة . والقنفرش : العجوز الكبيرة .
(٤) دلالها ، أى ما يظهر لها من صوت حين تبدى دلالها .
(٥) الضناك ، بالكسر : الضخمة الثقيلة العجيزة . والضفنة : الرخوة الضخمة .

وأنشدنى محمد بن يَسِير[1] فى امرأته أو فى غيرها :

أُنبئتُ أنَّ فتاةً كنتُ أخطبُها عُرقوبُها مِثلُ شَهرِ الصَّومِ فى الطولِ
أسنانُها مائةٌ أو زِدْن واحدةً كأنَّها حين يبدو وَجْهُها غُولُ

وإنما أكتب لك من كلِّ بابٍ طَرَفاً ؛ لأنَّ إخراجَك مِن بابٍ إلى بابٍ أبقى لنشاطك . ولو كتبتُه بكمالِه لكان أكملَ وأنبل ، ولكن أخافُ التَّطْويل ، وأنتَ جديرٌ أن تعرف بالجملةِ التَّفصيلَ ، والآخرَ بالأوَّل .

مَن هجتْه زوجته

قالت عصيمة الحنظليّة :

كأنَّ الدارَ حين تكونُ فيها علينا حُفْرَةٌ مُلِئَتْ دُخانا
فليتَك فى سَفِين بنى عِبادٍ فتصبحَ لا نَراكَ ولا تَرانا[2]
فلو أنَّ البُدور قَبِلْنَ يوماً لقد أعطيتُها مائةً هِجانا

وقالت امرأةٌ من بنى ضبة لزوجها :

تراهُ أهْوَجَ ملعوناً خليقتُهُ يمشى على مِثْلِ معوَجِّ العراجينِ
وما دعوتُ عليه قطُّ ألعنُهُ إلاّ وآخَرُ يَتْلُوهُ بآمينِ
فليتَه كان أرضَ الرُّوم مَنزِلَه وأنَّنى قبلَه صيِّرتُ بالصِّينِ[3]

وقالت جرة الأزدية لزوجها أبى وائل :

---

(١) فى الأصل : « بشير » تحريف . وانظر البيت الأول مما يلى فى عيون الأخبار (٤ : ٣١٧) .

(٢) فى الأصل : « فتصبح لا نزال » محرف .

(٣) إلى هنا ينتهى القسم الأول من التكملة وهو نهاية ص١٥٦ من نسخة كوبريلى . وتبدأ بعده بقية التكملة من منتصف ص١١ من نسخة كوبريلى إلى ما يقرب من نهاية ص ١٧ . علة هذا الاضطراب تهاون الناسخ أو جامع نسخة أصل الناسخ . وقد رددت الوضع لى نصابه بهذا الترتيب .

لعمرك ما إن أبو وائلٍ ... إذا ذُكِرَ القومُ بالطائلِ
فياليتنى لم أكُنْ عِرسَه ... وعُوجِلتُ بالحدَث العاجلِ

وقالت امرأةٌ من بنى زياد الحارثى[1] :

فلا تأمُرُونى بالتزوُّج إنّنى ... أريد كرامَ النَّاس أو أتبتَّلُ
أريد فتًى لا يملأ الهولُ صدرَه ... يُرِيحُ عليه حِلمُه حين يجهلُ
كَمثل الفتَى الجَنْدِ الطَّويل إذا غَدا ... كعالية الرُّمح الطويل أو أطوَلُ

وقالت امرأةٌ من باهلة[2] :

أحبُّ الفتى ينفى الفواحشَ سمعُه ... كأنَّ به عن كلِّ فاحشةٍ وَقْرَا
سليمُ دَواعِى الصَّدرِ لا باسطٌ أذًى ... ولا مانعٌ خيراً ولا قائلٌ هُجْرا
كَمثل الفتى الذُّهْلِيِّ تحسَبُ وجهَهُ ... إذا ما بدا فى ظلمةٍ طالعاً بَدْرا

وقال لبيد بن ربيعة :

إنما يحفظُ التُّقَى الأبرارُ ... وإلى الله يسـتقرُّ القَرارُ
وإلى الله تُرجَعُون وعِندَ ... اللهِ ورْدُ الامورِ والإصدارُ
إنْ يكنْ فى الحياة خيرٌ فقد أُنْـ ... ـظِرتُ لو كان ينفع الإنظارُ
عشْتُ دهراً فلن يدوم على الأيَّـامِ إلاَّ يَرَمْرَمٌ وتِعَارُ[3]

وأنشدنى الأصمعيُّ قال : أنشدنى رجلٌ، ولم يسمّهِ :

إذا ما بَدَا عمرٌو بدَتْ منه صورةٌ ... تدلُّ على مكنُونِهِ حين يُقْبِلُ
بياضُ خُراسانٍ ولُكْنَةُ فارسٍ ... وجُثَّةُ رُومِىٍّ وشَعْرٌ مُفَلْفَلُ
لقد ألَّفَتْ أعضاء عمرٍو عِصابةٌ ... يدلُّ عليها آخِرَ القَوْمِ أوَّلُ

(١) كذا فى الأصل .
(٢) الأبيات نسبت فى الحماسة (٢ : ١٦) إلى سالم بن وابصة .
(٣) الأبيات فى ديوان لبيد ص ١٠ — ١٣ طبع فينا سنة ١٨٨٠ . ويرمرم وتعار بكسر التاء : جبلان فى بلاد بنى قيس . وفى الأصل : « يدمدم ويبار » تحريف .

وقالت أخت ذى الرُّمَّة ترثيه (١) :

تعزَّيتُ عن أوفَى بغيلانَ بعده عَزاء وجفنُ العينِ مَلآنُ مُترَعُ
ولمْ تُنسِنِى أوفَى المصيباتُ بعْدَه ولكنَّ نَكْءَ القَرْحِ بالقَرْحِ أوجَعُ

وذو الرُّمَّة القائل : «إذا قلت كأنَّ فلم أجِدْ مخرَجًا فقطع اللهُ لِسانِى (٢)» .

وأنشد :

لا أتَّقِى حَسَكَ الضَّغائنِ بالرُّقَى فِعْلَ الذَّليلِ ولو بَقِيتُ وحِيدا
لكنْ أعِدُّ لها ضغائنَ مِثلَها حتَّى أداوِىَ بالحُقودِ حُقودا
كالخمرِ خَيرُ دوائها منها بها تَشْفِى السَّقيمَ وتُبْرِئُ المنجودا (٣)

فأخذ الحَكَمِىُّ هذا فقال :

وكأسٍ شرِبْتُ على لذَّةٍ وأخرَى تداوَيْتُ منها بها

وقال ابنُ هَرْمة :

إنَّ أياديك عنـدى غيرُ واحدةٍ جلَّتْ عن الوَصْف والإحصاء والعَدَدِ
وليسَ منها يدٌ إلاَّ وأنتَ بها مُستوجِبُ الشُّكرِ منِّى آخِرَ الأبَدِ

وقال الآخر :

سأشكُرُ ما أبْقانِىَ اللهُ خالدًا كشُكْرِى، ولا يَدْرِى، علىَّ بنَ ثابتِ
حَمَلْتُ عليه مُثقَلًا فأطاقَهُ وحمَّلنى من شُكْرِه فوقَ طاقتِى

ورأى رجلٌ من النَّبِيط الحجّاجَ بعد موته فى منامه فقال : يا حجّاج ،

---

(١) الشعر منسوب فى الحماسة (١ : ٣٢٨) إلى هشام بن عقبة ، يرثى أخويه : أوفى ، وذا الرمة . والتحقيق أنه لمسعود أخى ذى الرمة يرثى ذا الرمة وابن عمه أوفى بن دلهم . انظر حواشى (٦ : ٥٠٦) .

(٢) يعنى بذلك قدرته على التشبيه .

(٣) المنجود : المكروب ، والمعيى .

إلامَ بصيَّرك ربُّك ؟ فقال : وماذا عليكَ يا ابنَ الزَّانية . فقال : ما سلِمْنا مِن قولك ميْتاً ، ولا مِن فِعلك حيًّا .

وقال الأشهب — رجلٌ من أهل الكوفة — يهجو نُوح بن درّاج :

إنَّ القيامةَ فيما أحسَبُ اقترَبَتْ   إذ صار حاكِمَنا نوحُ بنُ درّاجِ
لو كانَ حيًّا لهُ الحجّاجُ ما سلِمَتْ   صَحيحةً يدُه من نَقْش حَجّاجِ

وكان الحجّاج يَسِمُ أيدىَ النَّبَط علامةً يُعرَفُون بها .

وقال رجلٌ من طيِّئ لرجلٍ من فَزارة ، وكان الرجل يتوعّده :

فإنْ كان هذا يا فزارُ تجلُّبًا   لنَخْشَى فما نرتاع للجلباتِ
أالآن لما أنْ علا الشَّيبُ مَفرِقى   وصارت نُيُوب العَوْدِ مختلفاتِ
فلو أنَّ سافِىَ الرِّيح يحمِلُكُمْ قَذًى   لأعيُنِنا ما كنتمُ بقَذَاةِ
ألستَ فزاريًّا تبيَّنَ لؤمُه   إذا قام بين الأنفِ والسَّبَلاتِ
ترى الخيلَ تستحيي إذا ما رَكبتُمُ   عليها حَياءَ البُدَّنِ الخفِراتِ

وقال أبو عبيدة : « ما ينبغى أن يكون فى الدُّنيا مثلُ النظّام . سألتُه وهو صبىٌّ عن عَيب الزُّجاج ، فقال : سريع الكَسْر ، بطىء الجبر » .

ومَدَحوا النَّخلة عِنده ، فقال : « صعبةُ المرتقَى ، بعيدةُ المَهْوَى ، خشِنة المسّ ، قليلة الظلّ » .

وذكر النظّام الخليلَ بنَ أحمدَ فقالَ : « توحّدَ به العُجْبُ فأهلكَه ، وصوّر له الاستبدادُ صوابَ رأيه فتعاطَى ما لا يحسنُه ، ورامَ ما لا يناله ، وفتنَتْه دوائرُه التى لا يحتاج إليها غيره[1] » .

---

(١) يعنى دوائر العروض .

وكان أبو إسحاق إذا ذَكر الوهمَ لم يشكَّ فى جُنونه ، وفى اختلاط عقله . وهكذا كان الخليلُ ، وإن كان قد أحسَنَ فى شىء .

وَكان[1] النظَّام كثيراً ما ينشد :

فلو كنت أرضَى لا أبالكَ بالذى　　به الخامل الجَثّامُ فى الخفْض قانعُ
قُصِرتُ على أدْنَى الهموم وأصبحَتْ　　علىّ وعنــــدى للرِّجال صنائعُ

وقال المَرِيسىُّ[2] لأبى الهُذيل بحضرة المأمون ، بعد كلامٍ جرى : كيف ترى هذه السِّهام ؟ قال : ليِّنة كالزُّبد ، حُلْوة كالشُّهد ، فكيفَ ترى سهامَنا ؟ قال : ما أحسستُ بها . قال : لأنَّها صادفَتْ جَمادا .

وأُنشِدَ أبو الهذيل :

فإذا توهَّمَ أنْ يراها ناظرٌ　　ترَكَ التوهُّمُ وجْهَها مَكلُوما

فقال : « هذه تُنَاكُ بأيرٍ من خاطر » .

وأنشدنى أبو الهذيل بعد أن أنشد هذا البيت :

اسجُدْ لِقرد السَّوء فى زمانِهِ　　ولا تُسائِلْ عن خَبِىء شأنِهِ[3]

وقال آخر :

كم من كريمٍ ضعضَعَ الدّهرُ حالَهُ　　وكم مِنْ لئيمٍ أصبحَ اليومَ صاعِدا
وقد قال فى الأمثال فى النّاسِ واعظٌ　　بتجربةٍ أهْدَى النَّصيحةَ جاهِدا

---

(١) فى الأصل : « فكان » .

(٢) هو بشر بن غياث المريسى صاحب المريسية ، من مرجئة بغداد . ونسبته إلى « مريس » قرية بصعيد مصر ، أخذ عن أبى يوسف الفقه ، فلما أظهر قوله بخلق القرآن هجره أبو يوسف . توفى سنة ٢١٨ . انظر الفرق بين الفرق ١٩٢ ولسان الميزان (٢ : ٢٩) والسمعانى ٥٢٣ — ٥٢٤ وتاريخ بغداد ٣٥١٦ .

(٣) انظر شبيه هذا الرجز فى الحيوان (١ : ٣٥٥) واللسان (٢٠ : ٣٦) .

إذا دولةٌ للقِرد جاءت فكُنْ لَهُ ، وذلكَ من حُسن المداراة، ساجداً[١]
بذاك تُدارِيهِ ويُوشِكُ بعدَها تَراه إلى تُبَّانهِ الرَّثِّ عائدا

وأنشدني الأصمعيُّ في معنى قول الفرزدقِ :

* بِهِ لا بظَبيٍ بالصَّريمةِ أعفرا[٢] *

لرجل من بني القَين :

أقولُ لصالحٍ لمَّا دَهَتْهُ بَنَاتُ الدَّهرِ وَيْحَكَ ما دَهَاكا
شجاكَ العَزْلُ ، لا بأخِي نَوالٍ مِنَ الفتيان كُرْبةُ ما شجاكا
أتيتُك زائراً فرجَعتُ صِفراً كذاك تكونُ أوبةُ من أتاكا
أحبُّ لكَ السلامة يا ابنَ أمِّي وإنْ كنتَ امرأً بخِلَتْ يدَاكا
حِفاظاً للعشـــيرة لا بِعُرفٍ فإنَّ العُرف مَنَّ بهِ سِواكا

وقال الفرزدق :

ألا خبِّرُوني أيُّها الناس إنَّني سألتُ ومن يَسألْ عن العلم يَعْلمِ
سؤالَ امرئٍ لم يُغْفِل العلمَ صدرُه وما العالِم الواعي الأحاديثِ كالعمِي

وقال أيضاً :

ألم تعلموا يا آل طَوْعةَ أنما تَهِيجُ جَليلاتِ الأمور دقيقُها
سأُثْني على سعدٍ بما قد علِمتُه وخير أحاديثِ الرِّجال صدوقُها[٣]]

---

(١) انظر الحاشية السابقة .
(٢) صدره كما في الديوان ٢٤٦ :
* أقول له لما أتاني نعيه *
يخاطب مسكينا الدارمي ، وكان مسكين قد رثى زياد بن أبيه . وقبل البيت :
أتبكي امرأً من أهل ميسان كافراً ككسرى على عدانه أو كقيصرا
(٣) إلى هنا تنتهي التكملة التي بدأت في ص ١٤٧ .

قال أبو عثمان : ومما أكتب لك من الأخبار العجيبة[١] التي لا يجسر عليها إلاّ كلُّ وقاحٍ أخبارُ بعضِ العلماء وبعضِ من يؤلِّف الكتُب ويقرؤها ويدارس أهل الدبر[٢] ويتحفَّظها .

زعموا أنَّ الضبع تكون[٣] عاماً ذكراً وعاماً أنثى . وسمعتُ هذا من جماعةٍ منهم ممَّن لا أستجيز تسميته[٤] .

قال الفضل بن إسحاق : أنا رأيتُ العفْص والبلُّوط فى غصن واحد . قال : ومن العفْص ما يكونُ مثلَ الأُكَر . وقد خبَّرني بذلك غيرُه ، وهو يشبه[٥] تحوُّلَ الأنثى ذكراً والذَّكرِ أنثى .

وقد ذكرت العربُ فى أشعارها الضِّباعَ والذِّئابَ والسِّمعَ والعِسبار ، وجميعَ الوحوش والحشراتِ والأحناشِ[٦] ، وهم أخبَرُ الخلقِ بشأن الضَّبع ، فكيف تركَتْ ما هو أعجبُ وأطرف[٧] .

وقد ذكرت العلماء الضِّباعَ فى مواضعَ من الفُتْيا لم نرَ أحداً ذكرَ ذلك . وأولئك بأعيانهم هم الذين زعموا[٨] أن النمر الأنثى[٩] تضع فى مشيمةٍ واحدةٍ جرواً وفى عنقه أفعى قد تطوَّقَتْ به[١٠] . وإذا لم يأتِنا فى تحقيق

---

(١) فيما عدا ل : « ومما لا أكتبه لك من الأجناس العجيبة » محرف .
(٢) فيما عدا ل : « أهل البصرة » .
(٣) فيما عدا ل : « يكون » .
(٤) فيما عدا ل : « منهم من لا أستجيز تسميته » .
(٥) ل : « وهذا لا يشبه » .
(٦) ل : « والأخفاش » صوابها ما أثبت . وفيما عدا ل : « والأجناس » .
(٧) فيما عدا ل : « وأظرف » تحريف .
(٨) فيما عدا ل : « يزعمون » .
(٩) ط : « النمر » س ، هـ : « النمرة » .
(١٠) انظر ما سبق في (٤ : ٢٢٢ / ٦ : ٣٤) .

[هذه] الأخبارِ شعرٌ شائع ، أو خبرٌ مستفيض ، لم نلتفتْ لِفْتَه[١] . وقد أقررْنا أنّ للشِّقِنْقُورِ أيرَين ، وكذلك الحِرْذَون والضبّ[٢] ، حين وجدْناه ظاهراً على ألسنة الشُّعراء وحكاية الأطبّاء .

(خرطوم الفيل)

والخرطوم للفيلِ هو أنفُه ، ويقومُ مقام يده ومقام عنقه[٣] . والخَرْق الذى هُوَ فيه لا ينفذ ، وإنما هو وعاءٌ[٤] إذا ملأه الفيل من طعام أو ماء أولجه فى فيه[٥] ؛ لأنَّه قصير العُنق لا ينال ماء ولا مرعى . وإنّما صار ولدُ البُخْتيِّ من البُخْتيَّة جَزُور لحم لقِصَر عنقه ، ولعَجْزه عن تناوُل الماء والمرعَى .

(خرطوم البعوضة)

وللبعوضة خرطومٌ ، وهى تُشبَّهُ بالفيل[٦] إلّا أنّ خرطومها أجوفُ ، فإذا طعَن به فى جوف الإنسان والبهيمة فاستقَى به الدّمَ من جوفه قذفت به إلى جوفها[٧] ، فهو لها كالبلعوم والحلقوم .

وللذبابة خرطومٌ تخرجُه إذا أرادتِ الدَّم ، وتُدخِلُه إذا رَوِيَتْ . فأمّا

---

(١) فيما عدا ل : « لم نلتفت إليه » .

(٢) انظر ما مضى فى (٤ : ١٦٣ ، ١٦٤ / ٦ : ٥٧ ، ٧٢ ، ٧٥) .

(٣) كلمة « ومقام » ساقطة من ط .

(٤) فيما عدا ل : « وإنما هو وغل » مع زيادة واو بعدها ، تحريف .

(٥) ط : « أو فى لجه فيه » س : « أو لحبه فيه » ه : « أو لجه فيه » والصواب من ل .

(٦) فيما عدا ل : « وهو أشبه بالفيل » تحريف .

(٧) جعل الضمير فى صدر العبارة مذكرا ، عنى البعوض ، وفى آخرها مؤنثاً ، أراد البعوضة .

مَن سَمَّى (١) خطمَ الخنزيرِ والكلبِ والذِّئبِ خرطوماً فإنما ذلك على التشبيه . وكذلك يقولون لكلِّ طويل [الخطم (٢)] قصير اللَّحيَيْن .

وقد يقال للخَطْم خرطوم [على قوله : ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾] .

وأنشد [نا] ابنُ الأعرابي لفتًى من بني عامر :

ولا أقومُ على شيخي فأشتُمُهُ ولا أمرُّ على تلك الخراطيمِ

جعل سادةَ عشيرته في النَّادي [والمجالس] كالخراطيم والمقاديم والهوادِي . وعلى ذلك قالوا : بنو فلانٍ [أنفُ بني فلانٍ و] رؤوسُهم وخَراطيمُهم . ومعنى العامريِّ الذي ذهب إليه في شعره كأنَّه عظَّم المشْيَخَة أن يمرَّ بهم (٣) . وقد قال الشَّاعر :

* هم الأنفُ المقدَّمُ والسَّنامُ (٤) *

والفيلُ والببْرُ ، والطَّاوس والببْغا ، والدَّجاج السِّنديُّ ، والكركدَّن ، مما خصَّ الله به الهندَ . وقد عدَّد ذلك مطيعُ بن إياسٍ ، حين خاطب جاريةً له [كانت] تسمى « رُوقَة » ، فقال :

رُوقَ أيْ رُوقَ كيف فيكِ أقولُ سادسنا دوني وأرمائيل (٥)

---

(١) فيما عدا ل : « يسمى » .

(٢) تكملة يفتقر إليها الكلام .

(٣) المشيخة : الشيوخ . فيما عدا ل : « الشيخة » وهي صحيحة أيضا ، جمع شيخ وتقرأ كعنبة وشيمة . والشيخ جموع آخر .

(٤) لعله رواية في بيت حسان بن ثابت :

فلا تفخر فإن بني قصي هم الرأس المقدم والسنام

(٥) فيما عدا ل : « صار بيننا ورد ورمل ونيل » . وما أثبت من ل محرف أيضا . وأرمائيل : لغة في أرمئيل ، وهي مدينة كبيرة بين مكران والديبل من أرض السند .

وبعيدٌ مَنْ بَيْنَهُ حيثُما كا نَ وبينَ الحبيب قَنْدابيلُ[1]

[رُوقَ يا رُوقَ لو تَرينَ تَحَلِّي ببلادٍ معروفُهــا مجهولُ]

ببلاد بهــا تبيض الطواوي سُ وفيهــا يُزاوج الزَّندَبيلُ

وبهــا البَبَّغاء والصُّفْرُ والعو دُ لهُ في ذَرَى الأراكِ مَقِيلُ[2]

والخُموعُ العَرْجاءُ[3] والأيلُ الأقْ رَنُ والليثُ في الغِياضِ النَّسُولُ[4]

وقال أبو الأصلع الهنديّ ، يفخر بالهند وما أخرجت بلاد الهند[5] :

لقد يَعذِلُني صحــبي وما ذاك بالأمثَــلْ

وفي مِــدْحَتِيَ الهندَ وسهمُ الهِندِ في المَقْتَــلْ

وفيــه السَّاجُ والعاجُ وفيه الفيــلُ والدَّغفَلْ[6]

وإنَّ التُّوتِيا فيه كمثل الجبــل الأطوَلْ

وفيــه الدّارُصينيّ وفيــه ينبُتُ الفُلفُلْ[7]

والمتشابه[8] عندهم من الحيوان [الفيل و] الخنزير ، والبعوضة ، والجاموس . وقال رؤبة :

ليث يُدِقّ الأسَــدَ الهَمُوسَا[9] والأقهبَيْنِ الفيلَ والجاموسا[10]

---

(١) قندابيل : مدينة بالسند . فيما عدا ل : « وبين الحبيب بين وبيل » .

(٢) الصفر ، بالضم : ضرب من النحاس . ط ، ه : « والصفر والعرد » س : « والصقر والعود » ل : « والصفرد والعود » ، والوجه ما أثبت . ط ، ه : « ذرى الاباط » ه : « ذرى الاباط » وأثبت ما في ل . وذرى الأراك ، بفتح الذال : كنفه .

(٣) الخموع العرجاء ، أي الضبع .

(٤) النسول : وصف من النسلان ، وهو السرعة . فيما عدا ل : « الشبول » محرفة .

(٥) فيما عدا ل : « وما أخرجت بلادها » .

(٦) فيما عدا ل : « وفيه العود والدغفل » . والدغفل : ولد الفيل .

(٧) ل : « وفيها منبت » .

(٨) ل : « والمتشابهة » .

(٩) الهموس : الخفي الوطء . فيما عدا ل : « الهموسا » صوابه في ل والديوان واللسان (همس ، قهب) .

(١٠) الأقهب : ما كان لونه إلى الكدرة مع انتياض السواد . ط ، ه : « والأقهبين » =

(هجاء أبي الطروق لامرأته)

٥١ ولما هجا أبو الطروق[1] الضبيّ امرأته، وكان اسمها شعفر[2] [بالقبح والشناعة قال:

جاموسة وفيلةٌ وخنززُ وكلّهنّ في الجمال شَعْفرُ

جعل الخنزير خنززا[3]، فجمعها كما ترى للتشابه. وقال الآخر:

كأنّ الذي يبدو لنا من لثامها جحافل عَيرٍ أو مشافر فيلِ[4]

(شعر في الفيل)

والفيل يوصف [بالقَقَم]، ولذلك قال الأعرابيّ:

قد قادني أصحبيَ المعمّمُ[5] ولم أكن أخدعُ فيما أعلمُ

إذ صفقَ البابُ العريضُ الأعظمُ[6]

وأدنيَ الفيلُ لنا وترجموا[7]

وقيل إنّ الفيلَ فيلٌ مرجمُ[8] خبقْبقٌ قد تمّ منه الحزمُ[9]

= ه: «والأفهمين» صوابه في ل والديوان واللسان (قهب، همس).

(١) فيما عدا ل: «أبو طروق».

(٢) فيما عدا ل: «سعفير».

(٣) ل: «خنزر» وفيما عدا ل: «خنزيرات» والوجه ما أثبت.

(٤) فيما عدا ل: «أشافر» محرفة.

(٥) الأصحب: الذي يضرب لونه إلى الحمرة. وقد عنى به قائد الفيل. فيما عدا ل: «ياصاحبي المعصم».

(٦) صفق الباب: فتحه. فيما عدا ل: «إذ يصفق التاب» محرف.

(٧) أدنى: قرب. ط، س: «وأذنى» محرف. ط: «له أو ترجم» س: «له أو ترحم» ه: «له أو ترحم» والصواب في ل.

(٨) المرجم: الشديد، كأنه يرجم به. ه: «مترجم» محرف.

(٩) الخبقبق: الضخم الشديد. ط: «حنفش» س: «خنفش» ه: =

أجردُ أعلى الجسمِ منه أصحمُ[١]   مجفــرٌ أرحاءُ ثقالاً تحطِمُ[٢]

ما تحتها من قوضِها وتهشمُ[٣]   وحنكٌ حين يمدُّ أقثمُ[٤]

ومشفرٌ خين يمدُّ سرطمُ[٥]   يَرُدُّهُ فى الجوف حين يطعمُ[٦]

لو كان عندى سببٌ أو سُلَّمُ   نجَّيتُ نفسى جاهداً لا أظلمُ

وقال آخر :

مَنْ يركبِ الفيلَ فهذا الفيلُ   إنَّ الذى يركبُهُ محمولُ

على تهاويلَ لها تهويلُ   كالطَّودِ إلاَّ أنَّهُ يجــولُ

* وأذنٌ كأنها منديلُ *

وقال عمارة بن عقيل[٧] يضرب المثل بقوّة الفيل :

إذا أتانا أمــيرٌ لم يقلْ لهمُ   هيداً وجالتْ بنا منه الأحابيلُ[٨]

= « حنفس » والصواب فى ل . والمحزم : موضع الحزام من الدابة . ل : « المحرم » وفيما عدا ل : « المخزم » صوابهما ما أثبت .

(١) الأصحم : ما لونه الصحمة ، وهى لون من الغبرة إلى سواد قليل . فيما عدا ل : « الضخم » تحريف .

(٢) الأرحاء : جمع رحى ، وهى تلك التى يطحن بها الحب ، شبه بها أخفافه . س : « أرحاء » وفى سائر النسخ « أرجاء » بالجيم ؛ والوجه ما أثبت .

(٣) هـ : « من قوضها » ل : « من فوقها » . وفيما عدا ل : « مبسم » بدل : « وتهشم » محرف .

(٤) القثم : أن يخرج أسفل اللحى ويدخل أعلاه . ط ، س : « أقسم » هـ : « أقسم » صوابهما فى ل .

(٥) السرطم ، بفتح السين والطاء : الطويل .

(٦) فيما عدا ل : « حتى » تحريف . هـ : « يعطم » ط : « يعظم » صوابهما فى ل ، س .

(٧) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية بن الخطفى ، من شعراء الدولة العباسية ، وكان النحويون البصريون يأخذون عنه اللغة . انظر الأغانى (٢٠ : ١٨٣ — ١٨٨) . وفيما عدا ل : « عمارة بن الوليد » تحريف .

(٨) العرب تقول : « هيد مالك » إذا استفهموا الرجل عن شأنه . فيما عدا ل : « لم يقم لهم هذا وجاءت بنا منه الأحابيل » محرف .

وعَضَّ مجهودنا الأقصى وحمَّله ۔ مِنَ المظالم مالا يحمِلُ الفيلُ[(١)]

وقال أبو دَهْبَل[(٢)] يمدح أبا الفيل الأشعريّ :

إنّ أبا الفيل لا تحصى فضائلُه قدعمَّ بالعُرْفِ كلَّ العُجْمِ والعَرَبِ

ونظر ابن شهلة المدينيّ[(٣)] إلى خُرطوم الفيل و إلى غُرموله فقال :

ولم أرَ خُرطومَينِ فى جسمٍ واحدٍ قد اعتدَلاَ فى مَشْرَبٍ ومَبال

فقد غلِط لأنّ الفيلَ لا يشرَبُ بخرطومه ولـكن به يُوصِلُ المـاء إلى فمه . فشبَّه غُرمولَه بالخرطوم . وغُرمولُه يشبَّه بالجَعْبَة والقنديل[(٤)] والبَرْبخ[(٥)] .

وقال المخبَّل فى تعظيم شأن الفيل :

٥٢ أتهزأ مِـــنِّى أمُّ عمرة أنْ رأت نهاراً وليلا بَلَّيانى فأسْرَعا[(٦)]

فإن أكُ لاقيتُ الدَّهارِيسَ منهما فقد أفْنيا النُّعْمان قبلى وتُبَّعًا[(٧)]

ولا يلبثُ الدَّهرُ المفرِّقُ بَينْهُ على الفيل حتى يستدير فيُصرَعا

وقال مروان بن محمد وهو أبو الشَّمَقْمَق . [و] حدّثنى صديقٌ لى قال . سألتُ أبا الشَّمقمقِ عن اسمه ونسبه[(٨)] . فقال أنا مَرْوَانُ بن محمد ، مولى مروانَ بنِ محمد ـ :

---

(١) فيما عدا ل : « وعض مجهولنا الأقصى » .

(٢) ط : « الهذيل » س ، ه : « أبو الهذيل » وأثبت ما فى ل .

(٣) فيما عدا ل : « ابن أبى سلمة المدنى » .

(٤) فيما عدا ل : « والتديل » .

(٥) ل : « الرخ » وفيما عدا ل : « النزع » ولعل الوجه ما أثبت .

(٦) فيما عدا ل : « أم عزة » وفيه أيضا « أبليانى » وهى صحيحتان . وشاهد المضعف قول العجير :

وقائلة هذا العجير تقلبت به أبطن بلينه وظهور

(٧) فيما عدا ل : « فقد أبليا » .

(٨) فيما عدا ل : « وكنيته » تحريف . وقد سبقت ترجمة أبى الشمقمق فى (١ : ٢٥٥) .

يا قوم إنّى رأيتُ الفيلَ بعدَكُمُ ... فبارَكَ اللهُ لى فى رُؤيةِ الفيلِ
[رأيت بيتاً له شىءٌ يحرِّكُهُ ... فكِدتُ أصنعُ شيئاً فى السراويلِ
وقالت دودةُ لأمّها :
يا أمّ إنّى رأيتُ الفيلَ مِن كَثَبٍ ... لا بارَكَ اللهُ لى فى رؤية الفيلِ]
لمّا بصُرْتُ بأيرِ الفيلِ أذهَلنى ... عن الحميرِ وعن تلك الأباطيلِ(١)

(خطبة بدوى فيها ذكر الفيل)

وقال الأصمعى : جَنَى قومٌ من أهل اليمامة [جنايةً] فأرسل إليهم السُّلطانُ جنداً من بُخاريّةِ ابن زياد(٢) ، فقام رجلٌ من أهل البادية يُذمِّرُ أصحابَه(٣) فقال : « يا معشَرَ العرب ، ويابنى المحصَنات ، قاتِلُوا عن أحسابكم ونسائكم . والله لَئِنْ ظهَرَ هؤلاء القومُ عليكم لا يدَعُون بها لِينةً حَمْراء(٤) ولا نخلةً خضراء(٥) إلاّ وضعُوها بالأرض . ولا أعْرُّكم مِن نُشَّابٍ معهم(٦) ، فى جِعاب كأنّها(٧) أيور الفِيَلة ، يَنزِعُون فى قِسِىٍّ كأنّها العَتَل(٨)

---

(١) الأباطيل : جمع الباطل . ل « البواطيل » وهى صحيحة فى مذهب الكوفيين الذى يجيزون زيادة الياء فى مثل هذا الجمع .

(٢) فيما عدا ل : « من غازية ابن زياد » .

(٣) التذمير والذمر : الحض والحث . فيما عدا ل : « من أصحابه » تحريف .

(٤) اللينة ، بالكسر : الدقل من النخل . فيما عدا ل : « فيها لبنة حمراء » محرف .

(٥) فيما عدا ل : « ولا كلة خضراء » تحريف .

(٦) النشاب ، بالضم وتشديد الشين : السهام ، واحدها نشابة .

(٧) فيما عدا ل : « كأنه » تحريف .

(٨) النزع : جذب الوتر بالسهم ، والعتل : جمع عتلة ، وهى الهراوة الضخمة . فيما عدا ل : « الفيل » تحريف .

تَنْقُّ إحداهُنَّ أطيطَ الزُّرنُوق[1] ، يَمْعَطُ أحدُهم فيها حتى يتحرّق شعرُ إبطَيْه[2] ، ثم يُرْسِل نُشَّابَةً كأنها رِشاءٌ منقطع[3] فما بينَ أحدِكم وبين أن تفضخ عينه[4] أو يُصدَع قلبُه منزلةٌ » .

قال : تخلّعَ قلوبَهم فطارُوا رُعْبًا .

(الزنديل)

قالوا : الفِيَلة ضربانِ : فيلٌ وزَنْدَبيل . وقد اختلفوا فى أشعارهم وأخبارهم ، فبعضهم يقول كالبُخْت والعِراب ، والجواميسِ والبقَر ، والبراذينِ والخيل ، والفأر والجِرذان ، والذَّرّ والنمل . و بعضهم يقول : إنما ذهبوا إلى الذَّكَرِ والأنثى .

قال خالدٌ القنَّاص ، فى قصيدته تلك المزاوَجَة [والمخمَّسة] ، التى ذكر فيها الصَّيد[5] فأطنبَ فيها ، فقال حينَ صار إلى ذِكْرِ الفيل :

ذاك الذى مِشفَرُه طويلُ   وهو من الأفيال زَنْدَبيــلُ

---

(١) الزرنوق : واحد الزرنوقين ، وهما دعامتا البئر . فيما عدا ل : « الزربوق » محرفة .

(٢) يقال معط الوتر يمعطه ، بفتح العين المهملة ، ومغطه يمغطه بفتح الغين المعجمة ، أى أغرق فى نزعه ، ويقال فيه أيضا مخطه يمخطه . فيما عدا ل : « يمعط » بالمهملة وهما صحيحتان . وفيما عدا ل : « حتى يعرق شعر إبطيه » .

(٣) الرشاء : الحبل . فيما عدا ل : « رشأ » محرف .

(٤) الفضخ : كسر كل شىء أجوف ، نحو الرأس والبطيخ . والكلمة محرفة فى الأصل ، ففى ل : « تفضح » بالحاء المهملة ، وفيما عدا ل : « تنضخ » والوجه ما أثبت .

(٥) فيما عدا ل : « الضبة » تحريف ، ولعل سبب التحريف كلمة « فيها » التالية فإن الضمير فيها للقصيدة لا لشىء آخر .

مذهب إلى العِظَمِ (١) . [وقال الذَّكوانى :

* وفيـــلة كالطُّودِ زنديل *]

وقال الآخر :

* مِن بين فِيلاتٍ وزَنْدَبِيلِ (٢) *

فجعل الزَّنْدَبِيل هو الذَّكر . وقال أبو اليقظان (٣) سحيم بن حفص (٤) إنّ الزَّنْدَبِيلَ هو الأُنثى . فلم يقِفُوا مِن ذا على شىء (٥) .

(الجنّ والحن)

وبعض النّاس يقسِم الجنّ على قِسْمين فيقول : هم (٦) جنّ وحِنّ ، ويجعل التى بالحاء أضعفَها . وأمّا الرّاجز (٧) فقال :

٥٣ أبِيتُ أهوِى فى شَياطِينَ تُرِنّ مُختلِفٍ نَجْرَاهُمُ جِنٌّ وحِنّ (٨)

ففرق هذا بين الجنسين .

---

(١) فيما عدا ل : « القطس » تحريف .

(٢) الفيلات : جمع فيلة ، وهى أنثى الفيل . فيما عدا ل : « فيلان » محرف .

(٣) ط : « أبو يقظان » صـــوابه فى ل ، س . وفى ه : : « أبو يقظان » وانظر ماسبق فى حواشى (٢ : ١٠) .

(٤) هذا ماذكره الجاحظ أيضا فى (٢ : ١٠٥ / ٣ : ٢١١) . وانظر الخلاف فى اسمه ماسبق فى (٢ : ١٠) .

(٥) فيما عدا ل : « من ذلك على شىء » .

(٦) بطلها فيما عدا ل : « فيكون » تحريف .

(٧) الرجز لمهاصر بن المحل ، كما فى اللسان (١٦ : ٢٨٩) وانظر ماسبق فى (٦ : ١٩٢) .

(٨) النجر : الطبع والأصل والشكل والهيئة . ط ، ه : « نجرائم » وهى رواية اللسان . وفى س : « نجرم » .

(الناس والنسناس)

وسمع بعضُ الجهّال قولَ الحسَن : «ذهبَ النّاسُ وَبَقِيتُ فى النِّسناس» فجعلَ النِّسناس جنساً على حِدَة ، وسمع آخرون [هم] أجهلُ من هؤلاء قولَ الكميت : * نَسنامهم والنَّسانسا *

فزعموا أنَّهمْ ثلاثةُ أجناسٍ : ناس ، ونِسْناس ، ونَسانِس[(١)] هذا سوى القول فى الشِّق، وواق [واق]، وذوال باى[(٢)]، وفى المُدار[(٣)] ، وفى أولاد السَّعالِى من الناس ، وفى غير ذلك مما ذكرناه فى موضعه من ذكر الجنِّ والإنس .

وقد علم أهلُ العقلِ أنّ النِّسناس [إنما] وقعَ على السِّفْلة والأوغاد والغَوغاء ، كما سمّوا [الغوغاء] الجراد إذا ألقَى البيضَ وسخُفَ وخَفَّ وطار[(٤)] .

(هياج الفيل)

قال : وإذا اغتلَمَ الفيلُ قَتَل الفِيَلَةَ والفيّالين وكلَّ مَن لقِيَه من سائر النّاس ، ولم يقمْ له شىء ، حتّى لا يكونُ لسُوّاسِه همٌّ إلاّ الهرَبُ ، وإلاّ الاحتيالُ لأنفسهم .

---

(١) النسناس ، بفتح النون ويكسر . أما النسانس ، بفتح أوله ، فهم الإناث من النسناس ، أوهم أرفع قدرا ، أوهم يأجوج ومأجوج ، أو خلق على صورة الناس وخالفوهم فى أشياء وليسوا منهم . انظر القاموس .

(٢) فيما عدا ل : « والزوال » . وانظر ما سبق فى (١ : ١٨٩) .

(٣) فى القاموس (عدر) : « وكغراب دابة تنكح الناس باليمن ، وتلقتها دود . ومنه ألوط من عدار » ط ، س : « فى أولاد السراق » ه : « فى المزاق » صوابهما فى ل .

(٤) ل : « وطاش » .

وتزعُمُ الفُرس أنَّ فِيلاً من فِيَلة كِسرى اغتلَمَ ، فأقبلَ نحوَ النّاس فلم يقُمْ له شيءٌ ، حتى دنا من مَجلس كِسرى فأقشَعَ عنه جُندُه[١] ، وأسلمتْهُ صنائعُه ، وقَصَدَ إلى كسرى ولم يبقَ معه إلاّ رجلٌ واحدٌ من فرسانهِ[٢] كان أخصّهمْ به حالاً ، وأرفعَهم[٣] مكاناً ، فلمّا رأى قُربَه[٤] من الملك شَدّ عليه بطَبَرْزِين[٥] كان في يده فضرَبَ به جبهتَه ضربةً غابَ لها جميعُ الحديدة[٦] في جبهته ، فصدَفَ عنها[٧] وارتدع ، وأبَى كِسرَى أن يزُولَ من مكانه ، فلمّا أيقنَ بالسّلامة قال لذلك الرجل . ما أنا بِما وهَبَ اللهُ لي من الحياةِ على يدِكَ[٨] بأشدَّ سروراً منِّي بالذى رأيت من هذا الجَلَد والوفاء والصَّبر[٩] في رجلٍ من صنائِعِي[١٠] ، وحين لم تخطِئْ فِراستَى ، ولم يَفِلْ رأيِي[١١] فهل رأيتَ أحداً قطّ أشدَّ منك ؟ قال : نعم . قال : فحدِّثْني عنه . قال : عَلَى أن تؤمِّنني . فأمّنه فحدّث عن بِهْرام جُوبِين[١٢] بحديثٍ شقَّ على الملِك وكرِهَه ، إذْ كان عدوَّه على تلك الصّفة .

---

(١) أقشعوا : تفرقوا ، كانقشعوا وتقشعوا . فيما عدا ل : «فأقسع عنه جنده» تحريف .

(٢) ط ، هو : «من فرسانهم» .

(٣) ط فقط : « وأرفقهم » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « فلما قرب » .

(٥) الطبرزين : فأس يعلقها الفارس في سرج جواده . انظر المعرب للجواليقي ١٩٤ وأدى شير ١١١ . وفي معجم استينجاس : « تبرزين : A battle-axe (usually fixed to the saddle) » . أي فأس القتال ، وهي تعلق عادة في السرج .

(٦) فيما عدا ل : «الحديد» .

(٧) فيما عدا ل : «عنه» .

(٨) فيما عدا ل : « مما وهب الله لى من الحياة على يديك » .

(٩) فيما عدا ل : «والظفر» .

(١٠) فيما عدا ل : « صنائعنا » .

(١١) فال رأيه يفيل فيالة وفيولة : أخطأ وضعف . ل : «ولم يزل رأيي» تحريف .

(١٢) ط ، هو : « سوبين » س: «سومن » بالإهمال . وأثبت ما في ل . وفي =

قال : إذا اغتَلَمَ الفِيلُ وصَالَ وغَضِبَ وحَمِطَ[1] خلاَّهُ الفيَّالون والرُّوَّاضُ ، فربَّما عادَ وحشيًّا .

(أهلى الفيلة ووحشيها)

والفيلة من الأجناس التى يكون فيها الأهلىُّ والوحشىّ ، كالسَّنانير والظِّباء والحَمير وما أشْبهَ ذلك . وأنشد الـكِرمانىّ لشاعرِ المُولْتانِ[2] قولَه :

فـكنتُ فى طلبى مِنْ عندِه فَرَجًا

كراكب الفيل وَحْشِيًّا ومُعْتَلِما[3]

وهذه القصيدة [هى] التى يقول فيها :

قد كنت صَمَّدْتُ عن بَغْبُورَ مفتقِرًا حتى لقيتُ بها حِلْفَ النَّدَى حَكَما[4]

٥٤ قومٌ كأنَّ ضياء الشَّمس سُنَّتُه

لو نَاطَقَ الشَّمس ألقتْ نحوَه الـكَلِما[5]

= التنبيه والاشراف ٨٩ عند ذكر ملوك الساسانيين : « والعشرون هرمز بن أنو شروان ، ملك اثنتى عشرة سنة ، وخالف عليه بهرام جوبين الرازى ، فآل ذلك إلى أن سمل هرمز . ولا يعلم فيمن قبله وبعده من ملوك الفرس من سمل غيره » . وانظر التنبيه والاشراف ص ١٣٣ .

(١) حمط ، مثل غضب وزنا ومعنى . ل : «وخبط» .

(٢) المولتان ، سبق القول فيها فى ص ٧٥ . ط : « لومان » س : «المولمان» هـ : « المومان » صوابها ما أثبت من ل .

(٣) فيما عدا ل : «من عنده كرما» .

(٤) بغبور ، بضم أوله : لقب ملك الصين ، كما فى القاموس . ط ، هـ : «يعبور» صوابه فى ل . وصدر البيت ساقط من س .

(٥) ل : « قرما » . والسنة ، بالضم : الوجه ، أو حره ، أو دائرته ، أو الجبهة والجبينان .

(خصائص كسرى)

وتقول الفُرْس : أُعْطِيَ كسرى أَبْرَوِيزَ[(١)] ثمانِ عشْرةَ خَصْلَةً لم يُعطَها ملكٌ قطّ[(٢)] ولا يعطاها أحدٌ أبداً؛ من ذلك [أنّه] اجتمعَ له تِسْعُمائةٍ وخمسون فيلاً ، وهذا شيءٌ لم يجتمعْ عندَ ملكٍ قطّ . ومن ذلك أنّه أنْزَى الذُّكورةَ على الإناث ، وأنَّ فِيلةً منها وضعَتْ عنده ، وهي لا تتلاقح[(٣)] بالعراق ، فكانت أوَّل فِيلةٍ بالعراق وآخِرَ فيلةٍ تضع .

قالوا : ولقِيَ رُسْتَمُ الآزَرِيّ[(٤)] المسلمين يوم القادسيّة ومعه [من الفيلة] عشرون ومائة فيل ، [وكنَّ] من بقايا فِيلةِ كسرى أبرويز[(٥)] .

قالوا : ومن خصاله أنّ النّاس لم يَرَوْا قط أمدَّ قامةً ، ولا أتمَّ ألواحاً ولا أبرعَ جمالاً منه ، فلمّا مات فرسُهُ الشَّبْدِيز[(٦)] كان لا يحمله إلاّ فيلٌ من فِيَلته ، وكان يجمع وَطاءةَ[(٧)] ظَهْرِ الفيلِ وثباتَ قوائمه ، ولِينَ مِشيته ، وبُعْدَ خَطوه . وكان ألطفَها بدناً ، وأعدلَها جسما[(٨)] .

---

(١) ل : « أبرواز » وهي إحدى لغات تعريبه . وأبرويز ، بكسر الواو وفتحها .

(٢) فيما عدا ل : « ملك مضى » .

(٣) فيما عدا ل : « لا تتناتج » .

(٤) الآزرى : نسبة إلى آزر ، كهاجر ، وهي ناحية بين الأهواز ورامهرمز . انظر القاموس (أزر) ومعجم البلدان (١ : ٥٧) والتنبيه والاشراف ٧٦ . فيما عدا ل : « الأدنى » تحريف .

(٥) ل : « ابرواز » وانظر ما مضى في التنبيه الأول من هذه الصفحة

(٦) ل : « الشبذار » وفيما عدا ل : « السيد » صوابه ما أثبت من معجم استينجاس ٧٣١ . قال ماتفسيره : « اسم فرس مشهور لكسرى » .

(٧) س : « وطا » وفي سائر النسخ : « وطاء » والوجه ما أثبت .

(٨) فيما عدا ل : « ألطفها لدنا وأعدلها خيا » تحريف .

(أكثر خلفاء المسلمين فيلة)

قالوا : ولم يجتمع لأحدٍ من ملوك المسلمين[١] مِن الفِيَلة ما اجتمع عندَ أمير المؤمنين المنصور ، اجتمعَ عنده أربعون فيلا ، فيها[٢] عشرون فحلاً .

(شرف الفيل)

قالوا : والفِيل أشرفُ مراكب الملوك ، وأكثرُها تصرُّفا . ولذلك سألَ وَهْرَز الأسْوارُ[٣] عن صاحبِ الحبشة ، حين صافَّهم في الحرب ، فقيل له ها هو ذاكَ على الفيل . فقال : لا أرميه [وهو على مركب الملوك[٤]] . ثم سأل عنه فقيل له : قد نزل عنه وركِبَ الفرَس . قال : لا أرميه وهو على مركب الحُماةِ . قيل : قد نزلَ عنه وركب الحمار . قال : قد نزل عن مَرْكَبه لحمارٍ ! فدعَا بعِصابةٍ رفَع بها حاجبَيْه — وكان قد أسنّ حتى سقط[٥] حاجباه على عينيه — ثمّ رماه فقتَلَه .

(ذكاء الفيل)

وكان سهلُ بنُ هارونَ يتعجَّب مِنْ نَظَر الفيلِ إلى الإنسان ، وإلى كلِّ شيءٍ يمرّ به[٦] . وهو الذى يقول :

ولمَّا رأيتُ الفيلَ ينظرُ قاصداً ظننْتُ بأنَّ الفيلَ يلزمُهُ الفرضُ[٧]

---

(١) فيما عدا ل : « الاسلام » .

(٢) فيما عدا ل : « منها » .

(٣) الأسوار ، بالضم والكسر : قائد الفرس . فيما عدا ل : « ولذلك » .

(٤) هذه التكملة من ل ، س . وكلمة « هو » ليست فى س .

(٥) فيما عدا ل : « سقطت » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « إلى كل ما يمر به » .

(٧) لعله يعنى أنه موضع التكليف والمطالبة بالفرض . س : « العرض » .

قال أبو عثمان : وقد رأيتُ أنا فى عَينِ الفِيل من صحّة الفَهْم والتأمُّلِ إذا نظرَ بها ، و [ما] شبهت نظرَه إلى الإنسان [إلاّ] بنظرِ ملكٍ عظيم الـكِبْر راجحِ الحِلْم . وإذا أردتَ أن تَرَى من الفيل ما يُضحِك ، وتَرَاهُ فى أسخَفِ حالاته [وأجهله] فألق إليه جوزةً ، فإنّه يريد أن يأخذ[1] بطرَف خُرطومِه ، فإذا دنا منها تنفّس ، فإذا تنفّسَ طارت الجَوزة من بين يديه ، ثم يدنو ثانيةً ليأخذَها فيتنفسُ أخرى ، فتبعد [عنه] ، فلا يزالُ ذلك دأبَه .

(فضله فى الحرب)

قالوا : ويفضُل الفيلُ الفرسَ فى الحرب أنّ الفيل يحمِى الجماعةَ كلَّهم ، ويقاتل وَيَرمِى ويزجّ بالمزاريق[2] ، وله من الهول ماليس للفرسِ[3] ، وهو أحسن مطاوعةً ، ولا يُعْرَفُ بجِماحٍ ولا طِماحٍ ولا حِران .

والحيوانُ العِتاقُ ربّمـا قتلَت الفُرسانَ بالحِرانِ مرّةً وبالإقدام مرّةً ، ٥٥
وبسُوء الطّاعة وشدّة الجزع . وربّمـا شبَّ الفرَسُ بفارسه حتى يلقِيَه بين الحوافر والسُّيوف ، للسّهم يصيبه والحجرِ يقع به[4] .

وما يُشبه ظهرُ الفرَسِ مِن ظهره ، وظهرُ الفيل منظرةٌ من المناظر[5] ومَسْلَحَة من المسالح .

---

(١) فيما عدا ل : « فإنه يأخذها » .
(٢) الزراق : رمح قصير . فيما عدا ل : « المناريق » تحريف .
(٣) فيما عدا ل : « وليس له من الهول ما للفرس » وهو عكس ما يريد .
(٤) فيما عدا ل : « لسهم يصيبه ولحجر يقع به » .
(٥) فيما عدا ل : « قنطرة من القناطر » تحريف .

(عمر الفيل)

وفى الفِيَلةِ عجبٌ آخَرُ ، وذلك أنَّ قِصَرَ الأعمارِ مقرونٌ بالإبلِ والبراذين وبكلِّ خَلْقٍ عظيم . وكُلُّ شىء يعايشُ النَّاسَ فى دُورهم وقُراهم ومَنازلهم ، فالناس أطولُ أعماراً منها ، كالجمل ، والفرَس والبرذَوْن ، والبغل والحمار ، والثَّوروالشَّاة ، والكلْب ، والدَّجاج ، وكلُّ صغيرٍ وكبيرٍ ، إلاَّ الفيل فإنَّه أطولُ عمراً .

والفيلُ أعظم مِن جميع الحيوان جسماً وأكثَرُ أكلاً ، وهو يعيشُ مائةَ السنة ومائتِى السَّنة[1] .

وزعم صاحبُ المنطق فى كتاب الحيوان أنَّه قد ظهَرَ فيلٌ عاش أربعمائةِ سنة . فالفيلُ فى هذا الوجه يشاركُ الضِّبابَ والحيَّاتِ والنُّسور ، وإذا كان كذلك فهو فوقَ الوَرَشان وعَيْرِ العانة ـ وهو من المعمَّرِين وفوق المعمَّرين ـ وهو مع ذلك أعظم الحيوان[2] بدناً وأطولُها عمراً .

(الأسد والفيل)

وقال بعض من يستفهم ويحب التَّعلُّم[3] : مابالُ الأسدإذا رأى الفيلَ عَلِم أنَّه طعام له ، وإذا رأى النَّمر والبَبْر لم يكونا عنده كذلك ؟ وكيف وهو

---

(١) فيما عدا ل : « المائة سنة والمائتى سنة » بتعريف العدد وتنكير المضاف إليه ، وهو وجه جائز مع قبح ، حكاه ابن عصفور . قال الخفاجى فى شرح درة الغواص ١٣٥ : « ووقع فى صحيح البخارى : وأتى بالألف دينار » . ونقل الخفاجى عن التسهيل : « إذا قصد تعريف العدد أدخل حرفه على الآخر إن كان مضافا ، أو عليهما شذوذا لا قياسا ، خلافا للكوفيين » . فما أثبت من ل هو الوجه المرتضى .

(٢) فيما عدا ل : « أطول الحيوان » تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « العلم » .

أعظَمُ وأضخَم وأشنَع وأهوَل؟ فإن كانَ الأسدُ إنّما اجترأ عليه لأنّه [من] لحمٍ ودمٍ ، واللّحم طعامُه والدّم شرابُه ، فالببر والنّمر من لحمٍ ودم ، وهما أقلُّ من هؤلاء وأقماُ جسما .

قال القوم : ومَتَى قدَّرَ الأسدُ فى الفيل أنه إذا قاتله غلبه ، [و إذا غلبه قتَله] ، و إذا قتلَه أكلَه ؟ وقد نجِدُ الببْرَ فوقَ الأسد وهو لا يعرِض له . والأسد فوق الكلب وهو يشتهى لحمه و [يشتهى] لحم الفهد[١] بأكثر ممّا يشتهى لحمَ الضّبع والذئب ، وليست علّته المواثبة[٢] التى ذهبتم إليها .

(معرفة الحيوان)

فأمّا علم جميعِ الحيوانِ بمواضع ما يُعيشها[٣] فمَنْ علّم البعوضةَ أنّ من وراء[٤] ظاهرِ جلد الجاموس دمًا ، وأنّ ذلك الدمَ غذاءٌ لهـا ، وأنّها مَتَى طعنَتْ فى ذلك الجلدِ الغليظ الشَّثْن[٥] الشّديد الصُّلبِ ، أنّ خرطومَها ينفذ فيه على غير مُعاناة[٦] .ولو أنّ رجلاً منّا طعَنَ جلدَه بشوكةٍ لانكسرت الشّوكةُ قبل أن تصل إلى موضع الدم . وهذا بابٌ يُدرَك بالحسِّ و بالطّبع وبالشبه و بالخِلْقة[٧] . والذى سخّر لخرطوم البَعوضةِ جلدَ الجاموس ، هو الذى سخّر الصخرةَ لذنَب الجرادة ، وهو الذى سخّر قمقمَ النُّحاس لإبرة العقرب[٨] .

(١) فيا عدا ل : « القنفذ » تحريف . وانظر لولوع الأسد بلحم الفهد ماسبق فى (٤ : ٢٢٨ / ٦ : ٤٧١) .
(٢) فيا عدا ل : « نحله الهوائية » تحريف .
(٣) فيا عدا ل : « بالمواضع التى تعيشها » .
(٤) فيا عدا ل : « أن بين » .
(٥) الشثن : الغليظ . ل فقط : « للتين » .
(٦) فيا عدا ل : « من غير معاناة » .
(٧) ل : « وبالبنية والحرقة » تحريف .
(٨) انظر ما سبق فى (٥ : ٥٥٠) .

(علة عدم تلاقح الفيلة بالعراق)

وقال بعض خصماء الهند[١] : لو كانت الفِيَلة لا تتلاقَحُ عندنا بالعِراق لأنَّها هندية لتغيّرِ الهواء والأرض فعقَر ذلك أرحامَها وأعْقمَ أصلابَها ،
٥٦ لـكان ينبغى للطواويس أن لاتتزاوج عندنا[٢] ولا تَبِيض ولا تُفرخ[٣] .
ونحن قد نَصيد البلابِل والدباسىّ[٤] ، والوراشين ، والفواخت والقَمارى [والقَبج] والدُّرّاج ، فلا تتسافَدُ عندنا فى البيوت ، وهى من أطيار بساتيننا وضِياعنا ، ولا تتلاقَحُ إذا اصطدْناها [كرارزة[٥]] ، بل لاتصوِّت ولا تغنّى ولا تَنُوح ، وتبقى عندَنا وحشيّةً كدِرةً ما عاشت ، فإنْ أخذْناها فراخاً زاوَجَتْ وعَشّشتْ و باضت وفرّخت ، فلعلَّـكم أن تـكونوا لو أهديتم إلينا[٦] أولادَها صغاراً فنشأتْ عندنا وذهب عنها وحشةُ [الخَلاء ، وجدَتْ] أُنسَ الأهلِ ؛ فإنَّ الوحشة هى التى أكْمدَتْها ونقضَتْ قوّتَها[٧] ، وأفنت شَهوتَها .

---

(١) خصماء : جمع خصيم ، وهو الخاصم . فيا عدا ل : « بعض الحـكماء » وليست بشىء .
(٢) فيا عدا ل : « الطاوس أن لايتزاوج عندنا » .
(٣) فيا عدا ل : « وأن لايبيض ولا يفرخ » .
(٤) الدباسى : جمع دبسى ، وهو ضرب من الحمام سبق الـكلام عليه فى (١ : ١٩٤ ، ٢٨٨ / ٣ : ٢٠١ ، ٢٤٣) . فيا عدا ل : « الدناسى » تحريف .
(٥) الـكرارزة : جمع كرز ، بضم الـكاف وتشديد الراء ، وهو من الطير الذى قد أتى عليه حول .
(٦) فيا عدا ل : « إليها » تحريف .
(٧) فيا عدا ل : « ونقصت » بالمهملة .

(وفاء الشفنين)

وقد نجد الشَّفْنِينَ الذَّكَرَ تهلِكُ أنثاه فلا يُزاوِج غيرَها أبداً ، فى بلادها كان ذلك أو فى غير بلادها . ونحن لو جِئْنا بالأُسْد والذِّئاب والنُّمور والبُبُور فأقامتْ عِندنا الدَّهرَ الطَّويلَ لم تتلاقح .

(قصة الذئب والأعرابى)

وقد أصاب أعرابىٌّ جرو ذئبٍ فربّاه ورجَا حراستَه وأنْ يألفَه ، فيكونَ خيراً [له] من الكلب ، فلما قوِىَ وثب على شاةٍ له فأكلها[1] ، فقال الأعرابى :

أكلْتَ شُوَيهَتى ورَبِيتَ فينا ... فما أدراكَ أنَّ أباكَ ذِيبُ[2]

(تسافد حمير الوحش)

وقد تسافد عندنا [حمير الوحش[3]] . وقد تلاقحتْ عندَ بعض الملوك.

(تلاقح الظباء فى البيوت)

وكان جعفرُ بنُ سليمانَ أحضَرَ على مائدته بالبَصرة يوم زارَهُ الرَّشيدُ ألبانَ الظِّباء وزُبْدَها وسِلاَءَها[4] ولبأَها ، فاستطاب الرشيدُ جميعَ طُعومِها

(١) ل : « على جل له فأكله » والشاهد يأباه ، وقد سبقت القصة فى (٤ : ٤٨ / ٦ : ٢٤) . وانظر ثمار القلوب ٣١٢ وعيون الأخبار (٢ : ٥) وجمهرة العسكرى ١٣٨ وغرر الخصائص ٥٥ ومحاضرات الراغب (١ : ١٢٢) وأمثال الميدانى (١ : ٤١٠) والمحاسن والمساوى للبيهقى (١ : ٩٦) .

(٢) فيما عدا ل : « وربيت عندى فما أدراك » .

(٣) موضع هذه التكملة بياض فى س .

(٤) أراد السلاء ، وهو بالكسر والمد : السمن ؛ والجمع أسلئة .

فسأل عن ذلك(١) وغمزَ جعفرٌ بعضَ الغلمان فأطلقَ عن الظِّباء ومعَها خشْفانُها(٢)، وعليها شُمُلُها(٣)، حتّى مرّتْ في عَرْصة تُجاهَ عينِ الرّشيد، فلما رآها على تلك الحال وهي مقرَّطة مخضّبة(٤) استخفّه الفرح والتعجُّب(٥) حتّى قال : ماهذه الألبان ؟ وما هذه السُّمْنان واللِّبأ والرّائب والزُّبد الذى بينَ أيدينا ؟! قال : مِن حَلَبِ هذه الظِّباء، أُلِّفت(٦) وهي خشْفان فتلاقحت وتلاحقت(٧) .

(استنتاج الذئاب والأسد بالعراق)

ولو أطلقوا الذِّئابَ والأُسْد في مُرُوجِ العراق، وأقاموا لها حاجاتها لتسافدَتْ وتلاقحت . فلعلّهم لو تقدَّموا في اصطناع أولاد الفِيَلة واقتنائها صغارًا أن تأنس(٨) حتّى تتسافدَ وتتلاقَح . وقد زعمتم أنّ كسرى أبرويز(٩) استنتج دَغْفَلاً واحدًا(١٠) .

---

(١) ل : « فاستطاب الرشيد جميع ذلك » .

(٢) الخشفان : أراد به جمع خشف، وهو ولد الظبية . والمعروف في هذا الجمع « خشفة » كقردة . وقد سبق استعمال الجاحظ الخشفان في (٤ : ٤٢٨ س٢)

(٣) الشمل : جمع شمال، ككتاب، وهو شيء كمخلاة يغطى به ضرع الشاة إذا ثقلت . فيما عدا ل : « سملها » تحريف .

(٤) مقرطة : ذات قرط . ط، هـ : « مفرطة » تحريف . وفيما عدا ل : « مخصبة » .

(٥) فيما عدا ل : «استخفه الطرب» .

(٦) فيما عدا ل : «اقتنيت» .

(٧) ط، س : « فتسافدت وتلاقحت » هـ : « فتلاقحت وتلاقحت » ، وأثبت ما في ل .

(٨) فيما عدا ل : «لم تلبث» .

(٩) ل : « أبرواز » وانظر ما سبق في حواشي ص ١٨١ .

(١٠) الدغفل : ولد الفيل، وهو بفتح الدال والفاء .

(احتجاج الهندي)

قال الهنديّ : تكفينا هذه الحُجّة ، وهي بيننا و بينكم . أوَليس قد جَهد في ذلك جميعُ الملوك من جميع الأمم في قديم الدهر ، فلم يستنتجوا إلاّ واحداً . وعلى أنّ[1] هذه الأحاديثَ من أحاديث الفُرْس ، وهم أصحاب نَفْج وتزيّد[2] ولا سيّما في كلّ شيء مما [يدخل] في باب العصبيّة ، ويزيد في أقدار الأكاسرة. وإن كانوا كذلك فهم أظِنّاء[3] ، والمتهم لا شهادة له[4] . ولكن هل رأيتم قطُّ هنديّاً أقرّ بذلك ، أو هل أقرّت[5] بقايا [سائر] ٥٧
الأممُ للفرسِ بهذا الأمر للفيلِ المعروفِ بهذا الاسم[6] .

(استطراد لغوى)

ويقال رجل فِيلٌ إذا كان في رأيه فِيالة ، والفِيَالة الخطأ والفساد . وهم يسمُّون الرّجُلَ بفيل . منهم فِيلٌ مولى زياد . ويكنون بأبي الفيل ، منهم أبو الفِيل الأشعريّ الذي امتدحه أبو دَهْبَل[7] . وقال : الرّاجز غَيْلان

---

(١) فيما عدا ل : « واعلم أن » .

(٢) النفج : الفخر والكبر . ط ، س : « نفخ » ه : « نفع » صوابهما في ل .

(٣) أظناء : جمع ظنين ، وهو المتهم الذي تظن به التهمة . فيما عدا ل : « أضناء » تحريف .

(٤) ط ، ه : « وأغتهم لا شهادة له » س : « وأغتهم لا شهادة له » صوابهما من ل .

(٥) فيما عدا ل : « أم هل أقر » .

(٦) ما بعد كلمة « الأمر » إلى هنا ساقط من ل . والكلام بعد هذه الكلمة إلى : « أضحى » في ص ١٩٠ ليس في ل . وقد سبق متصلا بكلام آخر في التكلة التي مضت في ص ٨١ — ٨٥ .

(٧) سبقت ترجمته في (٤ : ١٠) س ، ه : « أبو دهيل » تحريف .

يقال له راكبُ الفِيل . ومنهم عَنْبَسة الفيل ، وكذلك يقال لابنه مَعْدَان ، وله حديث . وقال الفرزدق :

لقد كان فى مَعْدانَ والفيلِ زاجرٌ لعَنْبسةَ الرّاوِى علىَّ القصائدا

وقال الأصمعىّ : إذا كان الرّجلُ نبيلاً جباناً قِيلَ هذا فِيلٌ . وأنشد :

يقولون للفِيلِ الجبان كأنّه أزبُّ خَصِىٌّ نفَّرَتْه القَعاقِعُ

وقال سَلمة بن عيَّاش[1] قال لى رؤبة : « ما كنتُ أرَى فى رأيك فِيالة » . ويقول الرّجلُ لصاحبه : لمْ يَفِلْ رأيُك . وهو رأىٌ فائل ، ورجلٌ فِيل . وبالكوفة بابُ الفيل ، ودار الفِيل فى السبابجة[2] ، وكذلك حَمّام فيل . وفى حَمّام فِيل يقول بعضُ السّلف :

لَعمرُ أبيكَ ما حَمّامُ كِسرَى على الثلثينِ مِن حَمّام فِيلِ[3]

[وقال الجارود بن أبى سبرة[4]] :

وما إرْقاصُنا خَلفَ المَوالِي كسُنّتنا على عهد الرّسولِ[5]

وأبو الفِيل محمد بن إبراهيم الرافقىّ[6] كان فارس أهل العراق ، وفِيلُويه السّقطى هو الذى كان يُجرى لأمّه كلَّ أضحى دِرهما . فحدّثتنى امرأةٌ قالت قلتُ لأمّ فِيلُويهَ : أوَ ما كان يجرى فِيلويهَ فى كلّ أضحَى إلاّ درهماً ؟ قالت : إى والله ، وربّما أدْخلَ أضْحى فى أضحى !

---

(١) فى الأصل : « سلمة بن عباس » تحريف . وقد سبقت ترجمته فى ص ٨٢ .
(٢) سبق الكلام على « السبابجة » فى حواشى ص ٨٣ . ﻫ : « السابجة » ط : السابحة » س : « بالسابجة » والوجه ما أثبت .
(٣) فى الأصل : «على الباثين » صوابه مما سبق فى ص ٨٤ .
(٤) التكملة مما سبق فى ص ٨٤ .
(٥) فى الأصل : «ولم أرقاصنا خلف للموالى كنسبتنا» تصحيحه مما سبق فى ص٨٥.
(٦) فى الأصل : «الرافعى» تحريف . وانظر ما سبق فى ص٨٥ .

(مثالب الفيل)

وقال بعضُ من يخالف الهند : الفيل لا يُنتفَع بلحمه ولا بلبَنه ، ولا بسَمْنه ولا بزبده ، ولا بشَعَره ولا بوَبَره ولا بصوفه ، عظيم المؤُونة في النفقة[١] ، شديد التشزُّن على الرُّوَّاض[٢] ، [و] إن اغتلم لم تَفِ جميعُ منافعه في [جميع] دهرِه بمضرّة ساعةٍ واحدة . وهو مرتفعُ في الثَّمَن ، وإنْ أخطَئوا في تدبير مَطْعَمِه ومَشربه ، وتملّه وتلقنه[٣] هلَكَ سريعاً ولا يتصرّف كتصرُّف الدّوابّ ، ولا يُركَب في الحوائج والأسواق[٤] و[في] الجنائز والزّيارات . ولو أنّ إنساناً عادَ مريضاً أو اتّبع جنازةً على فيلٍ ، لصارَ شُهرةً وترَكَ الميّتُ آية .

(رؤيا الفيل)

وسُئِل ابنُ سِيرينَ عن رجلٍ رأى فيما يُرَى النّائم كأنّه راكبٌ على فيلٍ ، فقال: أمرٌ جسيمٌ لا منفعة له[٥] .

قالوا : وقال رجلٌ للحجّاج [بن يوسف] : رأيتُ في المنامِ رجلاً مِن ٥٨ عمّالك قدّمَ فيلاً فضرَبَ عُنقَه . فقال : إن صدقَتْ رُؤياك هلكَ دَاهَر ابن بصبهرى[٦] .

---

(١) ط ، ل : « في المنفعة » .
(٢) التشزن : التحرف والاعتراض . فيما عدا ل : « السرف على الرياض » تحريف.
(٣) ل : « وتقليبه وتنقله » .
(٤) فيما عدا ل : « في الأسواق » .
(٥) فيما عدا : ل « فقال له أمر جسيم لا منفعة فيه » .
(٦) في القاموس : « داهر » كهاجر : ملك الديبل قتله محمد بن القاسم الثقفي » فيما عدا ل : « زاهر » تحريف . وفي ل : « داهر بن صعصعة » .

(حكم أكل لحمه)

وسئل الشَّعبيُّ عن أكل لحمِ الفيل . فقال : ليس هو من بهيمة الأنعام .

(خرطوم الفيل)

وخرطومُه ، الذى هو سلاحُه والذى به يبطِشُ و به يعيش ، مِنْ مَقاتِله . وقال زَهْرة بن جُوَيَّة[1] يوم القادسية : أمَا لهذه الدابة مقتل ؟ قالوا : بَلَى : خُرطومه . فشدّ عليهم حتّى خالَطَهم ، ودنا من الفيل ، فحَمَلَ كلُّ واحدٍ منهما على صاحبه فضَرَب خُرطومَه فبَرَكَ وأدبر القوم .

(بعض صفة الفيل)

قال : والفيل أقْمَمُ قصير العنق[2] ، مقلوبُ اللّسان ، مشوَّه الخَلْق ، فاحش القُبْح . ولم يفلِحْ[3] ذو أربعٍ قطُّ قصيرُ العُنق فى طلبٍ ولاهرب . ولو[لا] أنّ مسلوخَ الثّور[4] يجول فى إهابه، ولولاسعته وغَبيه ، لما خَطَا[5]

(١) زهرة ، بفتح الزاى ، كما فى القاموس (زهر) . وجؤية ، أوله جيم ، كما فى ل وتاج العروس (زهر) قال : « وهو الصواب . ويقال فيه زهرة بن حوية بالحاء المهملة المفتوحة وكسر الواو . وقيل إنه تابعى ، كما حققه الحافظ . وقيل صحابى» . انظر الإصابة ٢٨١٥ . وفيما عدا ل : «حيوة» تحريف . وجاء فى نسخة القاموس المطبوعة : « بن جويرية » .

(٢) فيما عدا ل : « صغير العنق » .

(٣) فيما عدا ل : « ولم يصلح » .

(٤) فيما عدا ل : « سلاح الثور » تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « ولولا سعته ماخطا » .

مع قِصَر عنُقه . ولذلك قال الأعرابى[1] : « [ومن جَمَل الأَوْقَص كالأعْنق والمطبّق كالضابع[2] » . و] قال الشّاعر فى غَبَب الثَّور[3] ، وهو إسحاق ابن حسان الخُرَيمى[4] :

وأغلبَ فضفاضٍ جلد اللَّبَانِ يُدافــع غبغَبَه بالوظيفِ

وليس يُؤْتى البعيرُ فى حُضره[5] مع طول عنقه إلاّ من ضيقِ جِلْده.

والفيلُ ضئيل الصَّوت ، وذلك من أشدّ عيوبه . والفيل إذا بَلَغ فى الغلمة أشدّ المبالغ[6] أشبَهَ الجملَ فى تَرْك الماء والعلَف حتّى تنضمّ أيْطَلاه ويتورّم رأسه[7] . وقد وصف الرّاجزُ الجملَ الهائج فقال :

سامٍ كأنّ رأسَــه فيه وَرَمْ[8] إذْ ضَمّ إطْليهِ هِياجٌ وقَطَمْ[9]

* وآضَ بعد البُدْنِ ذا لحمٍ زِيَمْ[10] *

---

(١) ط : « أعرابى » . وبعد هذه الكلمة موضع بياض فى كل من س ، و وأصل المطبوعة.

(٢) الأوقص : القصير العنق . والأعنق الطويلها . والمطبق : الذى يثب فتقع قوائمه بالأرض معا . والضابع : الذى يمد ضبعه فى سيره ، والضبع : العضد .

(٣) الغبب : الجلد المتدلى تحت الحنك . فيما عدا ل : « عيب الثور » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « بن حبان » تحريف . وكلمة « الخريمى » ساقطة من ل . وهى فى سائر النسخ « الجريمى » والصواب ما أثبت . وقد سبقت ترجمة إسحاق الخريمى فى (١ : ٢٢٤ — ٢٢٥) .

(٥) فيما عدا ل : « فى ظهره » .

(٦) ط ، و : « المبالغة » وكلمة « أشد » ساقطة من ل .

(٧) فيما عدا ل : « وترم رأسه » تحريف .

(٨) فيما عدا ل : « ودم » تحريف .

(٩) الإطل ، بكسرتين وبكسرة ، والأيطل أيضا : الخاصرة . والقطم : شهوة الضراب . فيما عدا ل : « أيطلا هياج فقطم » تحريف .

(١٠) زيم : متفرق ليس بمجتمع . وفيما عدا ل : « ودم » تحريف .

ولو لم يكنْ فى الفِيَلة من العيب[١] إلا أن عِدَّةَ أيام حملها[٢] كعمر بعض البهائم ، لكان ذلك عيباً .

وقد[٣] ترك أهلُ المدينة غِراسَ العَجْوة ، لمَّا كانت [لا] تطعِمُ إلاَّ بعد أربعين سنة .

(قدرته على حمل الأثقال)

قال : وليس شىء يحمل من عدد الأرطال مايحمِل الفيلُ ؛ لأنّ الذى يفضُل [فيما] بين حِمْل الفيل وحِمْل البُخْتىّ أكثرُ مِن قَدْرِ ما يفضُل بين جسم الفيل على جسم البُخْتىّ .

وقد قال الأعرابىُّ الذى أُدخِلَ[٤] على كِسرى ليَعْجب[٥] من جفائه وجَهْله ، حين قال له : أىُّ شىء أبعَدُ صوتاً ؟ قال : الجمل . قال : فأىُّ شىء أطيَبُ لحماً ؟ قال : الجمل . [قال : فأى شىء أنهض بالحِمل ؟ قال : الجمل] . قال كسرى : كيف يكون الجملُ أبعَدَ صوتاً ونحن نسمَعُ صوتَ الكُرْكىِّ من كذا وكذا ميلاً ؟ قال الأعرابى : ضَعِ الكُرْكىَّ فى مكان الجمل ، وضَعِ الجملَ فى مكان الكُرْكىِّ حتى يُعرفَ[٦] أيُّهما أبعَدُ صوتاً . قال : وكيف يكون لحمُ الجمَلِ أطيبَ من لحم البطِّ والدَّجاج والفِراخ

---

(١) فيما عدا ل : « عيب » .

(٢) فيما عدا ل : « عدد أيام عمرهم » تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « ولو » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « دخل »

(٥) فيما عدا ل : « ليتعجب » .

(٦) فيما عدا ل : « حتى تعلم » .

والدُّرّاج والنَّواهض والجِداء[١] ؟ قال الأعرابىّ : يُطبَخ لحمُ الدَّجاج بماء ٥٩
ومِلح ، ويُطبَخ لحم الجملِ بماء وملح ، حتى يُعرَف[٢] فضل ما بين
اللحمَين . قال كِسرى : فكيف تزعُم أنّ الجملَ أحملُ للثِّقل[٣] من الفيل
والفيلُ يحمل كذا وكذا رطلا ؟ قال الأعرابىّ : ليبرك الفيلُ وَيبرك
الجمل ، وليُحمَل [على] الفيل حِمْل الجمل ، فإنْ نهض به فهو أحملُ للأثقال .

قال القوم : ليس فى استطاعة الجمال النهوضَ بالأحمال[٤] ما يوجب
لها فضيلةً [على حَمْل ماهو أثقل . ولعمرى ، إنَّ للجمل بلِين أرساغه وطُول
عنقِه لَفضيلةً فى]النُّهوض بعد البروك[٥] ، فأمّا نفس الثقل[٦] فالذى بينهما
أكثر من أن يقع بينهما الخيار .

قالوا : و بِفارسَ ثِيرانٌ تحمِل حِملَ الجملِ باركةً ثم تنهض به[٧] . فهذا
باب الذمّ .

(مناقب الفيل)

[فأمّا باب الحَمْدِ] فقد حُدِّثنا عن شُرَيكٍ ، عن جَابر الجُعْفى ، قال :
رأيت الشعبىَّ خارجاً فقلت له : إلى أينَ[٨] ؟ قال أنظرُ إلى الفيل .

قال : وسألتُ أبا عبيدةَ فقلتُ : مالونُ الفيل ؟ قال جَوْن .

---

(١) الجداء : جمع جدى . وانظر لطيب لحمه مامضى فى (١:٢٣٣ / ٢ : ٢٤٩/٤ :
٤٠ / ٥ : ٤٨١ — ٤٨٢) . فيما عدا ل : « الجوازل » جمع جوزل ،
وهو فرخ الحمام .

(٢) فيما عدا ل : « حتى تعرف » .

(٣) فيما عدا ل : « الثقيل » .

(٤) فيما عدا ل : « الجمل النهوض بالأحمال » تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « النزول » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « الفيل » .

(٧) فيما عدا ل : « ثم ناهضة » .

(٨) بدله فيما عدا ل : « فقلت له أين تريد » .

(ما يحث به الفيل)

ومن أعاجيب الفيل [أنَّ] سَوطه الذى به يُحَثُّ ويصرَّف[1] ، مِحجَنُ حديدٍ[2] طرفُه فى جبهته ، والطَّرَف الآخَر فى يد راكبه ، فإذا أراد منه شيئاً غمزَ تلك الحديدةَ فى لحمه ، على قَدْر إرادته لوجوهِ التصرُّف .

(قصة الفيل)

وقد ذكر [ذلك] أبو قيس بن الأسلت فى الجاهليَّة . وهذا الشِّعر حجَّة فى صَرْفِ الله الفيلَ والطَّيرَ الأبابيل، وصدِّ أبى يَكسوم[3] عن البيت . وسنذكر من ذلك طرفاً إن شاء الله تعالى . قال أبو قيس[4] :

ومِن صُنْعِه يومُ فِيلِ الْحُبو ... شِ إذْ كُلَّما بَعثُوه رَزَمْ[5]
محاجِنُهم تحتَ أقرابِه ... وقد كَلَمُوا أنفَه فانخَرَمْ
وقد جعلوا سَوْطَه مِعْوَلاً ... إذا يَمَّمُوه قفاهُ كَلِمْ[6]
فأرسَلَ من فوقهم حاصِباً ... يلفُّهم مثلَ لَفِّ القَزَمْ[7]

---

(١) فيما عدا ل : « ويضرب » .
(٢) ط ، ه : « بمحجن حديد » تحريف .
(٣) أبو يكسوم : كنية أبرهة ملك الحبشة الذى وجه الفيل لهدم البيت . انظر ما سبق فى حواشى ص ١٠١ . ل : « وجند اليكسوم » تحريف .
(٤) أنشد هذه الأبيات ابن إسحاق فى السيرة ٣٩ جوتنجن . قال ابن هشام : « وهذه الأبيات فى قصيدة له . والقصيدة أيضاً تروى لأمية بن أبى الصلت » .
(٥) فى الأصل والسيرة : « كل ما » . ورزم : لم يقدر على النهوض رزاما ورزالا . فيما عدا ل : « وزم » تحريف .
(٦) ل : « وقد جعلوا وسطه » س : « صوته » صوابهما فى ط ، ه والسيرة .
(٧) ل : « فوقهم صاحبا » وفيما عدا ل : « من ربهم حاصب » وتصح هذه الأخيرة ببناء الفعل للمجهول . وأثبت ما فى السيرة . والقزم ، بالتحريك : صغار الغنم . فيما عدا ل : « القرم » صوابه فى ل والسيرة .

[و] قال أيضاً صَيْفِيُّ بنُ عامرٍ ، وهو أبو قيس بن الأسلت ، وهو رجلٌ [يمانٍ] من أهل يثرب ، وليس بمكيّ [ولا] تَهامٍ [1] ولا قُرَشِيٍّ ولا حَليفٍ قرشيّ ، وهو جاهليّ :

قُومُــوا فصلُّوا رَبَّكم وتعوّذُوا بأركان هذا البيتِ بين الأخاشبِ [2]

فعندكمُ منــهُ بَلاءٌ مصدَّقٌ غداةَ أبي يَكْسُومَ هادِي الكتائبِ

فلمَّا أجازُوا بطنَ نُعمانَ ردَّهُم جُنُودُ الإلٰه بين سافٍ وحاصبِ

فولَّوْا سِرَاعًا نادِمِينَ ولم يؤُبْ إلى أهلهِ مِلْحُبْشِ غيرُ عصائبِ [3]

ويدلُّ على صحّة هذا الخبرِ قول طُفَيلٍ الغَنَوِيّ ، وهو جاهليّ ، وهذه الأشعارُ صحيحةٌ معروفةٌ لا يرتاب بها [4] أحد من الرُّواة ، وإنما قال [5] ٦٠
ذلك طُفيلٌ لأنّ غَنِيًّا [6] كانت تنزل تِهامة ، فأخرجتها كِنانةُ فيمن أخرجَتْ ، فهو قوله :

تَرْعَى مَذَانِبَ وَسْمِيٍّ أطاعَ له بالجِزْعِ حيثُ عَصَى أصحابَهُ الفِيلُ [7]

---

(١) تَهام ، بالفتح : نسبة الى تهامة بالكسر . فيما عدا ل : « تهامي » وهذه بكسر التاء نسبة قياسية .

(٢) الصلاة هنا بمعنى الدعاء . والأخاشب ، أراد بهما الأخشبين ، وهما جبلا مكة : أبو قبيس والأحمر . والأبيات في السيرة ٣٩ — ٤٠ جوتنجن .

(٣) ط ، س : « ملجيش » ل : « مل جيش » هو : « ملحس » والوجه ما أثبت من السيرة .

(٤) فيما عدا ل : « فيها » .

(٥) هذه الكلمه ساقطة من س . وفي ط ، هو : « ذكر » .

(٦) فيما عدا ل : « تحتها » .

(٧) المذانب : جمع مذنب ، وهو مسيل ما بين كل تلعتين . فيما عدا ل : « مذالف » تحريف . وانظر ديوان طفيل ص ٣٠ .

قال أبو الصَّلت ، واسمه ربيعة ، وهو أبو أميَّة بن أبي الصَّلت ، وهو ثَقَفِيٌّ طائفيٌّ ، وهو جاهليٌّ ، وثقيفٌ يومئذ أضداد بالبلدة وبالمال وبالحدائق والجنان[(١)] ، ولهم اللاتُ والعَبْعَب[(٢)] ، وبيتٌ له سَدَنَة يضاهِئُون[(٣)] بذلك قريشاً . فقال [مع اجتماع] هذه الأسباب[(٤)] التي توجب الحسدَ والمنافسة :

إنَّ آياتِ ربِّنا بيِّناتٌ ما يُمارِي فيهنَّ إلاَّ الكَفُورُ[(٥)]
حَبَسَ الفِيلَ بالمغمَّس حتَّى ظَلَّ يَحْبُو كأنَّه معقورُ[(٦)]
واضعاً حَلْقَةَ الجِرانِ كما قُطِّ رَ صخرٌ من كَبْكَبٍ محدورُ[(٧)]

وقال بعضهم[(٨)] لأَبْرَهَةَ الأشرم :

أينَ المفرُّ والإلهُ الطالبْ والأشرمُ المغلوبُ غير الغالبْ

وقال عبد المطَّلب [يوم الفيل] وهو على حِراء :

لا هُمَّ إنَّ المــــرءَ يمـ ـنَعُ رَحْلَه فامْنَعْ حِلالَكْ[(٩)]

---

(١) فيما عدا ل : « وبالجفان » تحريف .

(٢) العبعب ، بتكرار العين المهملة، ويقال أيضا بتكرار المعجمة.

(٣) المضاهاة والمضاهأة : المشاكلة والمعارضة . وقرئ (يضاهئون) و (يضاهون) .
فيما عدا ل : « يضاهون » .

(٤) فيما عدا ل : « الأشياء » .

(٥) الأبيات مع زيادة في السيرة ٤٠ جوتنجن . وتنسب أيضا إلى أمية بن أبي الصلت كما في السيرة ومعجم البلدان (المغمس) .

(٦) المغمس ، بتشديد الميم المفتوحة : موضع قرب مكة في طريق الطائف ، مات فيه أبو رغال . ل فقط : « ظل يكبو » .

(٧) الجران : باطن عنق البعير . فيما عدا ل : « خلفه الجوار » . قطر : أي ألقي على قطره ، وهو جانبه . فيما عدا ل : « قطر » تحريف . وكبكب : جبل خلف عرفات .

(٨) هو نفيل بن حبيب ، كما في السيرة ٣٦ .

(٩) الحلال ، بالكسر : متاع الرحل . فيما عدا ل : « رحالك » وما أثبت من ل هو رواية السيرة ٣٥ .

لا يغلبنّ صليبُهم ومِحَالُهم أبداً مِحالكْ[1]

إنْ كنتَ تاركَهم وقِبْلتَنا فأمرٌ ما بدالكْ

وقال نُفَيل بن حَبيب الخثعميّ، وهو بجاهليّةٍ شهدَ الفيلَ وصُنْعَ الله في ذلك اليوم[2] :

ألاَ رُدِّى جِمالَكِ يارُدَيْنا نَعِمْنا كُمْ مع الإصْباحِ عَيْنا[3]

فإنَّكِ لو رأيتِ ولَنْ تَرَيْهِ لدَى جنْبِ المحصَّبِ مارأينا[4]

أ كلُّ الناس يَسْأَلُ عن نُفَيلٍ كأنَّ علىَّ للحُبْشانِ دَيْنا

حَمِدْتُ اللهَ أنْ عايَنْتُ طيراً وحَصْبَ حجارة تُلْقَى علينا[5]

وقال المغيرةُ بنُ عبدِ الله المخزوميّ :

أنتَ حبستَ الفيلَ بالمغمَّسْ حبَسْتَه كأنَّهُ مُكَرْدَسْ

* مُحتبَسٌ تَزهقُ فيه الأنفُسْ *

٦١ قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ[6] . أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ . وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ . فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ . وأنزل هذه السورةَ وقريشٌ يومئذٍ مُجْلِبون[7] فى الردّ على النبى صلى الله عليه وسلم ، وما شيءٌ

(١) س ، ل : « جهلا وماجمعوا محالك » .
(٢) فيا عدا ل : « وصنع الله عز وجل فى ذلك اليوم » .
(٣) الجمال : جمع جمل . ل ، س : « حمالك » بالمهملة ، جمع حمل . ورواية السيرة ٣٦ ، ومعجم البلدان (٨ : ١٠٤) : « ألا حييت عنا يارديتا » . « نعمنا كم » قال السهيلى فى الروض الأنف ٤٦ : « دعاء » ، أى نعمنا بكم ، فعدى الفعل لما حذف حرف الجر . وهذا كما تقول : أنعم الله بك عينا » .
(٤) فيا عدا ل : « إلى جنب المحصب » .
(٥) ل : « وخصب » تحريف . وفى السيرة ومعجم البلدان : « وخفت » .
(٦) بعدها فيا عدا ل : « إلى آخر السورة » .
(٧) ط ، ع : « مجلية » تحريف . وفى س : « مجلبة » وأثبت ما فى ل .

أحبّ إليهم من أن يَرَوْا له سَقطةً أو عَثْرَةً أو كِذْبة ، أو بعضَ ما يتعلّق به مثلهم ، فلولا أنّه كان أذكَرَمُ أمراً لا يتدافعونه[1] ولا يستطيع العدوُّ إنكارَه، للذى يُرَى من إطباق الجميع عليه ، لوجدوا أكبرَ المقال[2]. فهذا بابٌ يكثُر الـكلام فيه ، وقد أتينا عليه فى (كتاب الحُجّة) .

وقال[3] : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾ مثل قوله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ وقال ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ المَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ . وهذا كلُّه ليس من رؤية العين لنا .

(استطراد لغوى)

وباب آخرُ من هذا ، وهو قوله : ﴿ وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ . ويقول الرجُل : رأيتُ الرّجلَ قال كذا وكذا ، وسمعتُ الله قال كذا وكذا ، وفلانٌ يرى السّيف ، وفلان يَرَى رأىَ أبى حنيفة ، وقد رأيت عقلَه حسنا . وقال ابن مُقبل :ـ

سَلِ الدّارَ مِنْ جَنْبَىْ حِبِرٍّ فَوَاهِبٍ   بحيثُ يُرَى هَضْبُ القليبِ المضيَّحُ[4]

---

(١) فيا عدا ل : « يتدافعون » .

(٢) فيا عدا ل : « أكثر المقال » .

(٣) الـكلام من هنا إلى نهاية قول الـكميت فى ص ٢٠١ : « خطاف وسرحة والأجدل » موضعه فيا عدا ل بعد كلمة « تصرف بنى الفيل » الواردة فى ص ٦٣ من الأصل المطبوع . وورد قبلها فيا عدا ل : « يوصل هذا الموضع بالباب الذى فيه ألم تر كيف فعل ربك » وهى عبارة إلحاق لمسودة الأصل.

(٤) فيا عدا ل : « حين جبير براهب » تحريف . وقد سبق البيت فى (٢ : ٢٠٣) .

وإذا قابل الجبلُ الجبلَ فهو يراه ، إذْ قام منه مقامَ الناظر الذى ينظر إليه .

وتقول العرب: دارُ فلانٍ تَنْظر إلى دارفلان، ودُورُ بنى فلان تتناظر[١] .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أنا برىءٌ من كلّ مسلمٍ مع مشرك » قيل : ولم يا رسول الله ؟ قال : « لاتتراءى ناراهما[٢] » .

ويقولون : إذا استقمت[٣] تلقاء وجهك فنظَر إليك الجبلُ فخُذْ عن يمينك . وقال الكميت :

وفى ضِبْنِ حِقْفٍ يرَى حِقْفَهُ ... خَطافِ وسَرْحَةُ والأحْدَلُ[٤]

(جسامة الفيل)

قال أبو عثمان : خرجتُ يومَ عيدٍ ، فلما صِرت بعيساباذ[٥] إذَا أنا بتلٍّ مُجَلَّلٍ بقطوع ومقطَّعات[٦] ، وإذا رِجالٌ جلوسٌ ، عليهم أسلحتُهم[٧]

---

(١) فى الأصل : « ودور فلان تتناظر » تحريف وفى (٢ : ٢٠٤) : « ودورنا تتناظر » .

(٢) سبق الحديث فى (٢ : ٢٠٣) .

(٣) فيما عدا ل : « استقبلت » .

(٤) سبق البيت فى (٢ : ٢١) وهذا البيت فى ل فقط وليس فى سائر النسخ . والضبن ، بالكسر : الناحية ، يقال أخذ فى ضبن من الطريق ، أى ناحية منه . وفى الأصل : « ضين » تحريف . والحقف ، بالكسر : ما اعوج من الرمل ، جمعه أحقاف . والأحدل ، بالحاء المهملة : اسم كلب ، كما فى القاموس (حدل) وفى الأصل : « الأجدل » تحريف .

(٥) عيساباذ : محلة كانت بشرق بغداد ، منسوبة إلى عيسى بن المهدى ، ومعنى « باذ » بالفارسية العمارة . ط ، س : « بقساد » ‌‌، ‌ه : « بعساد » صوابها فى ل .

(٦) فيما عدا ل : « وإذا فيل مجلل بقطوع ومقطعات » تحريف . وفى اللسان (١٠ : ١٥٦) : « والقطع – يعنى بالكسر – : ضرب من الثياب للوشاة ، والجمع قطوع . والمقطعات برود عليها وشى مقطع » .

(٧) فيما عدا ل : « الأسلحة » .

فسألتُ بعضَ مَن يشهدُ العيد[1] فقلتُ : ما بال هذه المَلْحمة في هذا المكان وقد أحاطَ النّاس[2] بذلك التلّ ؟ فقال [لي] : هذا الفيلُ ! فقصدتُ نحوَه ومالي هَمٌّ إلاّ النّظرُ إلى أذنيه ، [فرجعتُ عنه بعد طول تأمُّل وأنا أتوهّم عامّة أعضائه بل جميعَ أعضائه إلاّ أذنَيه] ، وما كانت لي في ذلك عِلّةٌ إلاّ شَغْلَ قلبي بكلِّ شيءٍ هجمتُ عليه منه ، وكلُّه كان شاغلاً [لي] عن أذنه التي إليها كان قَصْدي ، فذاكرتُ في ذلك سَهل بنَ هارون ، فذكر لي أنّه ابتُلِيَ بمثلها ، وأنشد [ني] في ذلك بيتين من شعره ، وهما قوله :

أتيتُ الفيـلَ محتسِبا بقَصْدي لأُبصِرَ أذنَه ويطولَ فِـكْرِي
فـلم أرَ أذْنَه ورأيتُ خَلْقاً يقرِّب بين نِسياني وذِكرِي

(أعجب الأشياء)

قال : وقال رجلٌ مرّةً : أخزى الله الفيل [فما أقبحه] . فقال بكر ابن عبد الله [المزَنيّ] : لا تشتم شيئاً جعـلَه الله آيةً في الجاهليّة ، و إرهاصاً للنبوّة .

وقال سعدان الأعمَى النحوي[3] : قلتُ للأصمعيّ : أيُّ شيءٍ رأيت أعجبُ ؟ قال[4] : الفيل .

---

(١) فيما عدا ل : « من شهد العيد » .

(٢) فيما عدا ل : « اختلط الناس » .

(٣) هو أبو عثمان سعدان بن المبارك الضرير ، كان مولى عاتكة مولاة المهدى ، وكان من رواة العلم والأدب البغداديين ، يروى عن أبى عبيدة . انظر نزهة الألباء وبغية الوعاة وتاريخ بغداد ٤٧٨١ .

(٤) فيما عدا ل : « فقال » وكذا زيدت الفاء على « قال » فيما عدا ل في سائر هذه المجموعة من الأخبار .

وقيل لابن الجهم[1] : أىُّ أمورِ الدُّنيا أعجب ؟ قالَ : الشَّمّ .

وقيل لإبراهيم النظّام : أىُّ أمور الدُّنيا أعجب[2] ؟ قال : الرُّوح .

وقيل لأبى عقيل بن دُرُسْت : أىُّ أمورِ الدُّنيا أعجب ؟ قال . النَّوم واليقَظة .

وقيل لأبى شمر : أىُّ أمورِ الدُّنيا أعجب ؟ قال : النِّسيان والذِّكر .

وقيل لسلم الحَلاَّل[3] : أىُّ أمور الدُّنيا أعجب ؟ قال : النار .

وقيل لبَطْلَيْمُوس : أىُّ أمورِ الدُّنيا أعجب ؟ قال بَدَنُ الفلك[4] . وقال مرّةً أخرى : الضِّياء .

وقيل لأبى [علىٍّ] عمرو بن فائدٍ الأُسْوارىّ[5] : أىّ شىءٍ [ممّا رأيت] أعجب ؟ قال : الآجال والأرزاق .

وكان إبراهيم بن سيَّارٍ النَّظامُ شديدَ التعجُّب من الفيل[6] .

وكان مَعْبَدُ بنُ عُمَرَ[7] يقول : إنَّ السرطان والنعامة أكثر عجائبَ من الفيل . وهذا [كله] تفسير[8] .

---

(١) هو محمد بن الجهم البرمكى ، سبقت ترجمته فى (٢ : ٢٢٦) . فيما عدا ل : « لأبى الفيل » .

(٢) الكلام بعد كلمة « أعجب » الأولى ، إلى هنا ساقط من ل .

(٣) فيما عدا ل : « لسالم الحلال » .

(٤) فيما عدا ل : « بطن الفلك » .

(٥) سبقت ترجمته فى (٦ : ١٩١) . فيما عدا ل : « عمرو بن فايل » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « فى الفيل » .

(٧) فيما عدا ل : « سعيد بن عمرو » .

(٨) فيما عدا ل : « وهذا تفسير » .

(قول الخضر فى بعض الدواب)

أبو عقيل السَّوَّاق ، عن مُقاتل بن سليمان ، قال : قال موسى للخضر[1] : أىُّ الدَّوابِّ أحبُّ إليك ، وأيُّها أبغض ؟ قال : أُحِبُّ الفرسَ
٦٢ والحمارَ والبعيرَ لأنَّها [من] مراكب الأنبياء ، وأُبغِض [الفيل و[2]] الجاموسَ والثَّور .

فأمَّا البعير فمركب هُودٍ وصالحٍ وشُعيب والنبيِّين عليهم السلام ، وأما الفرَس فمركب أُولِى العزْم من الرّسل وكلِّ من أمرَهُ الله بحمل السِّلاح وقتالِ الكفَّار ، وأمَّا الحِمار فمركب عِيسى بن مَرْيم وعُزَير وبَلعَم[3] . وكيف لا أحبُّ شيئاً أحياه الله بعدَ موته قبل الحَشْر[4] .

قال : ولمَّا نظر الفضلُ بن عيسى الرَّقاشىُّ إلى سَلْم بن قُتيبة[5] على حمارٍ يريد المسجد قال : قِعْدة نَبيٍّ وبِذْلة جَبَّار[6] .

وأُبغض الفيل لأنَّه أبو الخنزير[7] ، وأبغض الثَّور لأنَّه يشبه الجاموس ، وأبغض الجاموسَ لأنَّه يشبه الفيل .

وأنشد [نى] فى هذا المعنى جَعفرُ ابنُ أختِ واصل ، فى منزل الفضل ابن عاصم الباخَرزىّ[8] :

---

(١) الخضر النبي صاحب موسى الذى التقى معه بمجمع البحرين . وهو بفتح فكسر . وفى اللسان : « يجوز فى العربية الخضر — أى بالكسر — كما يقال كبد وكبد . قال الجوهرى : « وهو أفصح » .

(٢) هذه التكملة من ل ، س .

(٣) ل : « بلعوم » .

(٤) إشارة إلى قصة الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها ، فأماته الله هو وحماره مائة عام ثم بعثهما . انظر التفاسير للآية ٢٥٩ من سورة البقرة .

(٥) فيما عدا ل : « مسلم بن قتيبة » تحريف .

(٦) البذلة ، بالكسر ، هو من الثياب ما يلبس ويمتهن ولا يصان .

(٧) ط ، ه : « الخنازير » .

(٨) فيما عدا ل : « الناجورى » .

ما أبغضَ الخضرُ فيلاً منذُ كان ولا … أحبَّ عيراً وذا كم غايةُ الكذبِ
[وكيف يُبغِض شيئاً فيه معتبَرٌ … وكان فى الفلك فرّاجاً من الكُرَبِ]
والفيـلُ أقبَلُ شىءٍ لو تُلقِّنُه … حاجاتِ نفسِكَ مِن جِدٍّ ومن لعِبِ
ولو تتوَّجَ فينا واحدٌ فرأى … زىَّ الملوكِ لقد أوفى على الرُّكَبِ (١)
يُغْضِى ويَرْكَعُ تعظيماً لهيبته … وليس يعدِلُه النَّشوانُ فى الطربِ (٢)
[وليس يجذَل إلاَّ كلُّ ذى نَفَرٍ … حُرٍّ ومَنبِته مِن خالص الذَّهبِ
مثل الزُّنوج فإنَّ اللهَ فضَّلهم … بالجود ... والتَّطويل فى الخطبِ]

قال : أنشدنيها يونس لابن رياح الشارزنجىّ(٣). فمدَحَ الفيل(٤) كما ترى بالطَّرب والحِكاية ، وأنَّه قد أُدِّب وعُلِّم السجودَ للملوك .

(سجود الفيل للملك)

وزعموا أنَّ أوَّلَ شىءٍ يؤدِّبونَه بهِ السُّجودُ للملك(٥) ؛ قالوا : خرج كِسرى أبرويز(٦) ذات يومٍ لبعض الأعياد ، وقد صفُّوا له ألفَ

(١) ط ، س : « منها » وفيما عدا ل : « واحد لرأى رأى الملوك ولو أوفى » . وفى ل : « عن الركب » . يقول : إذا توج أحدنا فرأى الفيل عليه زى الملوك وشارة السلطان أوفى الفيل على ركبه ساجدا ، وذلك أن الفيلة قد علمت السجود للملوك .

(٢) فيما عدا ل : « النشوان » .

(٣) فيما عدا ل : « أنشدنيها يونس بن رياح » تحريف . وقد سبق بعض تحقيق هذا العلم فى (١ : ٢٧٠) . وقد اختلف فى اسمه ، فقيل سنيح بن رباح ، كما سبق فى الجزء الأول . وقيل رباح بن سنيح كما فى الكامل ٤١٥ ليبسك ، وقيل رباح بن سبيح ، وسبيح بن رباح كما فى اللسان (طول) : وقال ابن الأثير فى الكامل (٤ : ١٦١) فى ذكر فتنة الزنج أيام مصعب بن الزبير : « وجعلوا عليهم رجلا اسمه رباح ، ويلقب شيرزنجى ، يعنى أسد الزنج » .

(٤) فيما عدا ل : « وهو يمدح الفيل » .

(٥) فيما عدا ل : « أن أول شئ يؤدّبونه بالسجود للملك الفيل » .

(٦) ل : « أبرواز » . وانظر ماسبق من التنبيه فى ص ١٨١ .

فيل[1] ، وقد أحدق[2] [به و] بها ثلاثونَ ألفَ فارسٍ ، فلما بصُرتْ به الفِيَلةُ سجدتْ له ، فما رفعتْ رأسَها حتَّى جُذِبت بالمحاجن وراطَنَها الفيَّالون ، وقد شهد ذلك المشهدَ جميعُ أصناف الدوابِّ : الخيلُ فما دونها[3] ، وليس فيها شيءٌ يفصِل بين الملوكِ والرعيَّة[4] ، فلما رأى ذلك كِسرى قال : ليت أنَّ الفيلَ كان فارسيًّا ولم يكن هنديًّا ، انظُروا إليها وإلى سائر الدوابِّ ، وفضِّلوها بقدر ما تَرون من فَهْمها وأدبها .

وأما ماذَكَرَ بِهِ الزَّنجَ[5] من طول الخُطَب فكذلك هُمْ في بلادهم وعند نوائبهم ، ولكنَّ معانيَهم لا ترتفع عن أقدار الدوابّ إلاَّ بما لا يذكر[6] .

(ما قيل فى تعظيم شأن الفيل)

وأنشدوا[7] فى تعظيم شأن الفيل وصحة نظره وجَودة تحديقه وتأمُّله وسكونِ طرْفه — [والشّعر لبعض المتكلِّمين] :

إذا ما رأيت الفيل ينظر قاصداً ظننت بأنَّ الفيلَ يلزمُه الفرْضُ[8]

[وقد قيل إن الشِّعر لسهل بن هارون] .

---

(١) فيما عدا ل : « وقد وضعوا له ألف فيل » .

(٢) ل : « أحدقت » .

(٣) فيما عدا ل : « والخيل فما دونها » بزيادة واو .

(٤) يفصل : أى يميز ويعرف الملوك من غيرهم . فيما عدا ل : « الملك » .

(٥) إشارة إلى البيت الذى سبق فى ص ٢٠٥ س ٧ . ل : « ماذكره الزنج » وفيما عدا ل : « ماذكرته الزنج » والوجه ماأثبت .

(٦) فيما عدا ل : « إلا ما لا يذكر » .

(٧) فيما عدا ل : « وأنشدنا » .

(٨) سبق البيت فى ص ١٨٢ .

(مثل النون والضب)

وقال عبد الأعلى [القاص[1] : يقال] فى المثل : إنَّ النون قال للضب حينَ رأى إنسانًا فى الأرض : إنى قد رأيتُ عجبًا . قال : وما هو ؟ قال : ٦٣
رأيتُ خَلْقًا يمشِى على رِجْليه ، و يتناول الطعام بيديه [فَيَهْوِى به] إلى فيه
قال : إنْ كان ما تقولُ حقًّا فإنّه سيُخرجُنى من قعر البحر ، ويُنزِلُك من وَكْرك من [رأس] الجبل .

(تناول الفيل والقرد طعامه)

والفيل أعجبُ منه ؛ لأنَّ يده أنفهُ[2] ، وأيدى البهائم والسِّباع على حال عاملة شيئاً[3] ، والقردُ يأكل بيديه وَيَنْقِى الجَوزة[4] ويتفلَّى ويَفْلِى أنثاه[5] . وليس شىء يكرَع بأنفه ويُوصل الطّعامَ إلى فيه بأنفه غير الفيل .

(إطعام الدب ولدها)

والدبُّ الأنثى تُقيم أولادَها تحت شَجرةِ الجوز ، ثم تصعَد الشَّجرةَ فتجمَع الجوزَ فى كفها ، ثم تضرب باليمنى على اليسرى فتحطم ذلك الجوز ، فترمِى به إلى أولادها ، فلا تَزال كذلك حتّى إذا شبِعْنَ نزلَتْ .

---

(١) فى الأصل — وهو هنا ل — : « القاضى » تحريف . وقد سبق بعض خبره فى (١ : ١٠٧ / ٥ : ٢٢٥) .

(٢) فيما عدا ل : « لأن يده فه » تحريف .

(٣) كذا فى ل . وفيما عدا ل : « على ذلك عاملة شيئا » .

(٤) ينقيها : يستخرج لبها من القشر ؛ يقال نقى العظم نقيا استخرج نقيه . فيما عدا ل : « الجوز » .

(٥) بدله فيما عدا ل : « ويفلى ثيابه » تحريف .

وربّما قطع الدّبُّ من الشجرة الغُصْن [العَبْل] الضّخمَ الذى لايقطعه صاحب الفأس إلاّ بالجهد [الشّدِيد] ، ثم يشدّ به على الفارس قابضًا عليه[١] فى موضع مقبض العصا[٢] فلا يصيبُ شيئًا إلاّ هَتَكه .

(قلة تصرف يدى الفيل)

قال صاحب المنطق : ليس شىء من ذوات الأربع إلاّ وتصرُّف يديهِ فى الجهات أقلُّ من تصرُّف يدَى الفيل[٣] .

(شعر فى وصف جلد الفيل والجاموس)

وقال أبو عثمان : ويوصف جِلدُ الفيل و [جلدُ] الجاموس بالقوّة ، قال جميل :

إذا ما علَتْ نَشْزًا تمدُّ زِمامَها — كما امتدّ نِهىُ الأصْلَفِ المترقرقِ[٤]

وما يبتغِى مِنّى العُداةُ تقاقدوا — ومِن جِلدِ جاموسٍ سمينٍ مطرَّقِ[٥]

وأبيضَ مِن ماءِ الحديدِ اصطفيتُه — له بعد إخلاص الضّريبة رَوْنَق[٦]

---

(١) فيما عدا ل : « عليها » محرف .

(٢) فيما عدا ل : « قبض العلماء » تحريف .

(٣) بعد هذه الكلمة فيما عدا ل عبارة مقحمة تبتدئ من (ألم تر كيف فعل ربك) . وتنتهى إلى « فخذ عن يمينك » . وقبلها إشارة إلحاق نصها : « نوصل هنا الموضوع بالباب الذى فيه . . » وقد تنبه كاتب نسخة كوبريلى إلى هذه الإشارة فرد هذه العبارة إلى موضعها فيما سبق . انظر ص ١٩٩ — ٢٠١ .

(٤) النهى ، بالكسر : الغدير وكل موضع يجتمع فيه الماء . والأصلف : ما اشتد من الأرض وصلب . فيما عدا ل : « جلد الأصلف » تحريف .

(٥) تقاقدوا : دعاء عليهم ، أى فقد بعضهم بعضا . المطرق ، عنى به الغليظ ، كأنه طراق فوق طراق . ل : « جاموس بسبتين مطرق » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « من ماء الحديد مهند له بعض إخلاص ضريبة روتق » . و « ضريبة روتق » تحريف ، صوابه فى ل مع مافيه من الإقواء .

(شعر فيه ذكر الفيل)

وقال كعبُ بن زهيرٍ فى اعتذارِه إلى النبى صلى الله عليه وسلم :

لقد أقـــوم مقامًا لو يقومُ به   أرى وأسمعُ ما لَوْ يَسْمَعُ الفيلُ[(١)]
لظَلَّ يُرعَد إلاّ أن يكون له   مِن الرّسول بأمر الله تنويلُ[(٢)]

وذكر أمية بن أبى الصلت سفينةَ نوح فقال :

تصرخ الطَّـــيرُ والبريَّة فيها   مَعْ قوىِّ السِّباعِ والأفيالِ
[حين فيها من كُلِّ ما عاش زوجٌ   بين ظَهرَىْ غواربٍ كالجبالِ]

وقال أميّة أيضاً :

خَلَقَ النّخْل مُعْصِراتٍ تَرَاها   تعْصِف اليابسات والخُضُورا[(٣)]
والتَّماسِـيح والثيِّاتِل والأيِّـ   لَ شَـــتَّى والرِّيمَ واليعفورا[(٤)]
وصُواراً من النَّواشط عِيناً   ونعَامًا خواضِـــباً وحَمِيرا[(٥)]

---

(١) انظر توجيه ابن هشام لإعراب هذا البيت فى شرح بانت سعاد ٧٦ . فيما عدا ل : « مايقوم به » تحريف . وفى ل : « مالايسمع الفيل » محرف .

(٢) فى بانت سعاد : « بإذن الله تنويل » . والتنويل : العطية . ل : « بإذن الله تنزيل » وهذه الكلمة الأخيرة محرفة .

(٣) فى اللسان : « الخضر والخضـــور اسمان للرخص من النبات » . ط ، هـ : « والحظورا » صوابه فى ل ، س .

(٤) الثياتل : جمع ثيتل ، وهو الوعل . ط ، هـ : « والرتائل » س : «والسنايل» صوابهما فى ل . والرئم : الظبى الخالص البياض . واليعفور : الظبى الذى لونه كلون العفر ، وهو التراب . فيما عدا ل : «والصعفورا» تحريف . وقد ورد البيت محرفا فى اللسان (ثتل) .

(٥) الصوار ، بالكسر والضم : القطيع من البقر . والنواشط : جمع ناشط ، وهو الثور الوحشى يخرج من أرض إلى أرض . والخواضب : جمع خاضب ، وهو الظليم قد احمرت ساقاه . ط ، س : «ضواحيا» هـ : «صواحيا» صوابه فى ل .

وأسـوداً عوادِيا وفُيولاً   وسِـباعًا والنَّمْرَ والخِنزيرا[١]

(طيب عرق الفيل)

وتزعم الهند أنَّ جبهة الفيل فى بعض الزمان تَعرق[٢] عرقًا غليظًا غيرَ سائل ، يكون أطيبَ رائحة من المِسْك . وهذا شىء يعتريه كلَّ عامٍ . وموضعُ ذلك الينبوعِ فى جَبْهته .

(فأرة المسك والإبل)

والنَّاسُ يجِدُون رِيحَ المسك فى بيوتهم فى بعض الأحايين ، وهى رِيحُ فارةٍ يقال لها فارة المِسْك . [والذى يكون فى ناحية خراسان الذى يقال له فأر المسك] ليسَ بالفأر[٣] ، وهو بالخِشْف حين تضمُّه الظَّبيةُ أشبَه .

وتقول العرب فى فارةِ الإبلِ صادرةً ، إنَّ أرَجَ ذلك العرقِ أطيبُ من المسك الأذفَر فى ذلك الزَّمان ، وفى ذلك الوقت من اللَّيل والنهار .

قال الراعى :

لها فارةٌ ذَفْراءُ كلَّ عشيَّةٍ   كما فَتَق الـكافورَ بالمسكِ فاتقُه

قال الأصمعىّ : قلت لأبى مهدية[٤] ، [أو قيل لأبى مهدية] : كيف تقول لاطيبَ إلاّ المسك ؟ [قال : فأين أنت عن البان . قال : فقيل له :

---

(١) عواديا : من العدو أو من العدوان . ط : « عواريا » تحريف . فيما عدا ل : « والنمل » بدل « والنمر » تحريف .

(٢) ط ، ه : « بهيمة الفيل فى بعض الزمان يعرق » صوابه فى ل ، س .

(٣) فيما عدا ل : « وليس به » .

(٤) فى الأصل : « لابن مهدية » تحريف . وانظر ما سبق فى (٥ : ٢٠٩) .

فقل لاطيب إلا المسك والبان . قال :فأين أنت عن أدهانٍ بمحجَر . قالوا له : فقل لا طيبَ إلاّ المسك] والبانُ وأدهانٌ بمحجَر . قال : فأين أنتم عن فارة الإبل صادرة ؟

قالوا : وربّما وجدَ النّاسُ فى بيوتهم الجُرذَ يضرب إلى السّواد ، يجدونَ من بدَنه إذا عَدا إلى جُحْره رائحةً تشبه رائحةَ المسك . و بعضُ النّاس يزعم أنّ هذا الجنسَ هـــو الذى يَخْبأ الدّنانير والدراهمَ والحُلِىّ ، كما يصنع العَقْعق والغُراب . وهذا الجرذُ غير فأرة المسك التى تكون بخُراسان، وتلك بالخِشْف الصّغير أشبه ، و إنّما يأخذون سُرّته وهى ملأى[1] من دمٍ عَبيط .

(الآية فى الفيل)

قالوا : وقد جعل الله الفيلَ من أكبر الآيات وأعظمِ البُرْهانات للبيت الحرام ولقِبْلة الإسلام ، وتأسيساً لنبوّة النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وتعظيماً ٦٥
لشأنه ولما أجرَى[2] من ذلك على يدَىْ جدّه عبد المطلب ، حين غدَت الحبشةُ لِتهدمَ البيتَ الحرام وتُذِلّ العرب[3] ، فلم يذكر اللهُ منهم ملِكاً ولا سُوقةً باسمٍ ولا نسَب ولا لقب[4] وذكرَ الفيلَ باسمه المعروف، وأضاف السورةَ التى ذكر فيها[5] [الفيل إلى الفيل] ، وجعل فيه[6] من الآية أنهم

(١) فيما عدا ل : « ملآنة » وهما صحيحتان ، يقال ملآنة وملأى .
(٢) فيما عدا ل : « وما أجرى » .
(٣) ل : « حين غزت الحبشة لهدم البيت الحرام وإذلال العرب » .
(٤) فيما عدا ل : « نعت » .
(٥) ط فقط : « وأضاف إليه السورة التى ذكره فيها » .
(٦) فيما عدا ل : « فيها » .

[كانوا] إذا قصدُوا به نحوَ البيتِ تَعَاصَى و بَرَكَ[1] ، و إذا خلَّوه وسَوْمَه[2] صَدَّ عنه وصَدَف . وفى أضعاف ذلك التَمَّ أذنَه نُفيل بن حَبيب ، وقال : « أبرُكْ محمود[3] » وكان ذلك اسمَه .

(الطعن فى قصة الفيل)

وقد طعن فى ذلك ناسٌ فقالوا : قد يستقيم أن ينصرف عنه ويَحْرِدَ[4] دونَه ، كلّ ذلك بتصريف الله له[5] . وكيف يجوز أن يَفْهَم كلامَ العرب ويَعرفَ معنى قول نُفيل ؟ فإن قلتم[6] : [قد] يفهم الفيلُ عن الفيّال جميعَ الأدب والتقويم ، وجميعَ ما يريد منه[7] عند الحَطّ والرَّحيل ، والمُقام والمسير . قلنا : قد يَفهم بالهنديّة كما يعرف الكلبُ اسمَه ، ويعرفُ قولَهم اُخسأْ . وقد يعرف السنّورُ اسمَه ويعرف الدّعاء والزَّجْر ، وكذلك الطّفلُ والمجنون ، وكذلك الحمارُ والفرس إذا كُنّ قد عُوِّدْن تلك الإشارة ، وسماعَ تلك الألفاظ . فأمّا الفيل وهو هنديٌّ جابَه[8] إلى تلك البلدة حبشيٌّ ، فخرجَ من عُجْمة إلى عجمة ، كيف يفهمُ مع ذلك لسانَ العرب[9] ، وسِرار نُفَيل بن حَبيب بالعربيّة ؟

---

(١) ل : « تمصى وبرك » يقال تمصى الأمر اعتاص .

(٢) يقال خلاه وسومه ، أى تركه وما يريد . فيما عدا ل : « وشأنه » .

(٣) ط ، س : « جهور » هـ : « جهور » والصواب ما أثبت من ل مطابقا لما فى السيرة ٣٥ جوتنجن .

(٤) يحرد : يتنحى . س ، هـ : « يحرو » تحريف . ل : « يحزن » صواب هذه « يحرن » .

(٥) ل : « بتعريف الله له » .

(٦) ط ، س : « قلت » فقط ، تحريف . هـ : « قال قلتم » والصواب فى ل .

(٧) فيما عدا ل : « مايراد منه » .

(٨) فيما عدا ل : « جاء به » .

(٩) ط فقط : « كلام العرب » .

قلنا : قد يستقيم أن يكون قال له كلاماً بالهندية كان قد تعوّد سَماعه من الفيّالين ، فيكون ترجمته بالعربيّة هذا الكلامَ الذى حكَوْه . وقد يكون الذى أنطَقَ الذّئبَ لأُهبانَ بنِ أوس وجعل عود المنبر يحنّ(١) إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، أن يصوّر لوهم الفيلِ إرادةَ نُفَيل بن حبيب . وقد يستقيم مع لَقَن الفيل وذكائه وحكايته(٢) ومُؤاتاته ، أن يعرف ذلك كلَّه وأكثَرَ منه ، لطول مُقامه فى أرض الحبَشة واليمن . وليس يبعُد أن يكون بأرض الحبَشة جماعةٌ كثيرةٌ من العرب من وافد و باغٍ وتاجر ، وغيرِ ذلك من الأصناف ، فيسمع ذلك منهم الفيلُ [فيعرفه] . وليس هذا المقدارُ بمستنكَرٍ من الفيل ، مع الذى قد أجمَعُوا عليه من فَهم الفيل ومَعرفته.

وكان منكه المتطبّب(٣) الهندىّ صحيح الإسلام ، وكان إسلامُه بعد المناظرة والاستقصاء والتثبُّت ، قالوا : فسمع مَرّةً من رجل(٤) [وهو] يقرأ : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ ، وسمع بعضَ الجهال يقول : فكيف لو رأى الفيل ؟ فعذَلَه قوم ، فقال منكه : لا تعذُلُوه فإنّه لا شكّ أنّ خَلْق الفيل أعجَبُ ، فقيل له : فكيف(٥) لم يضرب به الله تعالى المثلَ دونَ البعير ؟ فقال [أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار النظام : فقلت له : ليس الفيلُ بأعجبَ من البعير . واجعَلْه يعجَّب من البعير . وهو(٦)]

---

(١) فيا عدا ل : « عود الهيثم يجيء » تحريف .

(٢) ط ، و : « وحكاياته » .

(٣) فيا عدا ل : « الطبيب » . ومنكه هذا أحد أطباء الهند الذين اجتلبهم يحيي بن خالد . انظر البيان (١ : ٩١) .

(٤) فيا عدا ل : « رجلا » .

(٥) فيا عدا ل : « قيل له كيف » .

(٦) هذه الكلمة من ل ، س ، و ، والكلام قبلها تكملة من ل .

٦٦ إنما خاطب العرب ، وهم الحجّةُ على جميع [أهل] اللغات ، ثم تصير [تلك] المخاطبةُ لجميع الأمم بعد الترجمة على ألسنة هؤلاء العرب ، الذين بهم بَدَأَت المخاطبة لجميع الأمم[1] . وكيف يجوز أن يعجِّب جماعةَ الأمم من شيء لم يروْه قطّ ، ولا كانَ على ظهرها يوم نزلَتْ هذه السورة رجلٌ واحد [كان] قد شهِد الفيلَ والحبشة[2] . وعلى أنّ الفيلَ وافَى مكّةَ وما بها أحدٌ إلاّ عبدُ المطلب فى نفير[3] من بقيّة النّاس ، ولا كانوا حيث يتأمّلون [الفيل] .

و [قد] قال ناسٌ : كان النّاسُ رَجلين[4] ، رجلٌ قد سمِع بهذا الخبر من رِجالات قريش الذين يجترُّون إلى أنفسهم[5] بذلك التّعظيمَ ، كما كانت السَّدنةُ تكذِب للأوثان[6] والأصنام [والأنصاب] ، لتجترّ بذلك المنافع[7] ، ورجلٌ لم يكن عندَه علمٌ بأنّ هذا الخبرَ باطل فلم يتقدّم[8] على إنكار ذلك الخبر ، وجميعُ قريشٍ تثبّته .

قيل لهم : إنّ مكّة لم تزَلْ دارَ خُزاعة[9] وبقايا جُرهمٍ[10] [و بقايا

---

(١) لجميع الأمم ، ليست فى ل .

(٢) فيا عدا ل : « الفيل من الحبشة » تحريف .

(٣) فيا عدا ل : « نفر » .

(٤) فيا عدا ل : « كرجلين » تحريف .

(٥) فيا عدا ل : « يحقرون أنفسهم » محرف .

(٦) فيا عدا ل : « تكذب الأوثان » محرف .

(٧) فيا عدا ل : « لتحقر بذلك التابع » تحريف .

(٨) فيا عدا ل : « ولم يتقدم » .

(٩) فيا عدا ل : « لم تزل وإن خزاعة » محرف .

(١٠) فيا عدا ل : « وبقايا جرهم بها » .

الأمم البائدة . وكانت كنانة منها النَّسأة . وكانت مرّ بن أدّ من رهط صُوفة والرَّبيط[1] منها أصحاب المزدلفة ، وإليهم كانت السِّدانة . وكانت عَدْوان وأبو سيّارة عَمِيلة بن أعزَل ، تدفع بالنّاس] ، وقد كان بين خزاعة و بقايا جرهم ما كان[2] حتَّى انتزعوا البيت منهم[3] . وقد كان بين ثقيف وقُريش لقُرب الدار والمصاهرة ، والتَّشابه فى الثروة[4] والمشاكلة فى المجاورة[5] تحاسدٌ وتنافر[6] ، وقد كان هنالك فيهم الموالى والحُلفاء والقُطّان[7] والنازلة ، ومَن يحجُّ فى كلّ عام ، وكان البيت مَزُوراً على وجْه الدهر ، يأتونه رجالاً ورُكبانا وعلى كل ضامرٍ يأتِينَ من كلِّ فجّ عميق ، و بشِقّ الأنفس ، كما قال الله تعالى : ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ﴾ ، وكانوا[8] بقرب سُوق عُكاظ وذى المجاز ، وهما سُوقان معروفان ، وما زالتا قائمتين حتَّى جاء الإسلام ، فلا يجوز أن يكون السّالب والمسلوب ، والمفتخر [به والمفتخرَ] عليه ، و [الحاسد و] المحسود ، والمتديِّن به والمنكِر له ، مع

---

(١) صوفة : أبو حى من مضر ، وهو الغوث بن مر بن أد بن طابخة ، كانوا يخدمون الكعبة ويجيزون الحاج فى الجاهلية ، أى يفيضون بهم من عرفات . وكان أحدهم يقوم فيقول : أجيزى صوفة . فاذا أجازت قال : أجيزى خندف ؛ فإذا أجازت أذن الناس كلهم فى الإجازة . وأما الربيط ، فلقب الغوث أيضا ، كما فى القاموس (ربط) ، قالوا : سمى بذلك لأن أمه كانت لا يعيش لها ولد ، فنذرت لئن عاش هذا لتربطن برأسه صوفة ولتجعلنه ربيط الكعبة .

(٢) فيما عدا ل : « وقد كان بينهم ما كان » .

(٣) ط ، ه : « بينهم » . وأثبت ما فى ل ، س .

(٤) فيما عدا ل : « والمشابهة والثروة » .

(٥) أى مجاورة البيت . وفيما عدا ل : « التجارة » .

(٦) فيما عدا ل : « وتصاقب » .

(٧) ط ، ه : « وقد كان بينهم هنالك أموال والحلفاء والسكان » تحريف . س : « وقد كان بينهم هنالك أموال والحلفاء والسكان » وأثبت ما فى ل .

(٨) فيما عدا ل : « وكان » .

اختلاف الطبائع وكثرة العلل ، يجمعون كلهم على قبول هذه [الآية] وتصديق هذه السُّورة ، وكلُّهم مُطْبِقٌ[1] على عداوة النبي صلى الله عليه وسلم ، والكُفْر به .

والمحِلُّون من العرب ممَّن كان لا يرى للحَرَم ولا للشّهر الحرام حُرمةً : طيِّئٌ كلُّها ، وخثعمُ كلُّها ، وكثيرٌ من أحياء قُضاعة ويَشْكُرَ والحارثِ ابن كعب ، [و] هؤلاء كلُّهم أعداء [في] الدِّين والنّسب . هذا مع[2] ما كان في العرب من النّصارى[3] الذين يخالفون دِينَ مُشركي العرب كلَّ الخلاف ، كتغلبَ ، وشيبانَ ، وعبدِ القيس ، وقضاعة ، وغسّان ، وسَليح[4] ، والعِباد ، وتَنوخَ ، وعاملةَ ، ولخمٍ ، وجُذَام ، وكثيرٍ من بَلحارث بن كعب ؛ وهم خُلَطاء وأعْداء ، يَغاوِرون[5] ويَسبُون ويُسبَى منهم ، وفيهم التُّؤُور[6] والأوتار والطوائل ، وهي العربُ[7] وألسنتُها الحِداد ، وأشعارُها التي [إنما] هي مَياسم[8] ، وَهِممُها البعيدة[9] ، وطلبُها الطّوائل ، وذمُّها لـكلّ دقيقٍ وجليل من الحسَن والقبيح ، في الأشعار

---

(١) فيما عدا ل : « وهم مطبقون » .

(٢) فيما عدا ل : « إلى » .

(٣) فيما عدا ل : « في العرب والنصارى » تحريف .

(٤) سليح بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، كما في الاشتقاق ٣٦٤ . وفي القاموس (سلح) : « وكجريج قبيلة باليمن » . وفي العمدة (٢ : ١٧٧) : « سليح ، وهم من غسان ، وقيل من قضاعة » . وفيما عدا ل : « وسليم » تحريف .

(٥) المغاورة : أن يغير بعضهم على بعض . ط ، س : « يغارون » تحريف .

(٦) التؤور : جمع ثأر . فيما عدا ل : « الشرور » تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « وهم العرب » .

(٨) ل : « ميسم » .

(٩) ط ، س : « همها البعيدة » ه : « وهمها البعيدة » صوابهما في ل .

والأرجاز [والأسجاع] والمزدوِج والمنثور ، فهل سمعنا[١] [بأحد] مِن جميع هؤلاء الذين ذكرْنا[٢] أنكرَ[٣] شأنَ الفيل ، أو عرَضَ[٤] فيه ٦٧
بحرف واحد .

(كلام الفيل والذئب)

ورَزِين العَروضىُّ — وهو أبو زهير[٥] — لم أر قطُّ أطيبَ منه احتجاجاً ، ولا أطيب عبارة ، قال فى شعرٍ له يهجو ولدَ عقبةَ بنِ جعفر[٦] ، فكان فى احتجاجه عليهم وتقريعِه لهم[٧] أن قال :

تَهِمْتُمْ علينا بأنَّ الذِّئبَ كلَّمكم ... فقد لعمرى أبُوكمْ كلَّمَ الذِّيبا
فكيفَ لو كلَّمَ اللَّيثَ الهصورَ إذًا ... تركتمُ النّاسَ مأكولاً ومَشرُوبا
هذا السُّنَيدىُّ لا أصلٌ ولا طرف ... يكلِّمُ الفِيلَ تصعيداً وتَصويبا

ولو كان ولد أُهبان بن أوسٍ ادَّعَوا أنّ أباهم كلم الذئب كانوا مجانين ، وإنّما ادّعوا أنّ الذئبَ كلّمَ أباهم ، وأنّه ذُكِر ذلك للنبىِّ صلى الله عليه وسلم وأنّه صَدّقه .

والفيلُ ليس يكلِّم السندىَّ ، ولم يدَّعِ ذلك السندىّ قطُّ ، وربّما كان السِّندىُّ هو المكلِّمَ له ، والفيل هو الفَهِمَ عنه[٨] .

---

(١) فيما عدا ل : « فما سمعنا » .
(٢) فيما عدا ل : « ذكرنا أحدا » .
(٣) ل : « إنكار » ولا يلتئم بما بعده .
(٤) فيما عدا ل : « أو عرف » تحريف .
(٥) فيما عدا ل : « أبو وهب » .
(٦) فيما عدا ل : « عتبة بن جعفر » .
(٧) فيما عدا ل : « وتعريفه لهم » .
(٨) فيما عدا ل : « المتفهم عنه » .

فذهب رَزِين العَرُوضىُّ من الغَلَط[1] فى كلِّ مذهب .

(ما يكلّم من ضروب الحيوان)

والناس [قد] يكلِّمون الطيرَ والبهائم والكلابَ والسَّنانير والمَرَاكب[2] ، وكلَّ ما كان تحتَهم من أصناف الحيوان التى قد خُوِّلُوها وسُخِّرتْ لهم . وربَّما رأيتَ القرّادَ يكلم القِرد بكلّ ضربٍ من الكلام ، ويُطيعه القِرد فى [جميع] ذلك . وكذلك ربَّما رأيتَه يلقِّن الببغاء ضروبًا من الكلام ، والبَبْغاء تحكيه . وإنّ فى غراب البَيْن لَعَجبًا[3] . وكذلك كلامهم للدبّ [والكلب] والشاة المكّيّة ، وهذه الأصنافِ التى تَلَقَّن وتَحْكِى .

(تكليم الأنبياء للحيوان)

وقد رَوَى الناسُ عن النبى صلى الله عليه وسلم فى كلام السِّباع والإبل ضروبًا ، ولم يذهبوا إلى أنّها نطقَتْ بحروفٍ مقطّعة ، ولكنّ النبى صلى الله عليه وسلم إمّا أن يكون [الله] أوحَى إليه بحاجاتها ، وإمّا أن تكون فِراسته وحِسّه وتثبّتُه فى الأمور ، مع ما يُحْضِرُهُ الله[4] من التّوفيق ، بيَّنَ له معانيهَا وجَلاَّها له ، واستدلّ بظاهرٍ على باطنٍ ، وبهيئةٍ[5] وحركةٍ على

---

(١) هـ ، ط : « التغليط » محرف ؛ إذ التغليط أن تقول لصاحبك : غلطت .

(٢) أى ما يركب من الدواب .

(٣) فيما عدا ل : « تعجبا » تحريف .

(٤) ط فقط : « يحضر الله » .

(٥) فيما عدا ل: « وتنبه » تحريف .

موضع الحاجة ، و إمّا أن يكون الله ألهمه ذلك إلهامًا . وأمّا جِهةُ سليمان ابن داود ، صلى الله على نبينا وعليه ، فى المعرفة بمنطق الطير ومَنطِق كلّ شىء ، فلا ينبغى أن يكون ذلك إلاّ أن يقوم منها فى الفهم عنها مَقامَ بعضِها من بعض ، إذْ كان الله قد خصّه بهذا الاسم ، وأبانَهُ بهذه الدّلالة . وأعلام الرُّسُل لا يكثُر عددُها ولا تَعظم أقدارُها[1] على أقدار فضائل الأنبياء[2] ؛ [لأنّ أكثر الأنبياء] فوقَ سليمان بن داود ، وأدنى ذلك أنّ داود فَوقه ، لأنّ الحكمَ فى الوارث والمورِّث ، والخليفة والذى استخلفه ، أن يكون الموروثُ أعلى ، والمستخلِف أرفَعَ . كذلك ظاهر هذا الحكم ٦٨ حتّى يخصّ ذلك برهانٌ حادث . و إنّما تكثر العلامات وتعظُم على قدْر طبائع أهل الزّمان ، وعلى قدر الأسباب التى تتّفق وتتهيّأ لقومٍ دون قوم ، وهو أن يكونوا جبابرةً عُتاةً ، أو أغبياء مَنقوصين ، أو علماء معانِدين ، أو فلاسفةً مُحتالين ، أو قومًا [قد] شملهم من العادات السيّئة وتراكمَ على قلوبهم من الإلْف للامور المرْدية[3] ، مع [طول] لبثِ ذلك فى قلوبهم ، أو تكون[4] نِحْلتهم وملتهم ودَعوتهم تحتمل من الأسباب والاحتيالات[5] أكثرَ ممّا يحتملُ غيرها من ذلك ، فإنّ[6] من الكفر ما يكون عند المسألة والجواب أسرَع انتشاراً وأظهرَ انتقاضاً ، ومنه ما يكون أمْتَن[7]

---

(١) فيا عدا ل : « ولا يعظم قدرها » .
(٢) فيا عدا ل : « فضل الأنبياء » .
(٣) المردية : المهلكة . وفى ل : « الردية » .
(٤) فيا عدا ل : « أن تكون » .
(٥) فيا عدا ل : « والأحساب » .
(٦) فيا عدا ل : « إن » .
(٧) فيا عدا ل : « أفتن شيئا » .

شيئاً ، وإنْ كانَ مصيرُ الجميع إلى الانتقاض وإلى الفساد . ومنه شيء يحتاج من المعالجة إلى أكثرَ وأطولَ ، وإنّما يتفاضَلُ العلماء عند هذه الحال . وقد يكون أن ينقدح[1] فى قلوب الناس عداواتٌ وأضغانٌ سَببُها التّحاسُد[2] الذى يقع[3] بين [الجيران و] المتفقين فى الصّناعة[4] . وربّما كانت العداوةُ من جهة العصبيَّة ، فإنّ عامّةَ مَن ارتاب بالإسلام إنما كان [أوّل] ذلك رأى الشُّعوبية والتمادى [فيه] ، وطول الجدال المؤدِّى إلى القتال ، فإذا أبغض شيئاً أبغَضَ أهلَه ، وإنْ أبغَضَ تلك اللغةَ أبغض تلك الجزيرة ، [وإذا أبغض تلك الجزيرةَ أحبَّ مَن أبغض تلك الجزيرة] . فلا تزال الحالاتُ تنتقل به حتّى ينسلخ من الإسلام ؛ إذْ كانت العربُ هى التى جاءت به ، وكانوا السّلف [والقدوة] .

(أثر الغُلمة فى الجسم والعمر)

وتزعم الهندُ أنّ شِدّةَ غلْمة الفيل وطولَ أيّامه فيها[5] ، وهجرانَه الطّعامَ والشّرابَ ، وبقيّة تلك الطبيعة ، وعملَ ذلك العرقِ السّارى ، هو الذى يمنع الفيل أن يصير فى مثل جسمه مرّتَين ؛ لأنّ ذلك مِن أمتن أسباب الهُزَال . وإذا تقادَمَ ذلك فى بدن وغَبَّ فيه[6] ، عمِل فى العظم والعصَب ،

---

(١) ل : « يتقدم » .
(٢) ط ، هـ : « شبيها بالتحاسد » س : « شبيهات بالتحاسد » صوابهما فى ل .
(٣) فيما عدا ل : « يكون » .
(٤) فيما عدا ل : « الصناعات » .
(٥) فيما عدا ل: « وطول إقامته فيها » .
(٦) فيما عدا ل : « فى بدنه » وفى الأصل : « وعب فيه » . والوجه ما أثبت .

بعْدَ الشَّحم[١] واللحم . وإذا كان[٢] رفعُ الصوت والصِّياحُ وكثرةُ الكلام ، والغضبُ والحدّة ، [إنما صار] يورثُ الهُزال لأنّ البدن يسخُن عن ذلك ، [و] إذا شاعَت فيه الحرارة أحرقَتْ وأكلَتْ وشربت ، ولذلك صار الخَصِيُّ من الدُّيوكِ والأنعامِ أسمَنَ .

وزعَمُوا أنَّه ليس [فيما] يعايش الناس من [أصناف] الحيوان أقصرُ عمراً من العصفور ، ولا أطْوَلُ عمراً من البغل . وللأمور[٣] أسبابٌ ، فليس يقع الظنُّ إلاّ على قلّة سِفاد البغل وكثرة سفاد العُصفور .

قالوا : ونجد العمرَ الطّويلَ أمراً خاصا فى الرُّهبان ، فنظنّ أيضاً [أنّ] تركها الجِماعَ من أسباب ذلك .

قالوا : وإذا اغتلم الذّكرُ من الحيوان فهو أخبَثُ ما يكون لحماً ، وإذا كثُر سِفادُه تضاعَفَ فيه ذلك ، وصار لحمه أيبَسَ ودمُه أقلّ[٤] . ٦٩

قال الشّاعر :

أُحبُّ أنْ أصطاد ضَبًّا سَحْبَلاَ ... أو جُرَذاً يرعى رَبيعاً أرْمَلاَ[٥]

فجعله أرمَلَ لا زَوجةَ له لِيكونَ[٦] أسمَنَ له ؛ لأنّ كثرةَ السفاد [مما] يورث الهزال[٧] ولا يكثر سفادُه إلاّ من شدّة غُلْمته .

---

(١) ط : « وتفذ فى الشحم » س : « وتفذ الشحم » هـ : « وبعد الشحم » محرفات .
(٢) ط ، هـ : « وإن كان » .
(٣) فيما عدا ل : « والبغل » .
(٤) فيما عدا ل : « أيبس منه » فقط .
(٥) فيما عدا ل : « ظبيا سحبلا » تحريف . وفى اللسان (رمل) .
* رعى الربيع والشتاء أرملا *
(٦) فيما عدا ل : « فيكون » .
(٧) فيما عدا ل : « يورثه الهزال » تحريف .

وهجا أعرابىٌّ صاحبَه حين أكل لحمَ سَوْءِ غَثٍّ[1] فقال :

أكلته من غَرَثٍ ومن قَرَمْ[2] كالورل السافد يَغْنَى بالنَّسَمْ[3]

لأنّ [لحمَ] الورلِ [لا] يشبه لحم الضبّ، وهم لا يرغبون فى أكله[4] لأنه عَضِلٌ مَسِيخٌ[5] ولأنهم كثيراً ما يجدون فى جوفه الحيّاتِ والأفاعى .

وله ذنبٌ سمينٌ، وذلك [عامٌّ فى الأذناب ، وإنْ رأيتَها فى العين كأنها عَضَل . وإذا كان لحمُها كذلك ، ثم كان فى زمن هيجه وسِفاده كان] شرًّا له[6] .

وللورَل فى السِّفاد ما يجوز به حَدّ الجمَلِ والخنزير[7] .

قال : والنسم هو النَّسيم فى هذا المكان[8] .

وقالت [أُمُّ] فَرْوَة القرنية[9] :

نفى نَسَمُ الرِّيح القَذَى عن مُتونه فما إنْ به عيبٌ تراه لشاربِ

وأنا أعلم أنّى لو فسّرتُ لك معانِيَ هذه الأشعار وغريبَها ، لكان أتمَّ للكتاب وأنفعَ لمن قرأ هذه الأبواب ، ولكنّى أعرف مَلالةَ الناس للكتاب إذا طال . قال الشاعر[10] يهجو من قَرَاه لحمَ كلب[11] :

---

(١) فيما عدا ل : « سوعث » محرف .

(٢) الغرث : الجوع . فيما عدا ل : « من عوث » تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « يغرى » محرف .

(٤) فيما عدا ل : « فيه » .

(٥) ط ، س : « متشنج » وفى هـ : « متسبح » تحريف ، وأثبت ما فى ل .

(٦) ط فقط : « شر له » .

(٧) هـ : « غذا الجمل والخنزير » محرفة . وفى ل : « حال الجمل والخنزير » .

(٨) فيما عدا ل : « والنسم والنسيم فى هذا للوضع واحد » .

(٩) هذه الكلمة ساقطة من ل . وقد سبق فى (٣ : ٥٤) : « القطفانية » حيث أنشد الشعر . وقد أعاده ثانية فى (٥ : ١٤٢) .

(١٠) هو للعين المنقرى كما سبق فى (١ : ٢٦٦) .

(١١) كذا . وقد سبق قول الجاحظ فيما مضى : « وقال العين فى بعض أضيافه يخبر أنه قراه لحم كلب . وقد قال ابن الأعرابى : إنما وصف تيسا » .

فجاء بخَرْشَاوَىْ شَـعيرٍ عليهما　　كَرَادِيسُ من أوصالِ أعقدَ سافِدِ[١]

فلم يرضَ أنْ جعله كلباً حتّى جعله سافداً . فأمّا ابنُ الأعرابىّ فزعم أنّه إنّمـا عنَى تيساً . وقد أبطلَ . وعلى أنّ المعنى فيهما سواء[٢] .

(أثر الخصاء فى اللحم)

قالوا : و إنّمـا صار الخصىُّ من كلّ جنسٍ[٣] أسمنَ لأنّه لا يَسْفَد ولا يَهيج .

(السقنقور)

قالوا[٤] : والسقنقور إنّمـا ينفعُ أكْلُه إذا اصطادُوه فى أيام هَيْجه وسِفاده ؛ لأنّ العاجز عن النّساء[٥] يتعالج بأكل لحمه ، فصار لحمُ الهائج[٦] أهْيَجَ له .

---

(١) الخرشاء : كل شىء أجوف فيه انتفاخ وخروق وتفتق . فيما عدا ل : « بحرشاوى » تحريف . والكراديس : جمع كردوس ، وهو كل عظم تام ضخم . والأعقد : الملتوى الذنب . ط ، ه : «أعقر» س : «أعفر» صوابهما فى ل . وأول البيت فى (١ : ٢٦٦ ، ٣١٩) : « فجاءا » على التثنية ؛ لأن قبله :

فقلت لعبدى اقتلا داء بطنه　　وأعفاجه اللائى لهن زوائد

(٢) فيما عدا ل : « واحد » .

(٣) فيما عدا ل : « كل شىء » .

(٤) فيما عدا ل : « قال » .

(٥) فيما عدا ل : « السفاد » .

(٦) فيما عدا ل : « الهياج » .

(أبو نواس والحرامى)

أقبل أبو نواسٍ ومعه الحَرَامىّ[1] الكاتب ، وكان أطيَبَ الخَلْق ، وقد كانا قبل ذلك [قد] نظرا إلى الفيلة فأبصرا[2] غُرمولَ فيلٍ منها ، وعلم الحرَامىّ[1] أنّ غُرمولَ الفيلِ يُوصَفُ بالجَعْبة ، فوصف لنا غُرمولَه ، وأنشدنا فيه شعراً لنفسه :

كأنّه لمّا بَدَا للسَّفَدِ[3] جَعْبـــةُ تُركىٍّ عليها لِبَدُ

قلنا له : أقْوَيْتَ واجتلبتَ ذِكر اللِّبد عن غير حاجة[4] . قال : فإنّى قد قلتُ غيرَ هذا . قلنا : فأنشِدْنا . فقال :

كأنّه لمّا دنا للشـــدِّ[5] شمعةُ قَيلٍ لُفِّفَتْ فى لِبْدِ[6]

٧٠ قلنا : فلا ترى لك بُدًّا من اللِّبد على حالٍ ؟ قال : قال أبو نواس : فإنّى أقولُ عنك بيتين . قال : فهاتِهما[7] . فقال :

كأنّه لما دَنَا للوثْبَهْ[8] أيورُ أعيارٍ جمعن ضَرْبَهْ

---

(١) فيما عدا ل : «الحزامى» وفى البخلاء ٤٧ : «الحزامى». ولم أعرف له ترجمة إلا ما ذكر الجاحظ فى البخلاء أن اسمه عبد الله بن كاسب ، كاتب مؤنس ، وكاتب داود بن أبى داود . وإن صحت نسبته فهى إلى بنى حرام ، خطة كبيرة بالبصرة منها أبو محمد قاسم بن على الحريرى الحرامى صاحب المقامات .

(٢) ط ، هو : «وقد كان قبل ذلك نظر إلى الفيلة فأبصر» بالإفراد .

(٣) ل : «للعد» .

(٤) فيما عدا ل : «وأجريت ذكر اللبد على غير حاجة» .

(٥) فيما عدا ل : «بدا للسفد» .

(٦) فيما عدا ل : «جعبة قيل» .

(٧) فيما عدا ل : «هاتها» .

(٨) فيما عدا ل : «لما بدا للوثبة» .

قال الحَرَامى[1] لأبى نواس : هَبْهُمَا لى على أن لا تدّعيهما نفسى [أن] أنتحلهما . قلت له[2] : وما ترجُو من هذا الضَّرب [من الأشعار] ؟ قال : قد رأيتُ غُرمو له ، فما عُذْرى عند الفيل إنْ لم أقلْ فيه شيئاً .

(فهم الفيلِ الهنديةَ)

وحدَّثنى صديقٌ لى قال : رأيتُ الفيَّالينَ على ظهر فيلٍ من هذه الفِيَلة ، وأقبل[3] صبىٌّ يريد السِّندىَّ الرّاكب ، فكلَّمَ الفيلَ بالهنديّة ، فوقف ثمّ كلّمه ، فمدّ يدَه رافعهَا[4] فى الهواء حتَّى ركِبَها الغلامُ ، ثم رفع يدَه حتَّى مدّ السندىُّ يدَه ، فأخذ بيد الصبىّ .

(أخلاف الحيوان وأطْباؤه)

وللبقر والجواميس أربعةُ أخْلافٍ فى مُؤخّر بُطونها ، وللشّاة خِلْفان ، وللناقة أربعة فى مؤخّر البطن[5] . وللمرأة والرّجُل والفيل ثديانِ فى الصدر ، وثَدْىُ الفيل يصغُر جدًّا إذا قرنتَه إلى بدنه[6] . وللسّنّور ثمانيةُ أطْباء ، وكذلك الكلْبةُ فى جميع بطونهما[7] . والخنزيرة كثيرةُ الأطْباء . وللفهدة

(١) فيما عدا ل : « الخزامى » . وانظر ما سبق فى ص ٢٢٤ .
(٢) فيما عدا ل : « قال » فقط .
(٣) فيما عدا ل : « فأقبل » .
(٤) فيما عدا ل : « رافعا » .
(٥) فيما عدا ل : « مواخر البطن » .
(٦) فيما عدا ل : « إلى الفيل » .
(٧) فيما عدا ل : « بطنها » .

في بطنها أربعةُ أطْباء[1] . وللبَّوْة[2] طُبْيَان لا يصغُران عن مقدار بدَنِها . والبقرة والأَتَان[3] والرَّمَكة والحِجْر في ذلك سواء ، إلاّ أنّها من الحافر أطْباء ، ومن الظِّلْف أخلاف . والسِّباعُ في ذلك والحافرُ[4] سواء .

(عضو الفِيل)

وقال صاحبُ المنطق : غُرمول الفِيل يصغُر عن مقدار بدَنه ، وخُصيته لاصقة بكُلْيته لا تُرَى ، ولذلك يكونُ سريعَ السِّفاد .

وزعم المَندىُّ صاحبُ (كتاب الباهِ) أنّ أعظمَ الأُيور أيْرُ الفِيل ، وأصغرها أير الظَّبي .

(الفيل في كتاب الحيوان)

وما أعجَبَ ما قرأتُ في كتاب الحيوان لصاحب المنطق[5] ، وجدتُه قد ذكر [رأس الفيل و] قِصَر عُنقه ، ولم يذكر انقلابَ لسانه . وذلك أعجبُ ما فيه . ولم يذكر[6] في كَمْ يَضَعُ ، ولا مقدار وزن أعظم الأنياب[7] وكيف يخرج من بطن أمّه نابت الأسنان .

---

(١) الكلام من « وكذلك » إلى هنا ساقط من س .
(٢) فيا عدا ل : « وللمرأة » تحريف .
(٣) ط فقط : « والإنسان » تحريف .
(٤) فيا عدا ل : « والحوافر » .
(٥) فيا عدا ل : « لصاحب الحيوان في كتاب المنطق » تحريف .
(٦) فيا عدا ل : « ينظر » .
(٧) فيا عدا ل : « ولا مقدار مدة حمله » فيكون تكرارا لما سبق .

(خصائص الفيلة)

والفِيَلةُ لا تلِد التؤام . قال : وهى تُفِذُّ وتُفرِد . قال : وقال بعضُ العلماء : لا يقال أَفذَّت ولا أَفرَدَت إلاّ لما يجوز أن يُتئم .

قال : وأمراضُها أقلُّ من أمراضِ غيرها ، إلاّ أنّ النَّفْخ والرِّياحَ يعرِضُ لها كثيراً و يُؤذيها أذًى شديداً ، وعامَّةُ أمراضِها من ذلك ، [حتى ربَّما مَنَعها البولَ وغيرَ ذلك . قال : و إذا أكلت التُّراب ضَرَّها ذلك] ولا سيَّما إذا أكثرَتْ منه فعاودَتْه .

(علاج الفيلة)

قال : وربَّما ابتلعت [منه] الحجارة . قال : و إذا أصابها استطلاقٌ سُقِيت الماء الحارَّ وعُلِفَت الحشيشَ المَسْول(١) . و إذا أتعبُوها اعتراها السَّهَر ، فتعالَجَ عند ذلك بأنْ تُدْلَكَ أكتافُها بزيتٍ [وماء حار . قال] : و بعضها يشرب الزَّيتَ شُرباً ذَريعا .

(تذليل الفيل)

٧١ قال : و إذا تصعَّب الفيل وكانَ فى حِدْثان ما اقتطعُوه من الوحْش فإنَّهم يُنزُون عليه فِيلاً مثلَه ، ويحتالُون له فى ذلك ؛ فما أكثرَ ما يجدُونه بعد ذلك قد لانَ .

قال : وهو ما دامَ راكبُه عليه فهو ألْيَنُ من كلِّ ذى أربع ، وأحسَنُ طاعة ، ولكن لبعضها صعوبةٌ عند نُزوله عنه ، فإذا شدُّوا مقاديمَ قوائمها بالحبال شدًّا قويًّا لانَتْ .

(١) المسول : المخلوط بالعسل . وفى الأصل « للمسول » .

قال : وهى على صعوبتها تأنَسُ سريعاً وتَلقَنُ سريعاً . فأوّلُ ما يعلَّمُ السُّجود للملك ، فإذا عرَفَه فكلّما رآه سجَدَ له .

(صدق حسّ الفيل)

فأمّا صِدْقُ الحسّ فهو يفوقُ فى ذلك جميعَ الحيوان ، وهو والجمل سواءٌ إذا علِمَا ، لأنّ الأنثى إذا لَقِحت لم يساوِداها للضِّراب ، فهذه فضيلةٌ مذكورة فى حسّ الجمل . وقد شاركَهُ الفيلُ فيها وبايَنَه فى خصالٍ أُخر .

(بعض خصائص الفيل)

وإناثُ الفِيَلة وذكورُها متقاربة فى السنّ[1] ، وكذلك النِّساء والرِّجال . وهو بحرىّ الطِّباع ، ونَشْأ فى الدَّفاء[2] ، وهو[3] أجردُ الجلد ، فلذلك يشتدُّ جزعه مِنَ البرد . فإنْ كان أجْرَدَ الجلدِ فما قولهم فى أحاديثهم : طلبوا من الملك الفيلَ الأبيضَ والفيلَ الأبقَع ، وجاء فلانٌ على الفيل الأسود .

(حقد الفيل)

[قال] : وأخبرَنى رجلٌ من البَحْريِّين لم أرَ فيهم أقْصَدَ ولا أسدَّ ولا أقلَّ تكلُّفا منه ، قال : لم أجدْهم يشُكّون أنّ فيّالاً ضربَ فِيلاً فأوجَعَه فألحّ عليه ، وأنّهم عند ذلك نَهَوْه وخوّفوه وقالوا : لا تَنَمْ حيثُ

---

(١) فيا عدا ل : « السمن » تحريف .
(٢) فيا عدا ل : « فى الريف » .
(٣) فيا عدا ل : « فهو » .

ينالك ؛ فإنّه من الحيوان الذى يحقِد و يُطالِب . ولمّا أراد ذلك السائسُ القاتلةَ شدَّه إلى أصل شجرةٍ وأحكمَ وَثاقَهَ ، ثم تنحّى عنه بمقدارِ ذراعٍ ونام ، ولذلك السائس جُمّة . [قال] : فتناولَ الفيلُ بخرطومه غصناً كان مطروحًا ، فوطِئَ على طرَفه حتّى تشعَّث ، ثم أخَذَهُ بخرطومه ، فوضع ذلك الطرَّفَ على جُمّة المندى ، ثم لواها بخُرطومه ، فلما ظنَّ أنها [قد] تشبَّكت به وانعقدَتْ جذَبَ العود جذبةً فإذا المندىُّ تحت قوائمه[1] ، فخبطه خبطة كانت نَفْسُه فيها .

فإنْ كان الحديثُ حقًّا فى أصل مخرَجِه فكفاك بالفيل معرفةً ومكيدةً . و إنْ كان باطلاً فإنّهم لم ينحَلُوا الفيلَ هذه النِّحْلة[2] دونَ غيره من الدوابّ إلاّ وفيه عندهم ما يحتمل ذلك[3] ويليق به .

(طيب عرق الفيل)

قال : والعرق الذى يسيل من جَبْهته فى زمنٍ من الزّمان يضارِع المِسْكَ فى طِيبه ، [و] لا يعرِض له وهو فى غير بلاده .

(أثر المدن فى روائح الأشياء)

وقد علِمْنا أنَّ لرائحة الطِّيب فضيلةً إذا كان بالمدينة ، وأنّ الناسَ إذا وجَدُوا ريح النّوى المنقَعِ[4] بالعِراق هرَبوا منهُ . وأشراف أهل المدينة[5]

---

(١) فيا عدا ل : « جذب المندى فاذا هو تحت رجليه » .

(٢) ل : « مثل هذه الحيل » .

(٣) فيا عدا ل : « يحتمل عليه » .

(٤) فيا عدا ل : « النقيع » وهما بمعنى .

(٥) فيا عدا ل : « وإن أهل المدينة » .

ينتابُون المواضِعَ التى يكون فيها ذلك ، التماساً لِطيب تلك الرائحة .

ويزعم تُجَّار التُّبَّتِ ممن قد دَخَل الصِّين والزّابج[1] ، وقلّب تلك
٧٢ الجزائر ، ونقّب في البلاد ، أنَّ كلَّ مَن أقام بقصبة تُبَّت اعتراه سُرورٌ لا يدري ماسببُه ، ولا يزال مبتسماً ضاحكاً من غير عَجَب حتَّى يخرجَ منها .

ويزعمون[2] أنّ شِيرازَ من بين[3] قُرى فارس ، لما فَغْمَةٌ[4] طيِّبة . ومَن مَشَى واختلف في طُرقات مدينة الرَّسول صلى الله عليه وسلم ، وجَدَ منها عَرْفاً طيِّباً وَبَنَّةً عجيبة[5] لا تخفَى على أحدٍ ، ولا يستطيع أنْ يسمِّيَها .

ولو أدخلتَ كلَّ غاليةٍ وكلَّ عطرٍ ، من المعجونات وغير المعجونات ، قَصبة الأهواز أو قصبة أنطاكِيَة[6] لوجدتَه قد تغيَّر وفسَد ، إذا أقام فيها[7] الشَّهرينِ والثَّلاثة .

(أثر بعض التمر فى العرق)

وأجمَعَ أهلُ البَحْرين أنَّ لهمْ تمراً يسمى النَّابِجيَّ[8] ، وأنَّ مَن

---

(١) الزابج ، بفتح الباء وكسرها : جزيرة فى أقصى بلاد الهند ، وراء بحر هركند فى حدود الصين . وفى الأصل : « الزانج » تحريف . وقبلها فيما عدا ل : « قد حصل الصين » .

(٢) فيما عدا ل : « وزعموا » .

(٣) فيما عدا ل : « جميع » .

(٤) فى اللسان : « وفغمة الطيب رائحته » . ط ، ه : « نبته » س : « نية » صوابهما فى ل .

(٥) البنة ، بالفتح : الرائحة الطيبة . فيما عدا ل : « نبتة » محرفة .

(٦) فيما عدا ل : « بقصبة الأهواز وقصبة أنطاكية » .

(٧) فيما عدا ل : « فيه » تحريف .

(٨) النابجى ، كذا وردت فى ل . وفيما عدا ل : « الناعى » ولم أجد لأحدهما ذكرا فى كتب اللغة.

فضخه وجعله نبيذاً ثم شربه وعليه ثوب أبيض ، صبغه عرقه ، حتى كأنه ثوب أتحمي[1] .

(استعمال الفيلة)

وزعم لى بعض البحريين أنها بالهند تكون نقالة وعوامل كعوامل البقر والإبل[2] . والنقالة التى تكون فى الكلاء والسوق[3] . وأنها تذل لذلك] وتسامح وتطاوع ، وأن [لها] غلات[4] من هذا الوجه .

وزعم لى أن أحد هذه الفيلة التى رأيناها بسر من رأى ، أنه كان لقصار بأرض سندان[5] ، يحمل عليه الثياب إلى الموضع الذى يغسلها فيه[6] . ولا أعلمه إلا الفيل الذى بعث به ماهان أو زكريا بن عطية[7] .

(العاج)

قالوا : وعظام الفيل كلها عاج ، إلا أن جوهر الناب أثمن وأكرم . وأكثر ما ترى[8] من العاج الذى فى القباب والجحال والفلك والمداهن إنما هو من عظام الفيل[9] ، يعرف ذلك بالرزانة والملاسة .

---

(١) فى ل : « سحمى » . وفيما عدا ل : « سخمى » بالخاء المعجمة . صوابهما ما أثبت .

(٢) ل : « كعوامل الإبل » فقط .

(٣) الكلاء ، كشداد : مرفأ السفن . وفى الأصل : « الكلا » . وفى ل : « والنوق » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « وأنها غلات » .

(٥) سندان ، بالفتح : مدينة فى ملاصقة السند ، بينها وبين الديبل والمنصورة نحو عشر مراحل .

(٦) فيما عدا ل : « المواضع التى يغسلها فيه » .

(٧) ل : « أو بكر بن عطية »

(٨) فيما عدا ل : « مايرى » .

(٩) فى الأصل : « الإبل » .

والعاجُ مَتجرٌ كبير ، [و] يتصرّف فى وجوهٍ كثيرة ، ولولا قَدْرُهُ لَمَا فخر الأحنفُ بن قيسٍ فيما فخر به على أهل الكوفة ، حيث قال : « نحن أكثَرُ منكم عاجًا وساجًا ، وديباجًا وخَراجًا » . ويقال إنّه من كلام خالد بن صفوان ، ويقال إنه من كلام أبى بكر الهذلى .

(موت الذباب)

[وإذا خفق بأذنه الفيلُ فأصاب ذُبابًا أو يعسوبًا أو زنبوراً لم يُفلِحْ] . والفرسُ الكريم تقعُ الذُّبابة على مُوقِ عينَيه ، فيَصفِق[1] بأحَدِ جفنَيه ، فتخِرُّ الذبابة ميّتة . وقال ابن مُقْبل :

كأنَّ اصطفاقَ مَأْقِيَيْهِ بطَرْفِهِ ... صِفاق أديمٍ بالأديم يُقابلُه[2]

ويصيح الحمار فتصعق [منه] الذبابة فتموت . قال العَبْشَمى[3] :

مِنَ الحَمِـــير صَعِقًا ذِبّانُهُ ... بكلّ مَيْثاء كتغريد المُغَنْ[4]

وقال عُقبة بن مكدّم التَّغلبى[5] :

وتَرَى طَرْفَها حديداً بعيداً ... أعْوَجيًّا يُطِنُّ رأسَ الذُّباب[6]

---

(١) صفق عينه : غمضها . فيما عدا ل : « بإحدى جفنيه » تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « مآقيه بطرفته » وبه يختل الوزن .

(٣) فيما عدا ل : « العبسى » .

(٤) فيما عدا ل : « صعق ذبابه » .

(٥) هو المعروف بابن عُكبرة الجمدى ؛ وعكبرة أمه . وهو عقبة بن مكدم بن عامر بن مالك بن عبد الله بن جعدة . ذكره الآمدى فى المؤتلف والمختلف ١٦٢ . ومكدم ، بفتح الدال المشددة . وفيما عدا ل : « مكرم » تحريف .

(٦) يقال أطن ذراعه بالسيف قطنت : ضربها به فأسرع قطعها . وفيما عدا ل : « الطن » محرف .

وقال ابن مُقبل : ٧٣

ترى الثُّعَرَاتِ الخُضْرَ تحتَ لَبَانِهِ فُرادَى وشَتَّى أصعقتْهَا صواهِلُه[١]

وقال[٢] فى غير هذا الباب :

وإنِّى لقاضٍ بين شيبان وائلٍ وَيَشْكُرَ ، إنِّى بالقضاء بصيرُ[٣]

[وجدنا بنى شيبانَ خُرطوم وائلٍ ويَشْكُرُ خنزيرٌ أُدَنُّ قصيرُ[٤]]

وليس هذا موضع هذين البيتين . وأنشد :

أمسى المَضَاء ورهطُهُ فى غِبطةٍ ليسُوا كما كان المَضَاء يقولُ[٥]

لا تَخْرأُ الذِّبان فوقَ رؤوسِهم فاليومَ تخرأُ فوقَها وتبولُ

(قول زياد فى بناء داره)

أبو الحسن قال : قال زياد ودخلَ دارَه[٦] ، وكان بناها [له] فيلٌ مَوْلاهُ ، فلم يرضَ بناءَها ، فقال : ادعُوا [لى] فيلا . فلم يجِدُوه . فقال : ليتَها فى بطن فيلٍ ، وفيلٌ فى البحر .

(قصة فيلٍ مولى زياد)

وكان فيلٌ مولى زيادٍ شديدَ اللُّكْنة ، وأهدى بعضُهم إلى زيادٍ حمارَ وحش ، فقال فيل : أصلح الله الأمير ، [قد] أهدَوْا لنا هِمارَ وَهْش .

---

(١) الثعرات : جمع ثعرة كهمزة ، وهى ذبابة تسقط على الدواب تتؤذيها . وفيما عدا ل : « البعرات » تحريف . والرواية فى اللسان (ثعر) : « أحاد ومثنى » .

(٢) فيما عدا ل : « وأنشد » .

(٣) ل : « إنى لقاض » بالجزم .

(٤) الأدن : الذى يداه قصيرتان وعنقه قريبة من الأرض . وفى الأصل وهو هنا ل : « أذنب » محرف .

(٥) فيما عدا ل : « أمسى المضاء وأهله » .

(٦) فيما عدا ل : « وقال أبو الحسن قال : قال دخل زياد داره » تحريف .

فقال : أيَّ شيء تقول ويلك ؟ قال : أهدَوْا لنا أيراً. يريد عيراً[1] . فقال زياد : الأوّل أمثل .

(الميثوم)

وكان أبو مالكٍ يقول: الميثُوم الفيلُ الأنثى . وذهب إلى قول الشاعر:

* وطِئَتْ عليك بخُفِّها الميثومُ[2] *

ويدلّ[3] قولُ علقمةَ بن عَبَدَة على أنّ الميثومَ من صفات الفيل [العظيم الضَّخْم] . وقال :

تَتْبعُ جُوناً إذا ما هُيِّجَتْ زَجَلَتْ ... كأنَّ دُفّاً على العَلياءِ مَهزُومُ[4]
إذا تزغَّمَ من حافاتها رُبَعٌ ... حَنَّت شماميمُ من أوساطها كُومُ[5]
يَهْدِي بها أسْجَحُ الخدَّين مُختَبِرٌ ... من الجمال شديدُ الخَلْق عَيْثُومُ[6]

---

(١) فيما عدا ل : « يعني أيرا » . والقصة في البيان والتبيين (٢ : ١٥٧) .

(٢) من بيتين للأخطل في اللسان (عثم) لم يرويا في ديوانه . وصدر الأول :
* وملحب خضل الثياب كأنما *
وصدر الثاني : * تركوا أسامة في اللقاء كأنما *

(٣) في الأصل : « فدل » . وإنما يعني الجاحظ الأبيات التالية وهي في ديوانه ١٣١ والمفضليات (٢ : ٢٠٤) .

(٤) ط ، س : « يتبع » ط ، س : « حدبا » ه : « حوبا » وفيما عدا ل : « كأن رقا » ، والصواب في ل والديوان والمفضليات . أي تتبع هذه الفرس الإبل لتسقى من ألبانها ، وهذه الإبل إذا هيجت للورد سمعت لها صوتا عاليا لكثرتها ، كأنه صوت دف مشقوق على مكان مرتفع.

(٥) تزغم : حن حنينا خفيا . ط ، س : « ترغم » ه : « ترعم » والصواب في ل والديوان والمفضليات . والشماميم : المسان التوام . وفيما عدا ل : « سماميم » صوابه في ل . وفي المفضليات : « شناميم » وهي بالنون المعجمة لغة في الشماميم .

(٦) الأسجح : السهل الطويل القليل اللحم . وفي المفضليات والديوان : « أكلف الخدين » . والمختبر ، بكسر الباء : المجرب ، وبفتحها المعروف بالنجابة .

(ضرب المثل ببعد ما بين الجنسين)

وقد أكثروا فى ضرب المثل ببُعدِ ما بين الجِنْسين . وقال عبد الرحمن ابن الحكم[(١)] :

أتغضَبُ أن يقالَ أبوك عفٌّ ... وترْضَى أنْ يقال أبوك زَانِي

وأشهدُ أنّ رحمك من زيادٍ ... كرحم الفيلِ من ولد الأتانِ[(٢)]

فجعل معاويةَ من نسل الفيل لشرفه ، وجعل زيادًا من نسل الحمار لَضَعته[(٣)] . ولعمرى لقد باعد ؛ [لأنّ الغنم وإن كانت من النعَم من ذوات الجِرّة والكروش فإنّ ما بين الغنم والإبل بعيد] .

وكذلك قول الكميت :

وما خِلْتُ الضِّبابَ معطَّفاتٍ ... على الحيتان من شَبَهِ الحُسُولِ[(٤)]

قال : فهذا أبْعَد وأبعد ، لأنّه وإنْ [ذهب إلى أنّ] ولدَ نزارٍ عربٌ فهم فى معنى الضِّباب[(٥)] وسا كنى الصَّحارَى ، وأولئك عَجَم ، فجعلهم كالسَّمك ٧٤

(١) وكذا وردت هذه النسبة فى الحيوان (١ : ١٤٦) والخزانة (٢ : ٥١٨) ونسب أيضا إلى يزيد بن مفرغ كما فى الشعراء ٧٩ والموشح ٢٧٣ ، وإلى عبد الرحمن بن حسان ، كما فى العقد (٤ : ١٨٢) . وقد رسم فى شفاء الغليل ١٧٣ « كرحم الفيل من ولد الأتان » . وقال : « هنا فى شعر الكميت » .

(٢) فيما عدا ل : « أن آلك من قريش كآل » . وهى تحريف رواية : « إلك من قريش كإل » . قال الخفاجى فى شفاء الغليل : « وأصله كما فى كتاب أفعل لابن حبيب ، أن فيلا أتى واديا فرأى به حمارا فطرده ، فقال له : لم تطردنى وبينى وبينك رحم ؟ فقال : ما هى ؟ فقال : إن غرمولى يشبه خرطومك . فصدقه . وهذا مما يحكى على ألسنة الحيوانات لضرب المثل » .

(٣) فيما عدا ل : « لضعفه » تحريف .

(٤) فى الأصل : « وماخفت » صوابه مما سبق فى (٦ : ١٣٣) وفى س ، ط : « على الحيات » صوابه فى ل ، وما سبق.

(٥) فيما عدا ل : « الذئاب » محرف .

الذى يعيش فى الماء . ألا ترى أنَّ معاويةَ بنَ أبى سفيانَ بنَ يزيد ابن معاوية[1] ، لمَّا قتلَتْه ضَبَّةٌ دسَّت فى أسته سَمَكة .

وقال جرير :

مابين تيم وإسماعيلَ مِن نَسَبٍ إلاّ قرابةُ بَيْنِ الزَّنْجِ والرُّوم[2]

فقال قطرب : الصَّقالبَة أبعد . قيل له : إنّ جريرًا لا يَفصِل[3] بين الصَّقالبة والرُّوم .

وعلى معنى الكميت قال الآخر[4] :

* حتى يؤلفَ بين الضَّبِّ والنُّونِ *

وتقول العرب : « لا يكون ذاكَ[5] حتَّى يجمع بين الأروَى والنَّعام » . لأنَّ الأروَى جبليَّة والنعامَ سُهْلية . و [قد] قال الكميت :

يؤلِّف بين ضِفْدِعَــة وَضَبٍّ ويعجبُ أنْ نبرَّ بنى أبينا[6]

وهذا هو معناه الأوّل . وأبعدُ من هذا قولُ الشاعر :

* حَتَّى يؤلف بين الثَّلجِ والنَّارِ *

---

(١) فى الأصل : « بن معاوية بن يزيد » وليس لمعاوية بن يزيد بن معاوية عقب، كما فى المعارف ١٥٤ . والذى له عقب هو أبوه يزيد بن معاوية بن أبى سفيان . وقد ذكر ابن قتيبة فى أولاد يزيد بن معاوية « أبا سفيان بن يزيد بن معاوية » .

(٢) البيت من قصيدة له فى ديوانه ٤٨٨ يهجو بها التيم .

(٣) ط فقط : « يفضل » تحريف .

(٤) بدله فيما عدا ل : « إنما هو على معنى قول الكميت » محرف . وانظر ماسبق فى (٦ : ١٣٣) .

(٥) فيما عدا ل : « ذلك » وقد سبق المثل ونظائره فى (٥ : ٥٢٨) .

(٦) مضى البيت فى (٥ : ٥٢٩/٦: ١٣٣) .

(قصة الجارية وأمها)

وقال أبو الحسن المدائنى[1] : قال أبو دهمان الغلابى عن الوقاصى[2] . قال وحدثنى بذلك الفيذاق عن الوقَّاصى قال : قالت جارية لأمّها ليلة زفافها : يا أُمَّهْ ، إن كان أيرُ زوجى مثلَ أيرِ الفيل كيف أحتال حتَّى أنتفع به ؟ قال : فقالت الأمّ : أى بُنيَّة قد سألتُ عن هذه المسألة أمّى فذكرتْ أنّها سألتْ عنها أمّها فقالت : لا يجوز إلاّ أن يجعلَكِ اللهُ مثلَ امرأةِ الفيل . قال : فسكتَتْ حولاً ثم قالتْ لأمّها : يا أُمّه ، فإنّى إنْ سألتُ ربّى أن يجعلنى مثلَ امرأةِ الفيل أتطمعين[3] أن يفعلَ ذلك ؟ قالت : يا بُنيَّة ، قد سألتُ عن هذه المسألة أمّى فذكرتْ أنّها سألتْ عنها أمّها فقالت : لا يجوز [ذلك] إلا أن يجعلَ اللهُ جميعَ نساء الرِّجال مثلَ نساء الفيلة . قال : فسكتَتْ عنها حولاً ثم قالت : فإنْ سألتُ ربّى أن يجعلَ نساء جميعِ الرِّجالِ مثلَ نساء الفيلة أتطمعين[3] أن يفعلَ ذلك ؟ قالت : يا بُنيَّة ، قد سألتُ عن مثل هذه أمّى فذكرتْ أنّها سألتْ أمّها عنها فقالت : لا يجوز [ذلك] إلاّ أن يجعلَ الله جميعَ رجال النِّساء مثلَ رجالِ نساء الفيلة . قال : فسكتَتْ عنها حولاً ثم قالت : فإنْ سألتُ

(١) فيما عدا ل : « المديتى » تحريف .

(٢) ل : « قلت لأبى دهمان الغلابى عن الوقاصى » وفيما عدا ل : « قال أبو البرهان العلائى ثم الوقاصى » وقد جمعت منهما الصواب . وأنشد الجاحظ فى البيان (٢ : ٢٠٧) لأبى دهمان الغلابى :

لئن مصر فاتتنى بما كنت أرتجى ... وأخلفنى منها الذى كنت آمل
فما كل ما يخشى الفتى بمصيبه ... وما كل ما يرجو الفتى هو نائل
فما كان بينى لو لقيتك سالما ... وبين الغنى إلا ليال قلائل

(٣) فيما عدا ل : « أتطمعى » .

ربِّى أنْ يجعلَ جميعَ رجالِ النِّساءِ مثلَ جميع رجال نساء الفِيَلة أتطمعين أن يَفعَلَ ذلك ؟ قالت : يا بُنَيَّة ، قد سألتُ عن هذه المسألة أمِّى فذكرتْ أنَّها [قد] سألتْ أمَّها عنها ، وأنَّها قالت : يا بُنَيَّة ، إنَّ الله إنْ جعلَ جميعَ النَّاسِ فِيلَةً لم تجدِ امرأةُ الفيل مع عِظَمِ بدنها من اللَّذَّة إلاَّ مثلَ ما تجدين أنتِ اليومَ مع زوجك من اللَّذَّة ، ثم تذهب عنك لذةُ الشَّمِّ والتَّقبيل
٧٥ والضمِّ [والتقليب] ، والعِطْر والصِّبْغ، والحَلْى والمِشْطة[١] ، والثِّياب والتغذية وجميع مالَكِ اليومَ .. [قال] : فسكتَتْ عنها حَولاً ثم قالت : يا أمَّهْ إنْ سألتُ ربِّى أن يجعلَ أيرَ الفِيل أعظَمَ أتطمعينَ أن يفعَلَ ذلك ؟ قالت الأمّ : أىْ بُنَيَّة ، قد سألتُ عن هذه المسألة أمِّى فذكرتْ أنَّها سألتْ عنها أمَّها ، وأنَّها قالت : أىْ بُنَيَّة ، إنَّ الله إنْ جَعَل أيرَ الفيل أعظَمَ ، جعل[٢] حِرَ امرأةِ الفيل أوسعَ وأعظَم ، فيعودُ الأمرُ كلُّه إلى الأمرِ الأوّل . قال : فسكتَتْ [عنها] حولاً ثم قالت : يا أمَّه ، فإنْ سألتُ ربِّى أن يجعل أيرَ الفيل أشدَّ غُلْمة[٣] فيصير عددُ أكوامه أكثرَ أتطمعين أن يفعل [ذلك] ؟ قالت : أىْ بُنَيَّة ، قد سألتُ عن هذه المسألة أمِّى فذكرتْ أنَّها سألتْ أمَّها عنها ، وأنَّها قالت : أىْ بُنَيَّة سَلِى اللهَ أن يجعل زوجَكِ أشدَّ غُلْمةً ممَّا هو عليه ، ولكن لا تسأليه ذلك حتَّى تسأليه أن يزيدك[٤] فى غلمتك . قالت : يا أمَّه ، فإنْ سألتُ رَبِّى أن يجعلَه فى غُلْمة

---

(١) المشطة ، بالكسر : الضرب من الامتشاط ، فيما عدا ل : « المشطة » وهو مصدر ميمى .

(٢) فيما عدا ل : « وجعل » . وإنما هو جواب « إن » .

(٣) فيما عدا ل : « أعظم غلمة » .

(٤) فيما عدا ل : « يزيد » .

التيس أتطمعين أن يفعلَ ذلك ؟ قالت : أىْ بُنَيّة ، قد سألتُ عن مثل هذه المسألة أمّى فذكرَتْ أنّها سألَت عنها أمّها ، وأنّها قالت : لا يجوز أن يجعلَه فى غُلْمَة التّيس حتّى يجعلَه تَيساً ، قالت : يا أمّه فإنْ سألتُ ربّى أن يجعله تيساً [أتطمعين فى ذلك ؟ قالت : أى بُنيّة ، إنه لا يجعله تيساً حتّى يجعلَكِ عنزاً . قالت : أىْ أمّه ، فإنْ سألتُه أن يجعله تيساً] و يجعلنى عنزاً أتطمعين أن يفعلَ ذلك ؟ قالت : أىْ بُنيّة قد سألتُ عن هذه المسألة أمّى فذكرَتْ أنّها زارَتْ أمّها لتسألها عن هذه المسألة فوجدَتْها فى آخرِ يوم من الدُّنيا وأوّلِ يوم من الآخرة ، وما أشكُّ أنَّ يومى قد دنا[١] .

فلم تلبثِ [الأمُّ] إلاّ أيّاماً حتّى ماتت[٢] .

باب الظلف

وهى الظِّباء وهى مَعزٌ ، والمعز أجناسٌ . والبقرُ الوحشىُّ ذاتُ أظلافٍ ، وهى بالمَعْز أشبهُ منها بالبقر الأهلىّ ، و [هى] فى ذلك تسمَّى نعاجا . وليس بينها و بين الظِّباء وإن كانت ذواتِ جِرّةٍ وكُرُوشٍ وقرونٍ وأظلافٍ تَسافدٌ ولا تلاقح . وهى تُشبهها فى الشَّعَر ، وفى عدَم السَّنام .

ومن الظِّلف الوَعِل ، والثَّيتَل ، والتّامور[٣] ، والأيّل . جَبَليات كلُّها ، لا أدرى كيفَ التَّسافد والتَّلاقُح منها .

---

(١) ل : « أن أجلى قددنا » .

(٢) بعد هذه الكلمة فيا عدا ل : « معناها فى تسويف الثقة ودفعها بالحيلة » ولا إخالها من كلام الجاحظ .

(٣) فى اللسان (أمر) : « التامور جنس من الأوعال أو شبيه بها ، له قرن واحد متشعب فى وسط رأسه » . فيا عدا ل : « النامور » محرف .

ومن الظِّلْف الخنازيرُ وهى بلا كَرِشٍ ولا جِرّة ولا قَرْنٍ[١] . وليس بينهما موافقةٌ إلاَّ فى الظِّلْف .

وفى الخنازير ما ليس ظِلفه بمنشقٍّ ، فذاك[٢] هو المخالفُ بالنّاب وبعدم[٣] [هذه] الأشياءِ كلِّها .

وتُشاكِلُ[٤] المعزَ والبقرَ والظِّباء بالشَّعَر وقِصَر الذَّنب ، وتُخالف[٥]

٧٦ البقر والجواميسَ فى طول الذَّنَب ، وفى عدد أيّام الحَمْل .

ومن الظِّلْف الضأنُ والمَعْز ، وقد يكونُ بينهما[٦] تسافدٌ وتلاقح إلاَّ أنّها تُلقيه مَليطًا[٧] قبل أن يُشعِر . وذلك أقلُّ من القليل .

ومن الظِّلْف البقَر الأهليُّ ، والجواميس ، وهى أهليّةٌ أبدا ، وهى موافقةٌ للضأن فى القرن[٨] وفى عدم النّاب ، و [فى] الجِرّة والكَرِش .

وتخالف الضَّأنَ فى الصُّوف والسنام[٩] وتوافق المعـــز فى الشعر وتخالف [فى] السنام[٩] ، وتخالف جميعَ الغنم فى الحَمْل ؛ لأنّ الغنمَ تضع لخمسةِ أشهر ، والبقر تضعُ كما تضعُ المرأةُ فى تسعة أشهر ،وليس تُشبه المرأةَ فى غير ذلك ، إلاَّ ما يذكرون من الغبَب ونُتوِّ الـكاهل ؛ فإنّهما ربّمـا كانا فى بعض النِّساء ، وأكثر ذلك فى نساء الدّهاقين .

(١) فيما عدا ل : «وهى لا كرش ولا جرة ولا قرون» محرف .
(٢) فيما عدا ل : « فيقال » .
(٣) فيما عدا ل : « وتقدر » محرف .
(٤) أى الخنازير . وفى ل « تتشاكل » تحريف .
(٥) فيما عدا ل :« ويخالف » محرف .
(٦) ل : « بينها » .
(٧) المليط : التى لا شعر عليه . ويقال أشعر الجنين فى بطن أمه ، وشعر بالتشديد ، واستشعر ، أى نبت عليه الشعر .
(٨) فيما عدا ل : « القرون » .
(٩) كذا وردت هذه الـكلمة .

(القول فى الزرافة)

قالوا : والزَّرافة تكون فى أرض النُّوبة فقط . قالوا : وهى تسمَّى بالفارسية أُشتُرْ كَاوْبلنك[1] كأنه قال : بعير ، بقرة ، نمر[2] . لأنّ كاوْ هو البقرة ، وأُشتُر [هو[3]] الجَمَل ، وبلنك هو النَّمِر[4] .

فزعموا أنّ الزَّرافةَ ولدُ النَّمِرة[5] من الجمل . فلو زعمتم أنّ الجملَ يكوم الضَّبُعَ ويكوم [بعض] ماله ظِلفٌ ما كان إلاّ كذلك . والمسافَدةُ فى أجناس المِخْلب والخُفّ والحافر أعمُّ ، فلو جعلوا الفحلَ هو النَّمر ، والأنثى هى الناقة ، كان ذلك أقرَبَ فى الوهم .

وليس كل ذكر يكوم[6] أنثى يُلقِحُها . وقد يكومُ الإنسانُ الدابّةَ بشهوةٍ منهما جميعا ولا يكون تلاقُح كما اتّفقا فى المسافدة ، وإنّ الرّاعىَ يكومُ الغنمَ وغيرَ الغنم .

وانظُرْ ، كم مِنْ ضَرْبٍ ادَّعوا ممّا لا يُعرَف : فواحدةٌ أنّ بهيمةً[7]

---

(١) أشتر ، بضم الهمزة والتاء . وفى ط ، ه : « شتر » وهى صحيحة أيضا ، تقال بضم الشين والتاء . وبلنك ، هى فى الفارسية بالباء المفخمة .

(٢) ط ، س : « كأنه يعنى بقرة » ه : « كأنه يعنى بقرة جمل » وأثبت النص كاملا من ل .

(٣) هذه من ه فقط .

(٤) الذى فى ل بعد كلمة « نمر » السابقة : « لأن بلنك نمر » . وكلمة « النمر » هى فيما عدا ل : « الضبع » وهو يوافق مامضى فى (١ : ١٤٣) ، والصواب ما أثبت . أما الضبع بالفارسية فهى « كفتار » كما سبق التحقيق فى (٦ : ٤٥٢) .

(٥) فيما عدا ل : « النمر » .

(٦) الكوم : الضراب . ط فقط : « يكون » محرف .

(٧) فيما عدا ل : « بهيما » تحريف .

ذكراً اشتهى سبعاً أنثى ، وهو من أصعب السّباع . ثمّ الثانية أنّه ألقح[1] . والثالثة أنّ أرحامَ النُّمور لا تتّسع لأولاد الإبل .

قالوا : نمورُهم عِظامٌ وإبلُهم لِطاف . وقد تتّسع أرحامُ القِلاص العربيّة لفوالج[2] كِرْمان ، فتجيء بهذه الجمّازات[3] . ولولا أنّه فسّر[4] لجازَ أن يكونَ النّمِرُ يكومُ النّاقةَ فتتّسع أرحامُها لذلك .

قالوا : وفى أعالى بلاد النُّوبة تجتمع سباعٌ ووحوشٌ ودوابُّ كثيرة ، فى حَمارّةِ القيظ إلى شرائع المياه ، فتتسافدُ هناك فيلقَح منها ما يَلقَح ، ويمتنعُ ما يمتنع ، فيجيء من ذلك خلقٌ كثيرٌ[5] مختلفُ الصُّورة والشّكل والقدْر ، منها الزَّرافة .

والزّرافة خَطْمُ الجَمل ، والجِلد للنّمِر[6] ، والأظلاف والقرن للأيِّل[7] ، والذّنَب للظّبى ، والأسنان للبقَر . فإنْ كانت أمُّها ناقةً فقد كامَها نمِرٌ وظَبىٌ وأيِّل فى تلك الشرائع . وهذا القولُ يدلُّ على جهْلٍ شديد . والزّرافة طويلةُ الرِّجْلين ، منحنية إلى مآخيرها[8] ، وليس لرجلَيْها

٧٧ ركبتان ، وإنّما الرُّكبتانِ ليديها . وكذلك البهائم كلُّها . وعسَاهُ إنّما أرادَ

---

(١) ط فقط : « أن ألقح » .

(٢) الفالج : الجمل الضخم ذو السنامين . فيما عدا ل : « لروائح » محرف .

(٣) الجمازات : جمع جمازة ، وهى التى تجمز ، أى تسرع فى عدوها . وانظر (١ : ٨٣ — ٨٤ / ٥ : ٤٥٩) . وفيما عدا ل : «الجبارات» محرف .

(٤) فيما عدا ل : « ولولا أنه سبع » .

(٥) ل : « عظيم » .

(٦) أى جلد الزرافة يمت إلى النمر بسبب وشبه .

(٧) بدلها فى ل : «والرأس والأظلاف للأيل » والوجه ما أثبت من سائر النسخ .

(٨) فيما عدا ل: « إلى أواخرها » .

الثَّفِنات[1] . والإنسانُ رُكبتاه في رجلَيه .

ويقولون « أشترْ مُرْك[2] » للنَّعامة ، على التَّشبيه بالبعير والطَّائر ، يريدون تشابُهَ الخلْق ، لا على الولادة .

ويقولون للجاموس « كاوماش[3] » على أنّ الجاموس يُشْبه الكبشَ والثَّور ، لا على الولادة ؛ لأنّ كاو بقرة ، وماش[4] [اسمٌ للضأن .

وقال آخر : تضع أمُّ الزَّرافة ولدَها من بعض السِّباع ، ولا يشعُرُ النّاسُ بذلك الذَّكر . قالوا : كاوماش] على شَبَه الجواميس بالضَّأن ؛ لأنّ البقرَ والضَّأنَ لا يقع بينهما تلاقحٌ . والتَّفليس[5] الذى فى الزَّرافة لا يُشْبه الذى فى النَّمِر ، وهو بالبَبْر[6] أشبَه ، وما النَّمِر بأحقّ به[7] من هذا الوجه من الفَهْد .

(تسافد الأجناس المختلفة)

وقد يمكن أن تُسْمِحَ الضَّبعُ للذِّئب[8] ، [والذِّئبة للذِّيخ] ، والكلبةُ لِلذِّئبِ ، وكذلكَ الثَّعلبُ والهِرَّةُ ، وَكَذَلِكَ الطَّيْرُ وأجْناسُ الحَمامِ كالوَرْدَانيّ

(١) كذا وردت هذه العبارة فى ل . وبدلها فى ط : « وعساها إن أرادت القيام » وفى س ، هـ : « وعساها إذا أرادت القيام » لكن فى س : « فساها » وهاتان عبارتان مقحمتان . وأما ماجاء فى ل فهو إما دليل على سقط قبله ، أو هو دخيل على الكتاب من تعليق قارئ أو ناسخ .

(٢) مرك ، والأصح فيه « مرغ » بضم الميم وآخره غين معجمة كما فى معجم استينجاس ١٢١٦ ، وكما سبق فى (١٤٣:١ / ٣٢١:٤) . لكن سبق نظير هذا التساهل فى النطق فى ص ١٢٠ وقد نبهت عليه . وفيما عدا ل : « اشترمك » محرف .

(٣) فيما عدا ل : « كاوماس » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « ماس » تحريف .

(٥) التفليس : أراد به اللمع التى تشبه الفلوس .

(٦) فيما عدا ل : « بالليث » تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « وما الليث أحق به » محرف .

(٨) فيما عدا ل : « للأرنب » تحريف .

والوَرَشان والحمام ، وكالشِّهريِّ من بين الحِجْر والبِرذَوْن ، والرَّمَكة والفرَس ، والبغلِ من بين الرَّمَكة والحمار .

فأمَّا بُروك الجمل على النَّاقة ، والجملُ لا بدَّ أنْ تكون طَرُوقتُه باركةً ، فكيف تبرُك النَّاقة للجمل ، والسِّباع إنَّما تتسافد وتتلاقح قائمةً ، وكذلك الظِّلف والحافر ، والمِخْلَب والخُفّ . والإنسانُ والتِّمساح يتبطَّنان الأنثى . والطيرُ كلُّه إنّما يتسافَدُ و يتلاقح بالأستاه من خلف[1] وهي قائمة .

(شواذ السفاد)

وزعموا أنّ الغرابَ يُزَاقّ[2] .والحُمَّرُ والقَبَج ربَّما ألقحا الإناث[3] إذا كانا على عُلاوَة الرِّيح[4] . ولا تكونُ الولادةُ إلاّ في موضع[5] إلقاء النُّطفة [والشَّيءِ الذي يلقح منه] .

وأمّا السَّمكةُ فقد عاين[6] قومٌ مُعارضَةَ الذَّكر للأنثى ، فإذا سَبَح الذَّكَرُ إلى جنْب الأنثى عَقَف ذنَبَه وعقفَتْ ذَنَبها ، فيلتقي المبالان[7] فتكونُ الولادة [من] حيث يكون التلقيح ، لا يجوزُ غير ذلك .

والذين يزعمون[8] أنَّ الحجلةَ تلقَحُ من الحجَل إذا كانَتْ في سُفَالة

---

(١) هاتان الكلمتان ليستا في ل .

(٢) أي يكون لقاحه الأنثى بالتزاق . انظر لهذا المعنى ما سبق في (٣ : ١٧٧) .

(٣) فيما عدا ل : « الحجل والقبج فربما ألقحا الإناث » تحريف .

(٤) علاوة الريح بالضم : أعلاها ؛ ويقابلها السفالة بالضم أيضا .

(٥) فيما عدا ل : « مواضع » .

(٦) فيما عدا ل : « باين » محرف .

(٧) فيما عدا ل : « الحياءان » .

(٨) فيما عدا ل : « زعموا » .

الرِّيح ، من شيء ينفصل من الذَّكر[١]. فإنّما شبّهوا الحجَل بالنَّخل؛ فإنّ[٢] النَّخلةَ ربَّما لَقِحَتْ من ريح كافورِ الفُحّالِ[٣] إذا كانت تحتَ الرِّيح .

(المخايرة بين ذوات القرون والجم)

[قال] : وسئل الشَّرْقيّ عن مخايرةِ[٤] ما بين [ذوات] القرون والجُمّ فقال : الإبل والخيل من [الخفّ و] الحافر . والبرثُن والمِخْلب والقدَم التي هي للإنسان[٥]. [قال] : فمن خصال ذِي القرن أنّ منه [وإليه ينسب] ذو القرنين[٦] الملكُ المذكورُ في القرآن . ويزعم بعضُهم أنّه الإسكنْدَر . وقال أُميّة بن أبي الصَّلْت :

رَجُلٌ وثَورٌ تحتَ رجل يمينِه ... والنَّسرُ للأُخْرى وليَثٌ مُرْصَدُ[٧]

(استطراد لغوى)

ويُقال ضَرَبه على قَرْنِه . وقَرْنٌ من دم ، كما يقال قرنٌ من عرَق[٨] . والقَرْن أُمّة بعد أُمّة . والقَرَنُ[٩] شيء يصيب فُروج النساء يُشْبِه العَفَلة[١٠] .

---

(١) ط : « في شيء لنقصان من الذكر » س ، ه : « في شيء لنقصان من الذكر » صوابهما في ل .

(٢) فيما عدا ل : « وإن » .

(٣) الفحال ، بالضم : ذكر النخل . فيما عدا ل : « النخال » محرفة .

(٤) فيما عدا ل : « عاجزة » تحريف .

(٥) كذا وردت هذه العبارة .

(٦) فيما عدا ل : « ذا القرنين » .

(٧) سبق البيت والكلام عليه في (٦ : ٢٢٢) .

(٨) القرن : الدفعة من العرق ، يقال عصرنا الفرس قرنا أو قرنين . قال زهير :

تضمر بالأصائل كل يوم ... تسن على سنابكها القرون

(٩) هو بسكون الراء اسم العفلة ، وبفتحها اسم العيب .

(١٠) العفلة ، بالتحريك هي للنساء شبه الأدرة التي للرجال في الخصية . قالوا : والعفل =

(ذوات القرون)

٧٨ والفيل من ذوات القرون ، وفى الحيّات والأفاعِى ما لها قرون وإنّما ذلك الذى تسمع أنه[1] قرن إنّما هو شىءٌ يقولونه على التّشبيه ، لأنّه من جنس الجِلْد والغضروف . ولو كان مِن جنس القُرون لكانت الحيّةُ صلبةَ الرأس ، والحية أضعفُ خَلق الله رأساً[2] ، ورأسُه هو مَقْتَلُه ؛ لأنّ كلّ شىء له قرنٌ فرأسُه أصْلَب ، وسلاحُه أتمّ . والقَرْن[3] سلاحٌ عَتِيدٌ غير مُجتَلَبٍ[4] ولا مصنُوع ، وهُو لذوات القُرون فى الرؤوس . والكَرْكَدّن قرنٌ فى جبهته ، والجاموس أوثق بقَرْنِه من الأسد بمخْلبه ونابه .

وتقول المجوس : يجىء بَشُوتَن[5] على بقرةٍ ذاتِ قُرون .

وظهرت الآيةُ فى شأن داودَ وطالوتَ فى القَرْن . وشَبُّورُ اليَهود من قَرْن[6] . والبُوق فى الحُروب مُذ كانت الحَرْب[7] إنّما كان قرناً .

= لا يكون فى الأبكار ، ولا يصيب المرأة إلا بعد ماتلد . ط : « يشبه بالعقلة » س : « لشقه بالعفلة » هـ : « لشفه بالعفلة » والوجه ما أثبت من ل .

(١) ط ، هـ : « سمع به » ل ، س : « تسمع به » والوجه ما أثبت .

(٢) فيما عدا ل : « أضعف شىء رأسا » .

(٣) فيما عدا ل : « والقرون » محرف .

(٤) فيما عدا ل : « غير مختلف » تحريف .

(٥) ل : « بشوتن » وفيما عدا ل : « سرقين » . وقد سبق فى (٦ : ٤٧٧) بلفظ « سومين » و « سوفى » . ولعل الوجه ما أثبت . وفى معجم استينجاس ١٩٠ عند ذكر (بشوتن) : " name of a son of Gushtasb " أى اسم ولد لكشتاسب ، وهو أحد ملوك الفرس .

(٦) انظر الشبور ما مضى فى (٤ : ٥٢٥) .

(٧) فيما عدا ل : « التى منها كانت الحرب » تحريف .

[و بُوق الرَّحَى قرنٌ . والأَيِّل يَنْسُل قَرنَه فى كلّ عامٍ . وكان سِنان رُمح الفارس فى الجاهليَّة رَوقَ ثَور] .

(ما يسمى بروق)

ويسمَّى الرَّجلُ بِرَوق ، والرَّوْق كالشىء يعاقب الشىء[1] . وقال بشّار فى التّعاقُب[2] :

أَعقَبَتْه الجَنُوبُ رَوْقًا من الأَزْيَبِ[3]

وفى العَرب رَوْقٌ وأَبو رَوْق[4] . وقال ابن مَيّادة :

دَانَ له الرَّوقانِ من وائلٍ وقَبْلَهُ دانَتْ له حِمْـيَرُ[5]

الرَّوْقانِ : بكرٌ وتَغْلِب[6] .

(استطراد لغوى)

ويقال قَرْنُ الضُّحى ، وقَرْن الشّمس ، [وقُرون الشَّمَر] ، وقَرْنُ الـكَلَأ[7] وقرون السُّنبل ، وأَطرافُ عذوق النَّخل وأطراف عروق الحَلْفاء[8] وإبرةُ العقرب كلُّها قُرون .

---

(١) فيما عدا ل : « كل شىء يضاف إلى شىء » .

(٢) فيما عدا ل : « اليعاقيب » تحريف .

(٣) كذا ورد البيت منقوصا . وفيما عدا ل : « أعقبه » . والأزيب : النكباء التى تجرى بين الصبا والجنوب . ط ، س : « الأريب » وفى ل ، ه : « الأرنب » صوابهما ما أثبت .

(٤) وردت هذه الجملة فى ل قبل « وقال بشار » .

(٥) فيما عدا ل : « دان له حمير » .

(٦) كذا . وقد ذكر المحبى فى جنى الجنتين ٥٦ أنهما مالك وجشم ابنا بكر بن حبيب وقال فى ٥٣ : « الرأسان مالك وجشم ابنا بكر بن حبيب ، وهما الروقان أيضا » .

(٧) ط فقط « قرن الـكلام » محرف . وفى اللسان : « وقرن الـكلأ أنفه الذى لم يوطأ » وقيل خيره » وقيل آخره . وأصاب قرن الـكلأ إذا أصاب مالا وافرا » .

(٨) ل : « عروق » فى الموضعين . وفيما عدا ل : « عذوق » فى الموضعين . ولعل الوجه فيما أثبت .

(علاقة القرون واللحى بالذكور)

والأجناس التى [تكون] لها القرون تكونُ قرونُها فى الذُّكور منها . وقد يكون الفحلُ أجمَّ ، كما أنَّ اللِّحَى عامٌّ فى الرِّجال . وقد يكون فيهم السِّناط[1] .

(أنواع القرون)

وقد تَتَشعَّب[2] قرونُ الظباء إذا أسنَّتْ .

وقرونُ الظِّباء و بقَرِ الوحْش شِدادٌ جدًّا ، و إنّما تعتمد الأوعالُ فى الوُثوب[3] وفى القذْف بأنفُسها مِن أعالى الجبال على القُرون . والأغلب على القُرون أنْ تكون اثنَيْن اثنَين[4] .وقد يكون لبعض الغنَم قرونٌ عِدّة .

(استخدام القرون)

والجواميسُ تمنَعُ أنفسَها وأولادَها من الأُسْد بالقُرون ، و بقَر الوحش تمنع أنفسَها وأولادَها من كِلاب القُنّاص ومن السِّباع التى تُطيف بها بالقُرون . قال الطِّرِمّاح :

أكُلَّ السَّبْعُ طَلَاَهَا فما تَسَألُ الأشباحَ غَيْرَ انْهِزَامِ[5]

---

(١) السناط ، بكسر السين وضمها . ويقال أيضا «السنوط» كصبور : الذى لا لحية له . ط : « السنباط » صوابه فى س ، ه . وفى ل : « السوط » صوابه هذه « السنوط » . وكلمة « فيهم » هى فيما عدا ل : « منهم » .

(٢) فيما عدا ل : « تشعب » .

(٣) فيما عدا ل : « وإنما تعتمد الأوعال فى السلاح والوثوب » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « اثنتين اثنتين » محرف .

(٥) البيت فى ديوان الطرماح ١٠٧ . فيما عدا ل : « فبا نسل الإسلام » صوابه =

(قصة فى سفاد الخنزير)

وقال ابن النُّوشَجانى[١] : أقبلت من خراسان فى [بعض] طُرُق الجِبال[٢] فرأيتُ أكثرَ من ميلَين [متّصلين] فى مواضعَ كثيرةٍ من الأرض ، أثرَ ستِّ أرجل [فقلت فى نفسى : ما أعرف دابّة لها ستُّ أرجُل] ، فاضطرّنى الأمر[٣] إلى أنْ سألتُ الـبكارِىَ ، فزعَم أنّ الخنزيرَ الذّكرَ فى زمان الهَيْج يركب الخنزيرة وهى ترتعُ أو تذهبُ نحوَ مَبيتِها ، ٧٩
فلا يَقطَعُ سفادَه أميالاً ، ويداه على ظهرِها ورجلاهُ خَلْفَ رجليها . فمَنْ رأى تلك الآثار[٤] ، رأى ستّ أرجلٍ ، لا يدرى كيفَ ذلك .

(ما يعرف بطول السفاد)

قال : فالخنزير فى ذلك على شَبيهٍ[٥] [بحال] الذّباب [الذكر] إذا سقط[٦] على ظهر الأنثى فى طول السِّفاد .

وإنّ الجملَ فى ذلك لعجيب الشّأن . فأمّا العدد فالعصفور[٧] . ويُحكَى أنّ للورَل فى ذلك ما ليس لشىء ، يعنى فى القوة . وأنشد أبو عبيدةَ :

= فى ل والديوان . وفى شرح الديوان : « هذا مثل . يقول : لا تسأل الأشباح عما بها من الفزع . . . غير انهزام : غير أنها تغدو وهى منهزمة » .

(١) التوشجانى : نسبة إلى توشجان ، بضم التون وفتح الشين ، وهى مدينة بفارس . وفى ط ، س : « التوسحار » وفى ه : « البوسحار » صوابهما ما أثبت من ل .

(٢) فيما عدا ل : « طروف الجبال » تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « فاضطرنى ذلك » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « ذلك الأثر » .

(٥) فيما عدا ل : « شبه » .

(٦) فيما عدا ل : « سقطت » تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « والعدد فى العصفور » .

فى عُظْمِ أيرِ الفيلِ فى رَهْزِ الفرَسْ[1]
وطولِ عَيْسِ جَمَــلٍ إذا دَحَسْ[2]

(فرس المـاء)

قال عَمْرو بنُ سعيد : فرس المـاء يأكل التِّمساح . قال : ويكون فى النِّيل خُيول . وفى تلك البحور — يعنى تلك الخُلْجان — مثلُ خيول البرّ ، وهى تأكل التماسيحَ أكلاً شديداً[3] . وليس للتماسيح فى وسط الماءِ سلطان[4] شديدٌ[5] إلاّ على ما احتمَلَه بذنَبه من الشَّريعة .

قال : وفرس المـاء[6] يؤْذِن بطلوع النِّيل ، بأثر وطْء حافِره ، فحيث وجدَ أهلُ مِصرَ أثرَ تلك الأرجل عرَفُوا أنّ [ماء] النيل سَينتهى[7] فى طلوعه إلى ذلك المـكان .

وهذا الفرَس ربّمـا رعَى الزّرُوع[8] . وليس يبدأُ إذا رَعَى فى أدْنَى الزّرْع إليه ، ولـكنّه يحزُرُ منه قدْرَ ما يأكل[9] ، فيبدأُ بأكله[10] من

(١) ط ، س : « الفيل وهو قوس ه » : « وهو موس » والوجه ما أثبت من ل .
(٢) العيس ، بالفتح : الضراب . وفيما عدا ل : « وطول حبس إذا حبس » .
(٣) فيما عدا ل : « التمساح أكلا ذريعا » .
(٤) هذه الجملة ساقطة من ه . وفيما عــدا ل : « ولا للتمساح فى وسط المـاء سلطان » تحريف .
(٥) هذه الـكلمة ساقطة من س . وبدلها فى ط ، ه : « يظهر » .
(٦) فيما عدا ل : « وفرس البحر » .
(٧) فيما عدا ل : « ينتهى » .
(٨) فيما عدا ل : « الزرع » .
(٩) الحزر : تقدير الشىء بالحدس والظن . فيما عدا ل : « يحرز منه بقدر ما يأكل » تحريف .
(١٠) ط ، ه : « يبدأ فيأكل بأكله » س : « فيبدأ فيأكل بأكله » . والوجه ما أثبت من ل .

أقصاه ، فيرعى مُقبِلا إلى النِّيل . وربَّما شرب [هذا الفرس] من الماء بعد المَرعَى[١] ثم قاءه فى المكان الذى رَعَى فيه[٢] ، فينبت أيضاً .

والطَّير عندنا يأكلُ التُّوت ويَذرِقُه[٣] ، فينبت من ذَرْقه شجَر التُّوت .

قالوا : وإذا أصابُوا من هذه الخَيل فِلوًّا صغيراً[٤] ربَّوه مع نسلهم وصِبيانهم فى البُيوت . ولم يزِدْ على هذا الكلام [شيئا] .

قال : وفى سنٍّ من أسنانه شفاءٌ من وجع المَعِدة .

(التداوى بفرس الماء وبنات عرس)

قال : والنُّوبةُ وناسٌ من الحبَشة يأكلون الحيتان[٥] نِيّةً بغير نار ، ويشربون الماء الكدِر فيمرَضُون[٦] ، فإذا علَّقوا سنَّ هذا [الفرس] أفاقوا .

قال : وأعفاج هذا الفرسِ تُبرِئ من الجنون والصَّرْع الذى يعترِى مع الأهِلّة[٧] .

قال : وكذلك لحومُ بنات عِرْسٍ صالحةٌ لِمَنْ به هذه العلّة .

(١) فيما عدا ل : « بعد الرى » تحريف .
(٢) ط ، هـ : « ثم قاء » . وفيما عدا ل : « يرعى فيه » .
(٣) فيما عدا ل : « تأكل التوت وتذرقه » والأمثل ما أثبت من ل .
(٤) الفلو : الجحش والمهر إذا افتلى وفطم . يقال بكسر الفاء ، وبضمها مع اللام وتشديد الواو ، وبفتحها مع ضم اللام وتشديد الواو .
(٥) فيما عدا ل : « الحية » .
(٦) هذه الكلمة ساقطة من ل . وفيما عدا ل : « الماء الطين » .
(٧) انظر لهذا ماسبق فى ص ١٣٨.

(صيد الذئب للإنسان)

قال : وإنّما يكونُ الإنسان من مصايد الذِّئب إذا لقيه والأرض ثَلْجاء[١] ، فإنّه عند ذلك يحفِش وجهَ الأرض[٢] ويجمعُه ويضرب وجهَ الرجل[٣] فارساً كان أو راجلاً . قال : ودُقاق[٤] الثَّلج وغُباره إذا صكّ وجهَ الفارسِ سَدِرَ واسترخَى وتحيَّر بصَرُه ، فإذا رأى ما قد حلّ به فربّما بَعَجَ بطنَ الدّابَّة ، وربّما عضّها ، فيقبضُ على الفارس فيصرعُه ولا حَرَاكَ به ، فيأكله كيف شاء ، إلاّ أن يكون الفارس مجرِّباً ماهراً ، فيشدُّ عليه عند ذلك بالسّلاح ، وهو فى ذلك يَسيرُ ويقطعُ المفازةَ ، ولا يدعَه[٥] حينئذٍ يتمكّن من النفر عليه .

(تعليم الذئب وتأليفه)

وزَعَم عبويه أنّ الخصيّ العبدى الفقيه من أهل هَمَذَانَ ، السودانى[٦]
٨٠ الجَبَلى ، وهو رجلٌ من العرب قد ولدته حليمةُ ظئرُ النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وهو من بنى سعد بن بكر . فزعَم أنّ السُّودانى أشبَهُ خلق الله بجارحةٍ وأحكمُهمْ بتدبير ذئبٍ وكلْبٍ وأسدٍ ونَمر ، وتعليمٍ وتثقيف ، وأنه

---

(١) لم أجد هذا الوصف فيما لدى من المعاجم .
(٢) يحفشه : يقشره . ط : « يخفش » صوابه بالحاء كما أثبت من س . وفى ﻫ : « يحنش » تحريف .
(٣) ط فقط : « وجه الأرض » تحريف .
(٤) الدقاق ، بالضم . ط ، ﻫ : « دقائق » .
(٥) الكلام بعد هذا اللفظ إلى «متحكم للمودة من فؤادى » التى ستأتى فى ص ٢٥٦ لم أعثر على موضعها فى نسخة ل .
(٦) انظر ماسبق فى حواشى (٦ : ٢٦) .

بلغ مِن حذقه ورِفقه أنه ضَرّى ذئباً وعلّمه ، حتَّى اصطاد له الظِّباء والثَّعالبَ وغيرَ ذلك من الوحوش ، وأنَّ هذا الذئبَ بعينه سَرَّحَه فرجَع إليه من ثلاثين فرسخا . وذكر أنَّ هذا الذِّئبَ اليومَ بالعسكر . وحدَّثنى بهذا الحديث فى الأيام التى قام بها أميرُ المؤمنين المتوكِّلُ على الله ، وذكر أنّه ضَرّى أسداً حتَّى أَلِف وصار أهليًّا صَيُوداً ، حتَّى اصطادَ الحميرَ والبقرَ وعِظامَ الوحش صيداً ذريعا ، إلاَّ أنَّ الأسدَ بعد هذا كلِّه وثَبَ على ولدٍ له فأكله ، فقتَلَه السودانى .

والذى عندنا فى الذِّئب أنَّه يألف . ولو أخَذَ إنسانٌ جرواً صغيراً من جرائه ثمَّ ربّاه، لما نَزَعَ إلاَّ وحشيًّا غَدُوراً مُفْسداً. ولذلك قال الأعرابى :

أكلْتَ شُوَيهَتى ونَشَأْتَ فينا فمن أنباكَ أنْ أباكَ ذيبُ[1]

فالذى حكى عبويه من شأن هذا الذِّئب والأسد من غريب الغريب .

(مصارعة كلبة لثعلب)

وأخبرنى عبويه صاحب ياسر الخادم قال : أرسلتُ كلبة لى فخاصرَتْ ثعلباً ، فوالله إنْ زالا كذلك حتَّى خرَّا ميتَين . قال : فقلت : أكرِمْ بهما صيداً ومَصيداً ، وطالبا ومطلوبا .

(من خصائص الكبار والفلاسفة)

قال : وإذا أسنَّ القرشىُّ رَحَل إلى الحجاز .

وقال : ما احتنَكَ رجلٌ قطُّ إلاَّ أحبَّ الخلوة . وقالوا : ما فكَّر فيلسوفٌ قط إلاَّ رأى الغُربةَ أجمَعَ لهمِّه وأجوَدَ لخواطره .

---

(١) سبق البيت والخبر وتخريجهما فى ص ١٨٧ .

(قول بكر المزنى فى الأرَضَة)

قال : وشتم رجلٌ الأرَضَةَ فقال بكر بن عبد الله المُزَنى : « مَهْ ، فهى التى أكلَتْ جميعَ الصَّحيفةِ التى تعاقَدَ المشركون فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلاّ ذِكْرَ رسول الله ، وبها تبيَّنَت الجنّ أن لو كانوا يعلمون الغيبَ مالبِثُوا فى العذاب المهين . وبها تكشَّفَ أمرُها عند العوّام بعد الفتنة العظيمة عندهم ، وكان على الخاصّة من ذلك أعظم المحن » .

(طول ذَماء الضب)

وخبّرَنى رجلٌ من بنى هاشمٍ كان منهومًا بالتصَّيدِ لَهِجاً به ، أنّه ضَرَبَ وَسَطَ ضَبٍّ بالسَّيفِ فقطعه نِصفَين ، فتحرّكَ كلٌّ واحدٍ منهما على حِيالِه ساعةً من نهارٍ ثمّ سكَنا .

(الورل والضب)

وأخبرنى أنهم كانوا يُهارِشون بين الضَّبّ والورَل ، فيُلغِبُه الورلُ حتى يقتله[1] .

وحَكَى أنّ الورلَ يقتل الضبّ على معنى الصائد والطالب ، وأن الضبّ يقاتل على معنى المُحْرَج ، وأنّه هارَشَ بين الورَل والحيّة فوجد الورَلَ يقتُل الحيّةَ ويأكلها ، ويقتل الضبَّ ولا يأكله ولكن حُسُوله[2] .

(١) ألغبه : أنصبه وأتعبه . واللغوب : التعب والإعياء . س ، هـ : « فيغلبه » تحريف صوابه فى ط .

(٢) الحسول : جمع حسل ، وهو ولد الضب . وفى الأصل : « ولكنه » .

(علة عدم قتل الأعراب للورل والقنفذ)

وزعم أنّه وجَدَ مشايخَ الأعرابِ لايقتلون وَرَلاً ولا قُنفُذاً ولا يدَعُون أحداً يصطادهما ، لأنهما يقتُلان الأفاعيَ ، ويُرِيحانِ الناسَ منها .

(نوادر من الشعر والخبر)

وأنشد أبو عبيدة لأبي ذُؤيب :

وسوّدَ ماءُ المَرْدِ فاها فلونُه كلَوْنِ النؤُورِ وهي بيضاء سارُها[1]

وأنشد شبيها به للنابغة :

يَتَحَلّبُ اليعضيد من أشداقها صفراً مَناخِرُها من [الجرجار][2]

وأنشد شبيهاً بذلك لإبراهيم بن هَرْمة :

كأنّها إذْ خُضِبت حِنّاً وَدَمْ[3] والحُرضِ الـ..ن والهَرْم العُصُمْ[4]

وأنشد أيضاً :

تعلّمَ الأَكل أولاد الظباء بها فما يحسُّ بها سِيدٌ ولا أسَدُ

---

(١) المرد : الغض من ثمر الأراك . ط ، س : « المزن » صوابه في ه . وفي الأصل « منها » بدل « فاها » صـــوابه في ديوان أبي ذؤيب ٢٤ . وسارها ، أراد سائرها . ورواية الديوان : « أدماء سارها » .

(٢) اليعضيد : بقلة زهرها أشد صفرة من الورس . وفي الأصل : « يتجلب » تحريف . وفي ط ، س : « ليعيد » ه : « التصيد » صوابهما ما أثبت من الديوان ٣٨ واللسان (عضد ، جرر) . وكلمة «الجرجار» ساقطة من الأصل ، كما أن كلمة « من » قبلها ثابتة في س فقط .

(٣) ط : « حنا ورم » س : « بحنا ورم » ه : « بحنا أودم » والوجـه ما أثبت .

(٤) ط ، ه : « من حرص » وأثبت ما في س . والـكلمة التي بعدها ساقطة من ط ، وبدلها بياض في ه . لـكن هكذا وردت مبتورة في س . والحرض : الأشنان تغسل به الأيدي على إثر الطعام . والهرم ، بالفتح : البقلة الحمقاء ، أو ضرب من الحمض فيه ملوحة . والعصم : جمع أعصم .

وأنشد :

ذكرتُكِ ذِكْرةً فاصطدتُ ظبياً   وكُنتُ إذا ذكرتُكِ لا أخيبُ
منحتُكم المودَّة من فؤادِي   ومالى فى مودَّتِكم نصيبُ

وقال ابن مُقبل :

وكم من عدُوٍّ قد شققنا قميصَه   بأسمرَ عسّالٍ إذا هُزَّ عامله[1]

وقال أيضاً :

ولم أصطبِحْ صهباءَ صافيةَ القذَى   بأكدرَ من ماء اللِّهابةِ والعجْبِ[2]
ولم أسْرِ فى قومٍ كرامٍ أعزَّةٍ   غطارفةٍ شُمِّ العرانين من كلْبِ

اللِّهابة[3] والعجْب : ما آن من مياه كلبٍ موصوفان بالعُذوبة ، وهى فى ذلك كَدِرة . وأنشد ابن مَزْرُوع[4] لمدىّ بن غُطيفٍ[5] الكلبىّ ، وكان جاهليًّا :

أهلكنا الليلُ والنهارُ معاً   والدّهر يعدُو على الفتَى جَذَعا[6]
والشَّمسُ فى رأسِ فَلْكةٍ نُصِبتْ   رفَّعها فى السماءِ مَن رَفَعا
أمرٌ بليطِ السماءِ مُكْتَتِمٌ   والنَّاسُ فى الأرضِ فُرَّقوا شِيَعا[7]

---

(١) فيما عدا ل : « شققت » . والعسال : الرمح المضطرب اللدن . ط ، س : « عزال » هـ : « عنآل » صوابه فى ل .

(٢) صافية القذى ، أى قد صفت من القذى . واللهابة ، بالكسر . فيما عدا ل : « اللهاءة » تحريف . والعجب ، هنا بالفتح .

(٣) فيما عدا ل : «اللهاءة» تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « ابن مروع » .

(٥) فيما عدا ل : « عطيف » تحريف . وقد ذكره المرزبانى فى معجمه ص ٢٥٢ .

(٦) فيما عدا ل : « أ كلن الليل » تحريف . والدهر يسمى جذعا لأنه أبدا جديد ، كأنه فتى لم يسن . وفى الأصل : « جزعا » تحريف . انظر اللسان (جذع ٣٩٤ — ٣٩٥) .

(٧) أصل الليط ليط العود ، وهو القشر الذى تحت القشر الأعلى .

كما سَطَا بالآرامِ عادٌ وبالحِجْـ ... ـرِ وأَرْكَى لتُبَّعٍ تبعــا[1]

فليس ممَّا أصابني عجب ... إن كنت شيباً أنكرتُ أو صَلَعاً[2]

قال: هو عاد بن عُوص بن إرم[3]. وسَطَا بالحِجْر، أى بأهل الحِجْر[4].

وأَرْكَى أى أخر. والإركاء[5]: التأخير. ٨٢

وقال كعبُ بنُ زهير:

فَعْمٌ مُقلَّدُها عَبْلٌ مقيَّدُها ... فى خَلْقِها عن بنات الفَحْل تَفْضِيلُ[6]

حَرْفٌ أخوها أبوها من مُهَجَّنَةٍ ... وعمُّها خالُها قَوداء شِمْليــلُ[7]

[وكما قال ذو الرّمّة:

* أخوها أبوها والضَّوَى لا يضيرُها[8] *]

---

(١) فى القاموس (أرم): « وذو آرام: حزن به آرام جمعتها عاد ». فيما عدا ل: « بالأنام » تحريف. وأركى: أخر. وفى اللسان: « أركيت الدين، أى أخرته ». فيما عدا ل: «أرجا» بالجيم فى البيت وفى التفسير بعده. وهما بمعنى.

(٢) فيما عدا ل: « إن كنت شيئاً أنكرت أو صنعا » تحريف.

(٣) فيما عدا ل: « بن أيد » صوابه فى ل والاشتقاق ٢٥.

(٤) فيما عدا ل: « أى أتى بأهل الحجاز » تحريف.

(٥) فيما عدا ل: « والإرجاء » وهما بمعنى، كما سبق فى التنبيه الأول.

(٦) يروى أيضاً: « ضخم مقلدها ». والضخم والفعم بمعنى. انظر شرح بانت سعاد لابن هشام ٥١.

(٧) قال ابن هشام: « محتمل لمعنيين: أحدهما التشبيه، أى إن أخاها يشبه أباها فى الكرم، وعمها يشبه خالها فى ذلك. والثانى التحقيق، وإنها من إبل كرام، فبعضها يحمل على بعض حفظاً للنوع. ولهذا النسب صور، منها أن فحلا ضرب بنته فأتت ببعيرين فضربها أحدهما فأتت بهذه الناقة. وقال الفارسى فى تذكرته: صورة قوله أخوها أبوها أن أمها أتت بفحل فألقى عليها فأتت بهذه الناقة. وأما عمها خالها فيتجه على النكاح الشرعى: تزوج أبو أبيك بأم أمك فولد لهما غلام فهو عمك وخالك إلا أنه عم لأب وخال لأم. صورة أخرى: تزوجت أختك من أمك أخاك من أبيك فولد لهما ولد فأنت عم هذا الغلام أخو أبيه وخاله، لأنك أخو أمه من أمها » ثم قال ابن هشام: « ولا ينطبق تفسير أبى على رحمه الله على ما ذكرت فى البيت؛ لأن الشاعر لم يصف الناقة بأحد النسبين، بل بهما معاً ».

(٨) عجزه كما فى ديوان ذى الرمة ١٧٥: * وساق أبيها أمها اعتقرت عقرا *

وقال سالم بن دارة :

حَدَوْتُ بهم حتَّى كأنَّ رقابَهُمْ
من السَّير فى الظَّلْماء خيطان خرْوعِ

وقال بعض المحدَثين[1] :

وقد شَرِبُوا حتَّى كأنَّ رقابَهُمْ   من اللِّين لم تُخلق لهنَّ عظامُ

وقال آخر[2] :

كأنَّ هامَهُمُ والنَّومُ واضِعُها   على المناكِبِ لم تُعْمَدْ بأعناقِ

وقال الكميت :

وفى الّزَبات إذا ما السِّنو   نَ ألقَيَ مِن بَرْكها كلْكلْ[3]

لعامٍ يقولُ له المُؤْلِفو   نَ هــذا المقيمُ لنا المُرْحِلْ[4]

وقال أيضاً :

الطَّيِّبُو تُرْبِ المَغَار   سِ والمنابتِ وَالمَكَاسِرْ[5]

والساحبـــون اللاحفُو   نَ الأرضَ هُدّابَ المآزِرْ[6]

---

(١) ل : « وقال آخر » .

(٢) ل : « وقال بعض المحدثين » .

(٣) الزبات : الشدائد من السنين . والبرك : الإبل الكثيرة . وفى الأصل : « برقها » .

(٤) المؤلفون ، لعله عنى بهم أصحاب الإيلاف ، وهم هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل . ط ، س : « المولفون » . والمرحل ، هى فى ل : « الموجل » .

(٥) المكاسر : جمع مكسر ، وهو من الشجرة أصلها حيث تكسر منه أغصانها . ويقال فلان طيب المكسر إذا كان محمودا عند الخبرة .

(٦) فيما عدا ل : « اللاحقون » تحريف . ويلحفون الأرض : يغطونها . ومثله قول طرفة :

ثم راحوا عبق المسك بهم   يلحفون الأرض هداب الأزر

والمآزر : جمع مئزر . فيما عدا ل : « المآسر » تحريف .

أنتمْ معادِنُ للخلافةِ كابراً مِن بَعْدِ كابِرْ

بالتِّسعةِ المتتابعيـن خلائفاً وبخير عاشِرْ

وقال أيضاً :

ولاَ يكن قوله إلا لرائدها

أعشَبْتَ فانزِلْ إلى معشوشبِ العشبِ [1]

ذهب إلى قوله :

مستأسد ذِبَّانُهُ فى غَيطلِ [2] يقُلْنَ للرّائد أعشَبْتَ انزِلِ

ولكن أنظرْ كمْ بين الدِّيباجتَين . وفى الأوّل ذَهَبَ إلى قول الأعشى :

إذا الحِبَرَاتُ تَلَوَّتْ بِهِم وجرُّوا أسافِلَ هُدَّابِها

قال: كان [3] أصحابُ النبيّ صلى الله عليه وسلم يقولون: «كونوا بُلْهاً كالحمام».

ولقد كان الرّجلُ منهم يدعُو لصاحبه يقول : أقلّ الله فِطنتَك . ٨٣

قال : وهذا يخالف قولَ عمرَ رضى الله عنه ، حين قيل له إنّ فلاناً لا يعرف الشَّرّ . قال : ذلك أجْدَرُ أن يقعَ فيه .

وقال النابغة الذبيانى :

ولا يحسَبونَ الخَيرَ لاشرَّ بعْدَه ولا يحسبون الشَّرَّ ضربةَ لازبِ

---

(١) صدره فيما عدا ل : « مكرم قوله للزائرين له » وفى ط : « معلوبة العشب » س ، هـ : « مقلوبة » والوجه ما أثبت من ل .

(٢) ل : « مستأسدا » ط : « ذنابه » تحريف . والرجز لأبى النجم من أرجوزة له طويلة نادرة عدد أبياتها ١٩١ وقد نشرت بمجلة المجمع العلمى العربى بدمشق (٨ : ٤٧٢ — ٤٧٩) سنة ١٩٢٨ . وكان رؤبة يسميها أم الرجز . انظر ما سبق فى (٣ : ٣١٤) .

(٣) فى الأصل : « فإن » وانظر ما مضى من الكلام على الخبر التالى فى حواشى (٢ : ١٨٩) .

وقال الآخر :

ولا تَعذِرانى فى الإساءة إنَّه ... شِرارُ الرجال مَنْ يسىء فيُعذَرُ[(١)]

وقالت امرأة ترثى عُمَير[(٢)] بنَ مَعْبَد بن زُرارة :

أعَيْنُ ألا فابكى عُميرَ بن مَعبدٍ ... وكان ضروبًا باليدينِ وباليدِ[(٣)]

تقول : بالسَّيف وبالقداح ؛ لأنَّ القداح تُضرَبُ باليدين جميعا . وقال ابن مقبل :

وللفؤاد وجيبٌ عند أبهَرِه ... لَدْمَ الوليدِ وراءَ الغيبِ بالحجَرِ

وقال ابن أحمر :

* وفؤادُه زَجِلٌ كعَزفِ الهُدْهُدِ[(٤)] *

وكان حسّان يقول لقائده [إذا شهد طعامًا : « أ] طعامُ يدٍ أم طعام[(٥)] يدين ؟ » . طعام يدين : الشِّواء وما أشبه ذلك ، وطعام اليد : الثرائد[(٦)] [وما أشبهَها] .

وقال بعض السَّلاطين لغلامٍ من غِلمانه وبين يديه أسيرٌ : اضربْ .

---

(١) سبق البيت فى (٣ : ٤٨٢) .

(٢) ل : « فى عمير » .

(٣) سبق عجز البيت فى (٦ : ٤٢٤) . وأنشده ابن قتيبة فى الميسر والقداح ١٤٠ بدون نسبة ، وبرواية : « عمير بن معمر » .

(٤) صدره كما سبق فى (٣ : ٥٢٣) :

* إذ صبحته طاويا ذا شرة *

وفى اللسان (٤ : ٤٤٦) :

* ثم اقتحمت مناجدا ولزمته *

فيما عدا ل : « وجل » تحريف . والزجل : ذو الصوت. والهدهد ، يروى بضم الهاءين ، وهو ذاك الطائر . ويروى بفتحهما ، وهو أصوات الجن ، ولا واحد له .

(٥) سبق الخبر برواية أخرى فى (٦ : ٤٢٤) .

(٦) فيما عدا ل : « الثريد » .

قال : بيدٍ أو يدين ؟ قال : بيَد . فضرَبَه بالسِّياط . قال : اذهبْ فأنتَ حُرٌ[١] . وزوّجه وأعطاه مالاً .

[وسارّ رجلاً من الملوك بعضُ الشُّماة بابنٍ له ذكر أنّه بموضع كذا وكذا يشرب الخمر مع أصحابٍ له ، فبعث غلامًا له يتعرّف حالَه فى الشراب. فلمّا رجع وجَدَ عنده ناساً فكرِه التفسير، فقال له : مَهْيَم[٢]. قال : كان نَقَلُه جُبْنًا . قال : أنت حُرّ . لأنّ مُعاقِرِى الخمرِ يتنقّلون بالجبْن لأسبابٍ كثيرة] .

وكان فرجُ الحجّام مملوكَ جعفر بن سليمان[٣] ، إذا حَجَمه أو أخَذَ من شَعره[٤] لم يتكلّمْ ولم يتحرّكْ ، ولم يأخذ فى شىء من الفضول، فقال جعفر[٥] ذاتَ يومٍ : [والله لأمتحننّه ، فإن كان الذى هو فيه من عَقْلٍ لا يَنْتَهُ ، وإن كان كالطّبيعة والخِلقــــة لأحمدَنّ الله على ذلك . فقال له يومًا] : ما اسمك يا غلام[٦] ؟ قال : فرَج . قال : وما كُنْيتُك ؟ قال : لا أكتنِى بحضْرَة الأمير . قال : فهل تحتجِم ؟ قال : نعم . قال : متَى ؟ قال : عند هيجه[٧] . قال : وهل تعرفُ وقتَ الهيج ؟ قال : فى أكثر ذلك . قال : فأىَّ شىء تأكُلُ على الحجامة[٨] ؟ قال : أما فى الصَّيف فسِكْباجةٌ محمَّضَة

---

(١) فيا عدا ل : « أحسنت فأنت حر » .

(٢) مهيم ، بفتح الميم والياء وسكون الهاء وآخره : كلمة يمانية معناها : ما أمرك وما شأنك . وقد وردت فى أكثر من حديث .

(٣) فيا عدا ل : « مولى جعفر بن سليمان » .

(٤) فيا عدا ل : « وأخذ من شعره » .

(٥) فيا عدا ل : « فقال له جعفر » وكلمة « له » مقحمة .

(٦) فيا عدا ل : « ياحجام » .

(٧) أى عند هيج الدم . وفيا عدا ل : « عند الهيج » .

(٨) فيا عدا ل : « عند الحجامة » .

عذبة[١] ، وأمّا في الشتاء فدبحيراجة[٢] حارّةٌ حُلوة . فأعتقه وزوّجه ، ووهَبَ له مالاً .

وكان قاطعَ الشّهادة ، ولم يكنْ أحدٌ مِن مزاليه [يطمع] أن يُشهِدَه إلاَّ على شيء [لا] يختلف فيه الفقهاء[٣] . وهو الذى ذكره أبو فِرعون[٤] فقال :

خَلُّوا الطَّريقَ زَوْجتِى أمامى أنا حمـــيمُ فَرَجِ الحجّامِ[٥]

وكان أهل المربد[٦] يقولون: لا ترى الإنصاف إلاَّ فى حانوتِ فرجِ الحجّام؛ لأنَّه كان لا يلتفت إلى مَن أعطاه الـكثيرَ دونَ من أعطاه القليل ، ويقدِّم الأوّل ثمّ الثانى ثم الثالث أبداً[٧] حتَّى يأتىَ على آخرهم ، على ذلك يأتيه من يأتيه ، فَـكان[٨] المؤخَّر لا يغضَب ولا يشكو .

وقال ابن مَقْروم الضَّبِّى[٩] :

---

(١) سبق الـكلام على السكباجة فى (٢ : ٢٥٠) ويقال لها أيضا « الخلية » نسبة إلى الخل . فيا عدا ل : « محضة » تحريف . وقد وردت كلة « عذبة » فى ط ، ﻫ بعد « سكباجة » .

(٢) فيا عدا ل : « فدا كراجة » . وجاء فى كتاب الطبيخ البغدادى ص ١٢ : « ديكبريكة » وذكر محققه العلامة داود الحلبي أنه يظنه من الآرامية بمعنى الديك المبارك . وكتب البغدادى فى صفته « ومن الناس من يحليه بقليل سكر » .

(٣) فيا عدا ل : « إلا على ما يختلف فيه الفقهاء » محرف .

(٤) ترجمته سبقت فى (٦ : ٧٨) .

(٥) فيا عدا ل : « أنا حام » تحريف .

(٦) فيا عدا ل : « المدينة » تحريف .

(٧) فيا عدا ل : « ويقدم الأول فالأول » .

(٨) فيا عدا ل : « وكان » .

(٩) هو ربيعة بن مقروم الضبي ، سبقت ترجمته فى (١ : ٤٢٧) ط ، ﻫ : « ابن مقوم » محرف . والبيت الأول والثانى مضيا فى (٦ : ٤٢٥) . وانظر بعض أبيات قصيدته فى الحماسة (١ : ١٣ — ١٤) والأغانى (١٩ : ٩٢ — ٩٣) والخزانة (٣ : ٥٦٥ — ٥٦٦) والخيل لأبى عبيدة ١٧٢ .

وإذا تُظَلَّل بالسِّياط جِيادُنا أعطاكَ ثائبَةً ولم يتحلَّلِ[1]
فدعَوْا نَزَالِ فكنتُ أوّلَ نازلٍ وعلامَ أركَبُه إذا لم أنزِلِ
ولقد أفَدْتُ المالَ مِن جَمْعِ امرئٍ وظَلَفْتُ نفسى عن لئيمِ المأكلِ[2]
ودخلتُ أبنيةَ الملوكِ عليهمُ ولَشَرُّ قولِ المرءِ ما لم يفعلِ
وشهدتُ مَعْرَكَةَ الفُيولِ وحولَها أبناء فارسَ بِيضُها كالأعْبَلِ[3]
مُتَسَرْبِلِى حَلَقِ الحديدِ كأنَّهمْ جُرُبٌ مُقارِفَةٌ عَنِيَّةَ مُهْمِلِ[4]

تم المصحف السابع من كتاب الحيوان، وبتمامه تم الكتاب [بعون الملك الوهاب[5]] والحمد لله على حسن الختام. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الكرام[6].

---

(١) البيت ساقط من ل. وفى الأصل: «ثانية» تحريف. والثائبة: الدفعة الراجعة من الجرى، ثاب: رجع.
(٢) ظلفت: منعت وكففت. ط: «وعففت» ﻫ: «وكلفت» س: «وظلفت» صوابهما فى ل. وفيما عدا ل: «عن كريم المأكل» تحريف.
(٣) الأعبل والعبلاء: حجارة بيض. وأنشد فى صفة ناب الذئب:

* يبرق نابه كالأعبل *

(٤) العنية: هناء الإبل. والمهمل: الذى يهمل الإبل فى الرعى يخلى بينها وبين نفسها. ط، ﻫ: «متاذفة» صوابه فى ل، س. وفى ط، ﻫ: «الشحم الحنظل» وفى س: «بشحم الحنظل» صوابهما فى ل.
(٥) هذه من س.
(٦) جاء فى ختام ل: «تم الجزء السابع من كتاب الحيوان بحمد الله ومنه، وهو آخر الكتاب». وفى نهاية ﻫ: «ووافق الفراغ من كتابته يوم الثلاثاء لتسع خلت من شهر رجب الأصم المعظم عام إحدى عشر وثلثمائة وألف من هجرة من له كمال العزة والشرف. على يد كاتبه الفقير إلى رحمة الله تعالى محمد بن عبد الله الزهراني غفر الله ذنوبهما، وستر عيوبهما، وفعل ذلك بكافة المسلمين والمسلمات. وكتب بالمحروسة القاهرة حفظها الله وحماها. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. آمين».

الفهارس العامة

لكتاب الحيوان

صنع وترتيب

عبد السلام محمد هارون

الفهرس الأول

فهرس أنواع الحيوان

القصد من هذا الفهرس أن يتمكن القارئ من جمع معارف منظمة فى كل نوع من أنواع الحيوان ، على أسلوب علمى ، بحيث لا يلقى صعوبة فى البحث . وقد وجدت أن أفضل طريقة لتنظيم هذه المعارف أن تكون على الترتيب التالى بقدر الإمكان :

١ — تسمية الحيوان وبيان جنسه وأنواعه وأشباهه .

٢ — الكلام فى أعضائه وتطوراته وألوانه .

٣ — بيان طعامه وشرابه وسلاحه وصوته وصنعته ونفعه وضرره .

٤ — الكلام فى تناسله وطباعه وتعليمه وأمراضه وعمره .

٥ — بيان موطنه وأثر الطبيعة فيه وعلاقته بغيره من الحيوان .

١ ــ فهرس أنواع الحيوان

ا

* انظر أيضا (بخت ، جمل ، عراب ، عسجدية ، فالج ، مهرية، ناقة) .

* انظر : (حمار) .

* انظر أيضا : (إبل ، جمل) .

ث

* انظر أيضا (إبل) .

* انظر أيضا : (شيطان ، عبقرى ، عمار).

* انظر أيضا : (أتان) .

* انظر أيضا : (دبسى ، راعبى ، ساق حر ، شفنين ، فقيع) .

(١) انظر : (جن) .
(٢) انظر : (إبل) .
(٣) انظر أيضا : (أجدعانى ، أسود ، أصلة ، أفعى ، أيم ، تنين ، ثعبان ، دساس ، شجاع ، عربد ، هندية) .

* انظر أيضا : (برذون ، فرس) .

---

(١) انظر : (جراد) .
(٢) انظر أيضا : (ديك ، فروج) .

---

(١) انظر : (قملة النسر) .

(٢) انظر : (قنفذ) .

* ذكر استينجاس فى معجمه ٥٣٦ هذا الجنس من البشر وقال ماترجمته : «دوال باى...» اسم لقوم من الهند يقال إن لهم سيقانا دقيقة قابلة للثنى كأنها السيور المتخذة من الجلد . وهم يتظاهرون بالعرج ، فإذا رأوا جماعة من المسافرين طلبوا إليهم أن يحملوهم على ظهورهم فإذا استجابوا لهم أعملوا فيهم الخنق بضم أرجلهم عليهم » .

ذ

---

* انظر أيضا : (ضبع) .

ز

س

---

* انظر أيضا : (فيل) .

(*) انظر أيضا : (بنى ، ربيثاء ، زجر ، شبوط ، شلقة ، عنتاء) .

ش

* انظر أيضا : (ضأن ، غنم) .

(*) انظر أيضا : (جن) .

ص

ض

(*) انظر أيضا : (شاة ، غنم) .

* انظر أيضا : (ذيخ) .

ط

* هو مايسمى بالفارسية : دوبرادران .

---

* انظر أيضا : (بغاث ، خشاش) .

ظ

ع

* انظر أيضا : (حمار) .

غ

(١) انظر : (ظبي) .

(٢) انظر أيضا : (بنات حذف ، حمل ، شاة ، ضأن ، كبش) .

ف

* انظر أيضا : (خيل) .

ق

(*) انظر أيضا : (رباح) .

* انظر أيضا : (دلدل) .

(*) انظر أرقام الكلاب السلوقية ثم كلاب الصيد فى نهاية هذا الرسم .

ل

ن

* انظر أيضا : (ظليم) .

* انظر أيضا : (ذر) .

و

(*) انظر أيضا : (أروى) .

الفهرس الثانى

فهرس أعلام الحيوان

أ

ب

ج

ح

خ

د

ذ

ر

ز

س

ش

ص

ض

ع

غ

ق

ك

ل

م

ن

و

الفهرس الثالث

فهرس سائر الأعلام

١ ــ ما وضع من الأعلام بين معقفين فهو مما ورد فى الحواشى فقط .

٢ ــ ماوضع بإزائه نجم فهو مما ورد فى الشعر فقط .

٣ ــ الأرقام الكبيرة تدل على مواضع التراجم .

٣ – فهرس سائر الأعلام

أ

ث

ج

---

(١) هذه رواية الأغانى (١٩ : ١٥٩) . وفى الأصل واللسان (غلل) : « حمزة ابنه نوفل » .

ح

خ

د

ذ

ر

ز

---

(١) انظر لاستلحاق معاوية زيادا ما فى الخزانة (٢ : ٥١٧ — ٥١٩) .

س

ش

ص

ض

---

(١) قال ابن دريد في الاشتقاق ١٤٩ في ذكر رجال مجاشع : « ومن رجالهم ضمرة ابن ضمرة ، وكان من رجال بني تميم في الجاهلية لسانا وبيانا ، وكان اسمه شق بن ضمرة فسماه بعض ملوك الحيرة ضمرة » .

ظ

ع

(١) بفتح العين . انظر حواشى ومعة صفين ١٢٩ .

---

(١) صوابه « أبو العنبر » . جاء في معجم المرزباني ٥١٣ : « أبو العنبر بن أبي نخيلة ، ويقال هو أبو العير » .

غ

ف

ق

(١) إذا أطلق كسرى ، أريد به غالبا كسرى أبرويز ، التى أرسل إليه رسول الله كتابا فزقه. وقد ملك ثمانيا وثلاثين سنة ، وقتله ابنه شيرويه . وفى المعارف لابن قتيبة ٢٩٣ : « أبرويز بن هرمز ، ويعرف بكسرى » . على أنه قد يطلق ويراد به أى ملك للفرس . لذلك آثرت أن أفرد له رسما إلا ما تيقنت أنه كسرى أبرويز فإنى أضفت أرقامه إلى الرسم الآخر .

م

(١) المحلق هـنا ، أحد الولاة الإسلاميين ، ولاه الحكم بن أيوب الثقفى سفوان . انظر الخزانة (٣ : ٢١٤) . وهو غير المحلق ممدوح الأعشى فى الجاهلية .

(١) فى تاريخ الطبرى (٩ : ٥٦) أنه كان صهرا للأبرش بن الوليد .

ن

و

ى

الفهرس الرابع

فهرس القبائل والطوائف

٤ ـ فهرس القبائل والطوائف

خ

(١) انظر فهرس أجناس الحيوان ص ٣١٠ .

(١) في الأصل : « تميم » صوابه من الاشتقاق ١٢٤ .

(١) قال السمعاني في الأنساب : « والقبيلة المعروفة هي كلاب بن عامر بن صعصعة » .

ن

هـ

و

ى

الفهرس الخامس

فهرس البلدان والمواضع

٥ – فهرس البلدان والمواضع

أ

خ

ز

س

ش

ص

ض

ط

الفهرس السادس

فهرس الأمثال

٦ – فهرس الأمثال

ب

ق

ك

ل

الفهرس السابع

فهرس الأشعار

١ — ما وضع قبله نجم من القوافى أو الأرقام فهو ما ورد عجزه فقط .

٢ — ما جعل من القوافى بين قوسين فهو ما ورد صدره فقط وأمكن معرفة قافيته .

٣ — وضعت القوافى المتشابهة متتاليـــة ، وفيما عدا ذلك فأرقام القوافى متسلسلة بترتيب الصفحات فى مجموعاتها المتماثلة .

٧ ـ فهرس الأشعار

أ

ب

ش

ص

ك

ل

(١) اعتبرت الكاف رويا فى كل قافية مختتمة بها، جريا على مذهب بعض علماء القافية.

م

ن

ه

و

ى

الألف

أجزاء الأبيات

---

(١) انظر البيت بتمامه فى ٦ : ٢٤٠ .
(٢) انظر البيت بتمامه فى ٦ : ٢٩١ .
(٣) فأفيه (عقرا) كما فى الحواشى .

الفهرس الثامن

فهرس الأرجاز

٨ – فهرس الأرجاز

(١) أرجوزة من المزاوج

الفهرس التاسع

فهرس اللغة

يشتمل هذا الفهرس على فصلين :

١ — ما هو عربي أو فى حكم العربي من المعربات .

٢ — ما هو غير عربي ، كالفارسى واليونانى والعبرى .

٩ — فهرس اللغة

١ — العربية وما فى حكمها

ا

ت

ث

(١) لعلها : « ثرية لقيك » .

ح

ش

ص

ظ

ع

غ

ق

ك

ى

ب – غير العربية

(١) كذا زعم الجاحظ . وانظر التحقيق فى تذييل الجزء الرابع ص ٥٢٥ .

الفهرس العاشر

فهرس الكتب

وهى الكتب التى ذكرها الجاحظ ، فما قرن منها بنجم فهو من تأليف الجاحظ ، ومالم يقرن فهو لغيره .

١٠ – فهرس الكتب

الفهرس الحادى عشر

فهرس أيام العرب

١١ – فهرس أيام العرب

الفهرس الثانى عشر

فهرس المعارف العامة

١٢ – فهرس المعارف العامة

خ

ز

س

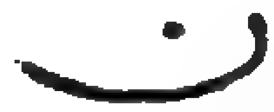
ش

ص

ض

ط

ك



هـ

و

ى

الفهرس الثالث عشر

فهرس المباحث الكلامية

١٣ — فهرس المباحث الكلامية

س

ش

ص

الفهرس الرابع عشر

فهرس مقابلة نسخة كوبريلى من الجزء السابع
بنسخة الساسى

تخالف نسخة كوبريلى (المرموز إليها برمز ل) سائر نسخ الحيوان في ترتيبها . لذلك اعتمدت ترتيب، سائر النسخ التى توافق نسخة الساسى فى نظامها . وهذا الفهرس المقارن يوضح هذا التخالف البين .

نسخة السامي	نسخة كوبريلي	نسخة السامي	نسخة كوبريلي
٢	١ — ٢	٢٥	١٠١ — ١٠٢
٣	٢ — ٣	٢٦	سطران من ١٠٣ +
٤	٣ — ٥		١١٧ — ١١٩
٥	٥ — ٧	٢٧	١٠٣ — ١٠٤ +
٦	٧ — ٨		سقط من١١٩ — ١٢٢
٧	٨ — ٩	٢٨	١٠٤ — ١٠٥ +
٨	—		١٢٢ — منتصف
٩	٧١ — ٧٢		١٢٣
١٠	٦٣ — ٦٤ + ٧٢	٢٩	١٠٥ — ١٠٦
١١	٦٤ — ٦٦	٣٠	١٠٦ — ١٠٨
١٢	٦٦ — ٦٨	٣١	١٠٨ — ١١٠
١٣	٦٨ — منتصف ٦٩	٣٢	١١٠ — ١١١
	+ سقط من ٦٩ — ٧١	٣٣	١١١ — ١١٣
	+ منتصف ٧٢ — ٧٣	٣٤	١١٣ — ١١٥
١٤	٧٣ — ٧٤	٣٥	١١٥ — ١١٦
١٥	٧٤ — ٧٦	٣٦	١١٦ — ١١٧
١٦	٧٦ — ٧٨		+ ١٢٤
١٧	٧٨ — ٧٩	٣٧	١٢٤ — ١٢٦
	+ سقط من ٧٩ — ٨٤	٣٨	١٢٦ — ١٢٧
	+ ٨٤ — ٨٥	٣٩	١٢٧ — ١٢٩
١٨	٨٥ — ٨٧	٤٠	١٢٩ — ١٣٠
١٩	٨٧ — ٨٨	٤١	١٣٠ — ١٣٢
	+ سقط من ٨٨ —	٤٢	١٣٢ — ١٣٤
	٩٣	٤٣	١٣٤ — ١٣٦
٢٠	٩٣ — ٩٥	٤٤	١٣٦ — ١٣٨
٢١	٩٥ — ٩٦	٤٥	١٣٨ — ١٤٠
٢٢	٩٦ — ٩٨	٤٦	١٤٠ — ١٤١
٢٣	٩٨ — ٩٩	٤٧	١٤١ — ١٤٣
٢٤	٩٩ — ١٠١	٤٨	١٤٣ — ١٤٥

نسخة الساسي	نسخة كوبريلي
٤٩	١٥ — ١٦
	+ سقط من ١٤٥ —
	١٤٧ + ١١ — ١٥
٥٠	١٦ — ١٨
٥١	١٨ — ١٩
٥٢	١٩ — ٢١
٥٣	٢١ — ٢٣
٥٤	٢٣ — ٢٥
٥٥	٢٥ — ٢٦
٥٦	٢٦ — ٢٨
٥٧	٢٨ — ٢٩
٥٨	٢٩ — ٣٠
٥٩	٣٠ — ٣٢
٦٠	٣٢ — ٣٣
٦١	٣٣ — ٣٥
٦٢	٣٥ — ٣٧
٦٣	٣٣ — ٣٤ + ٣٨
٦٤	٣٨ — ٤٠
٦٥	٤٠ — ٤١
٦٦	٤١ — ٤٣

نسخة الساسي	نسخة كوبريلي
٦٧	٤٣ — ٤٥
٦٨	٤٥ — ٤٦
٦٩	٤٦ — ٤٨
٧٠	٤٨ — ٥٠
٧١	٥٠ — ٥١
٧٢	٥١ — ٥٢
٧٣	٥٢ — ٥٤
٧٤	٥٤ — ٥٦
٧٥	٥٦ — ٥٧
٧٦	٥٧ — ٥٩
٧٧	٥٩ — ٦١
٧٨	٦١ ٦٢
٧٩	١٠ — ١١ + ٦٢
	٦٣
٨٠	—
٨١	منتصف ١٥٧ — ١٥٨
٨٢	١٥٨ — ١٥٩
٨٣	١٥٩ — ١٦٢
٨٤	١٦٢

الفهرس الخامس عشر

فهرس مراجع الشرح والتحقيق

وهو خاص بذكر المواضع التى عينت فيها طبعات هذه المراجع من الأجزاء الستة السابقة. وأما المراجع التى ذكرت فى الجزء السابع فقط فهى :

١ ــ شرح درة الغواص ، للخفاجى. طبع الجوائب ١٢٩٩ .

٢ ــ صفة الصفوة ، لابن الجوزى . طبع حيدر آباد ١٣٥٦ .

٣ ــ مزامير داود .

٤ ــ مقاييس اللغة لابن فارس . طبع عيسى الحلبى ١٣٦٦ .

٥ ــ نتائج الفطنة لابن المبارنة . المطبعة اللبنانية ١٩٠٠ م .

١٥ — فهرس مراجع الشرح والتحقيق

الفهرس السادس عشر

فهرس الفهارس

تصحيحات واستدراكات عامة *

الجزء الأول

١١ : ١٤ ، ١٧ الصواب «والنجدية» بدل « والزيدية » .

١٤ : ٧ « فاقصس إذا حدبوا واحدب إذا قعسوا » . انظر أمالى ثعلب ٢٠٢ من المخطوطة ، والروض الأنف (١ : ١٧٠) . ونظير البيت فى المخصص (٢ : ١٨).

١٤ : ١١ فى جمع الجواهر ٣ واللسان (حشا) : «فاحشى الإنسان». وانظر لقصة الأبيات ، جمع الجواهر .

١٥ : ٤ فى اللسان (غلل) والأغانى (١٩ : ١٥٩) : « جمرة ابنة نوفل » .

١٧ : ٦ « المغَنَّى » بالنون . ويصحح كذلك فى السطر ٥ ، ٦ من الحواشى .

٢٠ : ٦ « قتلى العيص » .

٢٠ : ٢ ش يضاف : «وهو الصواب» انظر الخزانة (٣ : ٢١٥) .

٢٢ : ١١ « الحارث بن عُبَاد » .

٢٦ : ١١ « يجعلونها مدبرة غير مدبرة ، ويجعلونها مسخرة غير مسخرة ، ويجعلونها أحيا من الحيوان » .

٢٩ : ٢ ش «منقار الطير الجارح» .

٣٠ : ١ «الجِعْلان» . «والجُعَل» .

٤٢ : ٦ « ورُخْص ثمنه » .

٥٩ : ١٢ « وقال أبو إسحاق » .

٦٣ : ٧ « لتقرعن » تقرأ بمخاطبة الذكر وللمؤنثة أيضا . المفضليات (١ : ٢٩).

٧١ : ٣ فى نسخة « رقع السوط » .

٧٢ : ٦ « أردشير » .

٧٣ : ٢ « ومن له بقية ومن لا بقية له » .

٧٨ : ٩ « أبى قرة » هو الصواب ، وتلغى حاشية ثابت بن قرة .

٧٦ : ٦ « وابن فهريز وثيفيل » . وابن فهريز هو حبيب أو عبد يشوع بن فهريز أو بهريز . انظر ابن النديم ٢٤ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ . وأما ثيفيل فهو تيوفيل بن توما

* يجدر بالقارئ أن يعلم على مواضع هذه التصحيحات من أجزاء الكتاب ، مراعاة للدقة والأمانة .

أحد المترجمين القدماء لأرسطو.

انظر مجلة الثقافة العدد ٢٨ .

٨٣ : ٧ «الناطف» وتلغى الحاشية .

وانظر (٣ : ٣٧٦) .

٩٢ : ٢ ش « فى ط : مواقفته » .

١١٨ : ٤ « مُثَنًّى » .

١٢١ : ٤ ش تحذف « والمفضليات ٣١٥ » .

١٤٤ : ١ ش « كما فى ص ١٣٧ » .

١٤٩ : ١١ «بأيذج» وتصحح حاشيتها.

١٥١ : ١ الأولى إثبات « بيض » .

انظر (٦ : ١٨) .

١٥٥ : ٤ « إبْلِي » .

١٦٨ : ١٥ « حق يصادق » .

١٧٦ : ١٠ « رَكَبَ ».

١٧٨ : ١٤ « وعبيد الله » .

١٨٠ : ١٢ « فَلَيَغْيَرُنَّ » .

١٨٧ : ١٠ « وهُمْ تِلادُكا » .

١٩٥ : ٩ « الضنْءِ » .

١٩٧ : ٩ « عديد » . وانظر (٦ : ٤٩) .

٢٠٠ : ١٠ « والجملان » .

٢٠٧ : ٤ « وبعضها غاذيا » .

٢١٠ : ٨، ٩ «الدُّرَّة» و «للدُّرَّة» .

٢٢٢ : ٥ الوجه « وقلة ردها » كما فى ل .

٢٢٣ : ١٠ الوجه «لَقَنَهَا وحكايتها».

٢٢٦ : ١٤ البيت لحسان فى ديوانه ٢٢٧ .

٢٣٥ : ١٤ « رزق الأنوقين » .

(٣ : ٥٠٣) .

٢٣٨ : ٢، ٨ «دويّة» . «النّتن» .

٢٤٠ : ٧ « التُّبَّان » .

٢٤٣ : ٤ « أُقْتَلُه » .

٢٤٦ : ٤ « بعير » .

٢٥٠ : ١٢ الصواب « نجوت مجدا » بالجيم ، أى استنكهته . انظر إنشاده فى اللسان (نجا) والمخصص (١١ : ٢٠٩) .

٢٦١ : ١٣ « جواء سويقة » .

٢٦٨ : ٩ « لِحيان » .

٢٧٨ : ١٥ رواه فى اللسان (رزز) : « ورز معضل » .

٢٨١ : ١ ش « ط : أنه يبدأه » .

٢٨١ : ٢ ش «يضربه: يغريه . وفى الأصل : ويضربه » .

٢٨٤ : ١٤ « والبَرْبَهَار » كتب إلى العلامة المرحوم الأب أنستاس مارى

فى ٣٩/٧/٦ : « المراد بالبربهار توابل الهند على ضروبها ، كما لو تقول : بهار بر الهند » .

٢٩٤ : ١١ الوجه إثبات « ابن أبى أنيسة » .

٣٠٣ : ٣ ، ٤ « يتزاوَرْن » . « لايُرَيْنَ » .

٣١٥ : ١ ش « جرم بن ربان » . انظر ترجمة صالح أيضا فى الوفيات .

٣١٧ : ١٢ ، ١٣ ، ١٦ « هُبَّى » . « غُزَّى » . « دُوَيْبَّة » .

٣١٩ : ١٧ « جَوعانُ » .

٣١٩ : ٢ ش « ص ٢٦٢ » .

٣٤٥ : ٢ « اللِّحيانى » .

٣٤٩ : ٨، ٩ « ابن لَجَإٍ » . « شابت ولَمَّا » .

٣٥٠ : ١١ حركة الروى فى هذا البيت هى الكسرة . والبيت من قصيدة لطفيل فى ديوانه ٣٤–٤١ . وأنشده فى المخصص (٢ : ١٣٦) . وبعده :

أتانا فلم ندفعه إذ جاء طارقا
وقلنا له قد طال طولك فانزِل

٣٥٢ : ٧ « أبو زُبَيد » . وفى الاشتقاق ٣٢١ : «وهو حرملة ابن المنذر . وزبيد تصغير زبد ، والزبد العطاء » .

٣٥٤ : ٦ « وكان نفيع » .

٣٦٢ : ١ ش الصواب أنه غيلان بن خرشة. انظر حديثه مع الأحنف فى البيان (٢ : ٥٥:٣/٧٧) .

٣٦٥ : ١ « بن عمرو بن تميم » . انظر الاشتقاق ١٢٤ .

٣٦٩ : ٩ « مُغيبات » .

٣٨٥ : ٩ ، ١٣ « وبَكعم » . « مرة مكعوم » .

٤٢٤ : ٩ «٢٥٦» صوابها «٢٥٥».

الجزء الثانى

١٥ : ١٦ البيت يروى أيضا لجرير . انظر خزانة الأدب (٢:٣٩٥).

٢١ : ٩ صواب صدره : « وفى ضبن حقف يرى حقفه » . انظر (٧ : ٢٠١) .

٢٣ : ٧ « فى جميم الحاج » . والحاج: نبت من الشوك . القاموس واللسان (حيج) . وتعدل الحاشية .

٤٩ : ١١ « والكدية » .

٥٠ : ١٦ « عِرس » .

٦٩ : ٢٢ ش « شباة الرمح » .

٩٤ : ١٣ الوجه في الضبط « الأوَّل » .

٩٧ : ١٦ الصواب « رشد العاقبة » .

١٢٠ : ٢ « والتأنى » .

١٢١ : ٦، ٧ « جاريةَ » . « مِنقَرٍ » .

١٢٣ : ٥ « ويكشف عن رأسه » .

١٢٧ : ٦ « ترمَحُ » .

١٣٩ : ٤ « أجرياء » جمع جرى بمعنى وكيل .

١٣٩ : ٤ « أصحاب الجهالات » .

١٤٥ : ٥ « وخايروا وميزوا » . انظر (٧ : ١١٩) .

١٥٢ : ٨ « وقال أبو الحسن » .

١٩٣ : ٣ « أحمد بن الخاركى » .

٢٠٦ : ٦ « بياض جعور » .

٢٠٧ : ٨، ١٣ « لأن العوام » .

٢١٢ : ٥ « يُقعِى » .

٢٢٥ : ٣ ش « البغية ٣٦٧ » .

٢٣٦ : ٦ « بن عَبَدة » .

٢٥٠ : ٣ « الاسفرجات » كتب إلىّ العلامة المرحوم الأب أنستاس في ١٩٣٩/٣/٧ « الذي أتذكره أني قرأت هذه الكلمة في كتاب مخطوط كان عندي قبل الحرب وسرق مني مع ما سرق من آلاف الكتب في ٧ مارس سنة ١٩١٧ وكنت قرأت فيه أن الأسفرجات طعام يتخذ من الدجاج والهليون . وهو من ألوان طعام الروم . وقد أخذه العرب منهم كما تعلموا منهم طبخ ألوان أخر مختلفة ، وكما قد اقتبسوا من الفرس ألوانا لا تحصى . أما أن الاسفرجات هي هذا الطعام فيشهد عليه الكلمة نفسها فهي من اليونانية Aspergos ومعناها الهليون » .

٢٥٣ : ٧ كذا . والوجه « الشاعر » فإن ما بعده ليس برجز ، بل هو شطر من الكامل .

٢٥٩ : ١ « سالم بن أبي الجعد » كما في تهذيب التهذيب والمعارف ٢٠٠ .

٢٧٧ : ٩ « لحم(٣)الذئب » . وتعدل الحاشية .

٢٨١ : ٢ « الأجم » بالجيم ، كما في اللسان (جمم) والمخصص (٢ : ١٤) حيث أنشد الرجز .

٢٨١ : ٣ « أجُمِّها » .

٢٨٥ : ٦ « فى مفازة » .

٢٨٥ : ١٠ الوجه ما فى الأصل « جد وجدت » . انظر (٦:٣١٤) .

٢٨٩ : ١٢ ، ١٣ « الحِسَّ » . « يَستَدِلُّ » .

٢٩٩ : ٧ «عبد الله بن خازم» وكذا الحاشية .

٢٩٩ : ٨ « هامةً » .

٣٠٦ : ١٥ ش . كذا رواية اللسان (٢ : ٢٦٠) . ورواية سيبويه (٢ : ١٣٨) : «الغبار» وهو الصواب ، كما رواه فى اللسان (١٧ : ٥) .

٣٢٥ : ٦ ش « الحانوت والحاناة» .

٣٢٩ : ٣ «وتدفينا وترتيقا» . انظر (٥ : ٢١١ س٢) .

٣٣٤ : ٤ « متفاوت الأعضاء » .

الجزء الثالث

٢١ : ٢ ش « بكلتا العبارتين » .

٣٣ : ٩ لعلها « وموسدهم » .

٣٥ : ٨ « وأدمى ضلعك » . انظر (٥ : ١٦٨) .

٤٥ : ٣ الثقفى ، هو الأجرد الثقفى كما فى الشعراء ١٧٢ . وتعدل الحاشية .

٥٣ : ١١ ما فى ل هو الصواب . وفى نقد الشعر ٧٣ واللسان (١٩: ٢١٢) :

* فإنك راعى ثلة لا تزينها *

وبعده فيهما :

فقلت لها ليس الشحوب على الفتى
بعار ولا خير الرجال سمينها

٥٥ : ٩ هو قيس لبنى . تزيين الأسواق ٤٩ .

٥٦ : ٥ هو العجاج. انظر قصة الرجز فى اللسان (فتخ) .

٦٥ : ٨ ش الصواب « أو كفنية » .

٧٧ : ٩ ش « ولا تتردد » .

٨١ : ١٢ « هذى مساعيك » .

٨١ : ٦ ش : « ص ١٧٣ » .

١٠٧ : ٥ « أو لاختطبت » . انظر (٦ : ٢٤٥) .

١٢٠ : ٦ « لم يَرْعَها » .

١٣٧ : ٩ ش « ما دعوا كيسان » .

١٧٣ : ١٣ « النخلة المطعمة »، وهى التى أدركت أن تثمر . انظر (٢ : ٢٣٨/٥:٢٠٩) . وتعدل الحاشية .

١٨٠ : ١٢ « مثل الحدأ » .

١٨٤ : ٦ [كاسبة] .

١٨٦ : ٤ ش بـ «انتشلب» .

١٨٨ : ٧ لعلها « أنها تعرف ذلك بالمخالب » .

١٩٣ : ٢ « يجتنن » .

١٩٤ : ٤ هو الزبير بن عبد المطلب . انظر المؤتلف ١٣٠ — ١٣١ .

١٩٤ : ٦ «مع الحمام» كما فى المؤتلف.

٢٠٤ : ٦ واسم زرقان هذا محمد بن شداد بن عيسى، أبو يعلى المسمعى، نسبة إلى المسامعة ، محلة بالبصرة. مات ببغداد سنة ٨ أو ٩ ومائتين. انظر معجم البلدان (المسامعة) .

٢٤٠ : ١٠ « وقالوا فى » .

٢٦٤ : ٣ الوجه « أبو العس » كما فى ل . وانظر معجم المرزبانى ٥١٣ .

٢٨٩ : ١١ ، ١٢ « الخرق » يعنى الحياء .

٣٠٥ : ٤ « الفراش والنحل » .

٣١٨ : ٩ « أبو زُبَيْـد » . انظر تصحيحات الجزء الأول ص ٦٧٨ .

٣٤١ : ١٢ «مع جِدَتِهِ » . والجدة: اليسر .

٣٤٩ : ٤ « الجِعْلان » .

٣٥٦ : ٧ « منه نيا » وهى صحيحة . انظر (٤ : ٣٠٣) .

٣٥٧ : ١٣ « مُعَمَّر » . وانظر (٥ : ١٦٥) .

٣٧٠ : ٣ ، ٤ فى أثناء زيارتى للعلامة المرحوم الأب أنستاس بدير القديسة تريزا بشبرا فى ٢٧/٨/٣٩ كتب لى تعليقا على هذه الألفاظ اليونانية الأصل : —

١ — أبو سالُس hyposales أى تحت البحر ، وهو أقرب عالم إلى أرضنا .

٢ — أُبَرْ ما كِس hypermakès أى العالم الممتد امتدادا فاحشا .

٣ — أُبَرِيدُس hyperèdus أى الطيب فى النهاية ، والطيب غاية الطيب .

٤ — كارِس Khares أى السيء أو الممقوت .

٥ — حريرة آمِنِس arèra amenès أى المناسب الحوار . وزاد بعض علمائهم من فرقة أخرى أُسيرِس asyrès أى النجس .

٣٧٩ : ٨ ش « يتوقع » .

٣٨٠ : ٩ روى هــذا الشعر الميم الساكنة . انظر الجزء الخامس ص ٢٩٧ — ٢٩٩ .

٣٨٢ : ١٤ ش « جمع مكواة » .

٣٩٨ : ١٠ بعض الشعراء هو الأبيرد الرياحى ، كما فى الأغانى (١٢ : ١٠) .

٤١٣ : ٢ ش « تسيغ الكفر » .

٤٢٨ : ٦ هو عبيد بن الأبرص يرد على امرئ القيس . انظر الخزانة (٢ : ٤٠٣) .

٤٢٩ : ٩ « كأن عصيم الدرس » . انظر المخصص (٧ : ١٦٣) واللسان (درس) .

٤٣٦ : ٣ « مُتَبَجِّـــة » كما فى الأصمعيات ٦٦ . وهى البوم ، كما فى القاموس .

٤٣٦ : ٤ « المرقّش » .

٤٤٤ : ٩ « تجذ من سلماك » .

٤٤٥ : ٧ « جارٍ » من الجرى .

٤٥٦ : ١٤ فى عيون الأخبار (٣ : ٢٩٧) : « الجيسران » .

٤٧١ : ٤ ش « وفى الثانية » .

٤٧٦ : ٢ « جزاء العُطَاس » . انظر اللسان (عطس ١١٠) وروى نظيرا له فى (جزى ١٥٩) :

ونحن قتلنا بالمخارق فارسا
جزاء العطاس لايموت المعاقب

٤٨٨ : ٤ ش « بن معاوية بن عبدالله ابن جعفر » :

الجزء الرابع

٦ : ٧ ش « القطمير » .

١٦ : ١١ الوجه « أنشب من ذرة » من النشوب .

٣٢ : ٧ ش « بعنى التمام » .

٤٠ : ١ « والتفزيع » .

٤٨ : ١ « خرج خبا » كما فى ش . انظر (٦ : ٤٧١) .

٤٨ : ٩ « ورَبِيتَ » . انظر (٦ : ٢٤) .

٥٧ : ٦ ش « انكحوا » .

٦٤ : ١٢ ذكره المرزبانى فى المعجم ٣١١ باسم « أبو الضلع » فى حرف الضاد المعجمة .

٦٤ : ٦ ش « ما يخلط » .

٦٥ : ١٢ انظر اللسان (فرخ ١٣) .

٦٨ : ١٢ « أسمّه الله وأبرصه » .

٧٨ : ٥ ش « وعلى والكسائى » .

٨٩ : ٦ « لعظمت القضية » .

١٠٤ : ٤ الوجه « استسراره » . انظر اللسان (سرر ٢١) .

١١٥ : ٣ « الُجونة » . وفى الحاشية « بضم الجيم » .

١٢٨ : ٦ ش « شرطته » .

١٤٠ : ٩ ش « تخيفته وتخوفته » . « ط : تخفيه » .

١٤٧ : ١٢ ش « جونة ، بالضم » .

١٦١ : ١ ش يثبت بدل هذا السطر : «أشرار : جمع شرير كشريف»

١٦٥ : ٣ الوجه «وفترة من الفأر» .

١٧٢ : ٦ الوجه « مُعْطَرَةً قويّة البِنْية » والمعطرة: الشديدة .

١٨٣ : ١ وكذا ٢٨١ : ٦ فى اللسان (قور) :

* تقور السيل لاقى الحيد فاطلما *

١٨٣ : ٨ « أنها لا تسمع » .

١٩٤ : ٢ الوجه « فيتصل عليها » .

٢٠٠ : ١ الوجه «انتقص من ضلوعه»

٢١٦ : ٧ ، ٨ « رُمُدٌ » . وانظر (٥ : ٤٠٥) .

٢١٦ : ١٠ ش « عرزال الحية » .

٢٢٦ : ٣ « لونيْن » .

٢٢٨ : ٧ ش تحذف هذه الحاشية . انظر (٥ : ٣٢٠) .

٢٣٢ : ٤ « مثلما وقَّد عينيه » . انظر البيت بتمامه فى المفضليات (١ : ٨٥) .

٢٣٢ : ٨ « وأن تَرَحَّىْ » .

٢٣٣ : ١ « والكشيش والقشيش » انظر (٦ : ١٣٩) .

٢٣٣ : ٨ « مستكبرا ويطاوله » كما فى (٦ : ٦٨ ، ١٣٩) .

٢٣٨ : ١١ ش (١٩ : ٦٧) .

٢٤٢ : ٧ ش « السفاة » .

٢٤٤ : ٨ « ليط جُعَل » .

٢٤٥ : ٥ « الغراب الأسحم » كما فى (٦ : ٤٣٩) .

٢٤٧ : ٦ «الأرقمْ» . المفضليات (٢ : ٤٠) . والقصيدة مقيدة .

٢٥٢ : ٣ « كأنه أرقَمُ » .

٢٥٥ : ٥ فى العقد (٤ : ١٧٨) أنه عبد الله بن هند .

٢٦٧ : ١٠ « إن لهذا الحديث » .

٢٧٩ : ١٣ ش : « والقرا » .

٣١٤ : ١١ « يحمله أهله ريث الدكان» أى حبيس الدكان. هذا التصحيح للمرحوم الأب أنستاس مارى .

٣٤٠ : ١١ صــواب إنشاده كما فى المفضليات (٢ : ٤٠) :

إن يغضبوا يغضَبْ لذاكم كما
ينسلُّ من خِرْشائِهِ الأرقَمْ

٣٥٥ : ١ اختلف فى نسبة الشعر ، والصواب أنه لزهير وابنه كعب فى قصة رواها فى الأغانى (١٥ : ١٤٢). وفى ديوان زهير ٢٤٥ : « وقال أيضا ويقال إن زهيرا وكعبا اشـــتركا فيها » . وانظر لتصحيح الشعر الديوان والأغانى.

٣٥٨ : ٢ ش « والفجاءة كذلك » .

٣٦٤ : ٤ « أبو كبير الهذلى » .

٣٦٥ : ٣ « تفرش » . انظر اللسان (فرش ٢٢١ وأمم ٢٩٨) .

٣٦٩ : ١٥ « سوق بقــــة » معجم البلدان وابن أبى الحديد (٤ : ٣٤٢) . وهذا التحقيق للأخ العراقى الأستاذ عبـــد الرازق الحصان .

٣٨٠ : ٥ « عِجْلٍ » .

٣٩١ : ٦ أبيات العجير رويت أيضا فى أمالى ثعلب ٢٣٨ — ٢٣٩ من المخطوطة .

٣٩١ : ٨ صواب إنشاده كما فى الأمالى:

فظل رداء العصب ملقى كأنه
سلى فرس بين الرجال عقير

٤٢٤ : ٤ عند ابن أبى الحديد (٣ : ٤١٣) : « وعامة أصحابك لن يسرجوا » .

٤٣٠ : ٤ ش « ش : البياذرة » .

٤٤٠ : ٨ ش « تهييج القتار » .

٤٥٦ : ٨ « كأنها إذ خرست » .

٤٥٧ : ٤ « كَأَنَّما عَيْنُهُ » .

الجزء الخامس

٢٢ : ١١ « أنك إن أبصرت » .

٢٩ : ٩ « ايت » بدون همزة .

٣٠ : ٣ « من الجُعْل » .

٣٠ : ٨ رواه العسكرى فى الأمثال ٦ : « فلما راء خفتها » . قال: « راء بمعنى رأى » .

٥٧ : ١ « جملة القول » .

٧٦ : ٧ فى اللسان (برك) : « كلفتنى البرك » وبكسر الباء .

١٢٧ : ٥ « قد أَبِلَ » .

١٧٩ : ٥ « أُصْنِي » . « خليلةً » .

١٩٠ : ٢ ش « سبقت ترجمـــة أبيه وأخيه » .

٢١٣ : ٢ « المَأْقِيَيْنِ » .

٢١٣ : ١٢،٣(٤٣٣:٩) . «والمأقى» .

٢١٧ : ١٤ وكذا ٥٧٦ : ٩ « البُطَّاح » .

٢٥٦ : ٢ ش « كرعا داهية » .

٢٦٨ : ١ ، ٧ « ابن عِرْسٍ » .

٢٨٢ : ٤ « قارات الجوع » .

٣٨٢ : ٥ « الشرفين » يراد بهما الشرف والشريف ، موضعان بنجد . قال البكرى فى معجم ما استعجم ٨٠٨ عند الكلام على الشريف : « وإذا جمع هذا الموضع إلى الذى قبله — وهو الشرف — ثنى على لفظ للصغر منهما . . . وربما ثنوه على لفظ المكبر » . وأنشد بيت الشماخ .

٣٠٤ : ٥ ذكره فى تاريخ بغداد ٦٦٥٧ باسم « عمرو بن مجمع بن سليمان أبو المنذر السكونى » .

٣٠٩ : ٥ « قال : فقلت] » .

٣١٩ : ١ ش يبدل نصف السطر بلفظ « والبيت فى ديوان الفرزدق ٧٤٩ » .

٣٢٠ : ٧ ، ١٠ « عِرس » .

٣٢٧ : ١ « وأحْبَائه » وهو جمع حبأ ، بالتحريك ، وهو جليس الملك وخاصته ، وهذا التحقيق القيم للصديق العزيز الأستاذ عبد الرحيم محمود .

٣٥٦ : ١٢ « بَخْتَيْشُوع » هذا الضبط للعلامة المرحوم الأب أنستاس مارى .

٣٧٦ : ٥ ، ٦ « بالِ * قَمْل » . « بالِ * بُدْن » . « والنُّصُب » .

٤٢٣ : ٣ « آية النحل » .

٤٤٥ : ١٠ فى الأغانى (١١ : ١١٧) أن « ملم » اسم تاجر ، وروى قصة تلقى ضوءا على الشعر .

٤٤٨ : ٧ « ابن أبى فنن » .

٤٦١ : ٤ « أَبْنَيْنَ امرأً » والبيت من مجزو البسيط المذيل .

٤٦١ : ٣ ش اللسان (٩ : ٤/١٨ : ١٠٢) .

٤٦٤ : ١١ — ١٢ ش « من ط . والشعر فى الديوان ١٥٢ » .

٥٤٩ : ٩ عند ابن أبى الحديد (٣ : ٢٠٣) . « خلقة المنشار » .

٥٥٦ : ٢ ش « والجندب:جناحاه » .

٥٦٤ : ٩ « عبد الأشل » أراد عبد الأشهل ، وهم قبيلة من الأنصار . انظر اللسان (شهل) والاشتقاق ٢٦٣ . قال ابن دريد : « وزعموا أن الأشهل صنم » .

٥٨٧ : ١ « فلا تعسكم الأخرى ولا تستعينا » .

٥٩٠ : ٣ « مُسَرَّح » .

٦٠٠ : ٩ « بأيهز » .

الجزء السادس

٣٥ : ٩ « ولما قال ابن الجهم » .

٣٨ : ٦ «أذم» صحيحة لاغبار عليها ، وتلغى الحاشية .

٣٩ : ٢ « وأحمده » وهو مقابل « أذم » السالفة الذكر .

١٤٢ : ١٨ ش « بتقديم الفاء » .

١٤٣ : ٢، ٣ « العقل» . «عقل» .

١٤٧ : ٤ « بطول العمر » .

١٤٧ : ٥ « يزيد فى العمر » بطرح الواو .

٢٠٩ : ٣ « سنان بن أبى حارثة » .

٣٠٣ : ٦ « فايرز » .

٣٤٣ : ١ ، ٢ انظر لتصحيح البيتين مختارات ابن الشجرى ٧٧ .وهما من فائية لبشر بن أبى خازم .

٣٤٧ : ٦ « والعث والحفات ذو نفخة » .

٤٠٩ : ٨ «السكركى» بإسكان الياء .

٤١٦ : ١ « رجعهم » .

الجزء السابع

٨ : ١٥ « ذا الرياء والنفج » كما فى ل . والنفج: أن يفتخر بما ليس له .

١٢ : ١٠ الوجه « ممن لا يقر بالبعث » .

١٥ : ٤ « فأما السمع » .

٢٠ : ١ « احتيالها » .

٢٨ : ١٠ « جناب بن الخشخاش » .

٤٤ : ٢ ، ٤ « جاه » بالجيم .

٨٢ : ٧ ش « سلمة بن عياش » .

٩٥ : ١١ « غيرتينك » .

١٠١ : ٦ ش « أبو اليكسوم » .

١٠٢ : ٢ « رخام » .

١١٢ : ٥ فى اللسان (١ : ٢١٧) : « وبابات الكتاب سطوره ، ولم يسمع لها بواحد . وقيل هى وجوهه وطرقه » ، وأنشد البيت : « تخير بابات » .

١٦٧ : ١٥ ، ١٦ «يهيج دقيقات» . « علمته » .

١٧١ : ١١ « الدارصينيّ » .

١٧٧ : الصفحة التى قبلها هى ١٧٦ .

١٩٠ : ١ « لأبيه معدان » .

١٩٠ : ٥ سبق فى ص ٨٢ « يفرون والفيل الجبان كأنه » .

٢٠٨ : ٤ « كثرة تصرف » .

٢٤٦ : ٧ ش « ل : يشؤن » .

الفهارس العامة

٣٧٦ : ٢٥ « أقليدس » بضم الهمزة كما فى القاموس .

٣٨٥ : ١٨ يكتب رقم ٣٤١ بالحرف الكبير لأنه موضع ترجمة .

٤٥٢ : ١٨ « أبو قرة » .

٤٥٨ : ٢٢ يضاف إلى أرقام « لوط » فى أولها (١ : ١١٠) .

٤٦٩ : ٧ يضاف إلى أرقام المعتصم بالله (٣ : ٤٨١) . وقد ورد بلفظ « أمين آل محمد » . انظر (٣: ٥٨٢) .

٤٧٦ : ١٥ يضاف إلى أرقام « ابن النواحة » (٤ : ٨٩) .

٤٧٦ : ١٧ يضاف إلى أرقام « نوح (الرسول) » رقم ٢ : ٢٤٦ .

٤٩١ « الزيدية » يحذف منها العدد (١١) .

٤٩٧ يزاد بعد « النبيط » . « النجدية ١ : ١١ » . انظر تصحيحات الجزء الأول .

٤٩٨ يحذف « بنو النواحة » انظر الجزء الرابع ص ٥٢٦ .

٥٠٣ « البطاح » يضبط بضم الباء، وتحذف الأرقام التى بعد (٥٧٦) ويضاف رسم جديد بعده « البطاح » بكسر الراء وأرقامه هى ٦ : ٤٤٠/٧ : ٨١ ، وهى التى حذفت من « البطاح » المضموم الباء .

٥٣٩ : ٥ يضاف إلى أرقام « عديد » فى الجدول الأيمن ١ : ١٩٧ . ويحذف السطر السابع لأنه مكرر .

٥٦٥ يضاف بعد السطر الثالث الأيمن « لعظيم » وهو من غير الخفيف ، ورقمه ٣ : ٣٨٠ » .

٥٦٧ تحذف قافية « لعظيم » من السطر ١٢ بناء على التصحيح السابق .

٥٧٦ : ١٩ « عجائب » هذه الأرجوزة من المزاوج ، ويحذف رقم ٢٧٤ ويزاد بعد قافية « التجآب » قافية « بالعقاب » ورقمها ٤ : ٢٧٤ .

٥٩٣ : ١٧ فى الجانب الأيمن ، سقطت كلمة « حسن » فى نهاية السطر من بعض النسخ .

خاتمـــة

تم بعون الله وحده هـذا الجزء السابع من كتاب الحيوان ، وبه تم الكتاب الأول من مكتبة الجاحظ ، التى نصبت نفسى لتحقيقها وتوضيحها .
وقد ألحقت به هـذه الفهارس العامة التى تنير أطرافه وتجلو بواطنـه ، ولم أعرض لما جاء فى الحواشى التى تربى على ضعفيه ، خشية الإسهاب والإطالة.
وإنى إذ ألقى جانبا هذا القلم ، الذى ظل عشرا من السنين يعمل جاهدا فى تحقيق هذا العالم المضطرب من المعارف والآراء ، أحمد الله كل الحمد على نعمته السابغة وتوفيقه ، وأكل إليه الجزاء على ماقدمت من عمل ، وما أسلفت من بر .

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ ﴾

عبد السلام محمد هارون

القاهرة فى { ١٦ ذى القعدة سنة ١٣٦٦
أول أكتوبر سنة ١٩٤٧

بحمد الله تم طبع كتاب « الحيوان للجاحظ » بمطبعة
مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر [يوم الاثنين ٢١
من ذى القعدة سنة ١٣٦٦ هـ — ٦ من أكتوبر سنة
١٩٤٧ م]

ملاحظ المطبعة — مدير المطبعة

محمد أمين عمران — رستم الحلبى